

# ايران وعلاقتها الخارجية

في

العصر الصفوي

٩٠٦ - ١١٤٨ هـ / ١٥٠٠ - ١٧٣٦ م

تأليف

نصرالله فلسفي

ترجمة وتقديم

محمد فتحي يوسف الرئيس

دكتوراه في الآداب من جامعة طهران

١٩٨٩



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

هذا الكتاب فى الاصل باللغة الفارسية بعنوان « سياست خارجى ايران در دوره صفويه » من تأليف الاستاذ نصر الله فلسفى • المؤلف يعد من أفضل الاساتذة المعاصرين الذين كتبوا عن العصر الصفوى فى ايران وقد اتاح له عمله كمستشار ثقافى لايران فى اسبانيا واطاليا فرصة الاطلاع على ما تحويه مكتبات هاتين الدولتين من وثائق ومخطوطات وكتب استفاد منها فى تأليف هذا الكتاب •

وقد قمت بنقله الى اللغة العربية لما وجدته فيه من معلومات هامة تفتقر اليها المكتبة العربية عن هذه الفترة الخطيرة والهامة فى تاريخ العالم الاسلامى وتصاعد الصراع المذهبى بين الشيعة والسنة بشكل لم يكن ظاهرا او معروفا قبل ظهور الصفويين الذين استعانوا بالاوربيين فى سبيل تحطيم الخلافة الاسلامية العثمانية ، فهدوا وسهلوا للاستعمار الاوروبى الاستيلاء على المشرق بأسره بل واقتطاع مساحات كبيرة من اراضيها •

وقد رأيت أن اكتب مقدمة عن اصل الصفويين وكيفية وصولهم للحكم وما ارتكبه الشاه اسماعيل الصفوى من مذابح وحشية فى سبيل فرض المذهب الشيعى على اهل السنة فى ايران وما حولها ، نظرا لان عصره السياسى لم يرد فى الكتاب كغيره من ملوك الصفوية ، لعدم وجود علاقات بين ايران وأوربا فى عهده •

وقد يعتب على البعض هذا التصوير الدامى لعصر الشاه اسماعيل الصفوى ، ولكننى اعتقد ان غالبية المؤرخين المعاصرين فى ايران

يذهبون معى هذا المذهب ، وقد يكتب بعضهم بنوع من التلميح خوفا من المتعصبين للمذهب ، ويذهب بعضهم للتصريح احقاقا للحقيقة والتاريخ واستشهد هنا بقول الزميل الفاضل الدكتور ابراهيم باستانى باريزى الاستاذ فى جامعة طهران حيث يقول فى كتابه السياسية والاقتصاد فى العصر الصفوى ، « فى الحقيقة فان مظالم جيش الشاه اسماعيل وسلوكه المنحط تلوث القلم بالعار عند كتابتها ، فانهم بعد ارتكاب المذايح كانوا يوزعون الزوجات على امراء القزلباشية » .

اما بقية العصر الصفوى فقد جاء ذكره بشكل أو اخر فى ثنايا الكتاب مما قد يسهل مهمة القارئ ، ولعل الفرصة تتاح لى لكتابة تاريخ مفصل لهذا العصر ان شاء الله .

وقد أضفت للكتاب بعض الحواشى والشروح ، كما أضفت اليه ايضا بعض الخرائط والصور وهو ما ليس فى الكتاب الاصلى .

ارجو ان اكون قد اديت خدمة للمكتبة العربية والمهتمين بالتاريخ الحديث ، كما اعتذر عن اى تقصير قد يلმسه القارئ فى هذا الكتاب وبالله التوفيق .

القاهرة فى رمضان ١٤٠٩      دكتور محمد فتحى يوسف الرئيس

ابريل ١٩٨٩      دكتوراه فى الادب الفارسى

من جامعة طهران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

الصفويون

اصلهم :

ينسب الصفويون الى الشيخ صفى الدين اسحق الازديبيلسى ( ٦٥٠ - ٧٢٥ هـ ) وكان شيخا لطريقة صوفية وله زاوية فى مدينة اردبيل (١) . وتجمع كل المصادر المعاصرة له او اللاحقة به حتى قيام الدولة الصفوية سنة ٩٠٦ هـ على انه كان شافعى المذهب ولم تشر من قريب او بعيد الى انتسابه لاهل البيت (٢) . ولكن الكتب والمصادر التى دونت فى عهد الشاه اسماعيل الصفوى مؤسس الدولة ، او تلك التى كتبت بعده ، اضيفت عليه واخترعت له نسبا او صلة للامام موسى الكاظم الامام السابع للشيعنة الجعفرية اى الى الحسين بن على بن ابي طالب وذلك لكى يصير له ولاسرتة وخلفائه من بعده الحق او الشرعية فى اعتلاء العرش وتوارثه ، ويستندوا الى النسب العلوى فى ادعاء الملك والسيطرة على الحكم .

ويعتز الايرانيون بالدولة الصفوية ايما اعتزاز ، ويصورونها على انها الدولة التى حققت حلمهم فى الوحدة والسيادة والقومية ، وانها اول دولة ايرانية تمكهم بلادهم بعد استعمار طويل او حكم اجنبى مستمر منذ الفتح العربى لايران ثم تبعة حكم الغزنويين والسلجقة والمغول والتتار (٣) ، واستثنوا حكم الدويلات الصفارية والسامانية والبويهية التى كان مؤسسوها من اصول ايرانية كما يدعون ويؤعمون .

(١) تقع فى اقليم اذربيجان الايرانية جنوب غرب بحر قزوين

(٢) زندكائى شاه عباس المقدمة ص ٤

(٣) نفس المرجع ص ب وعالم اراى صفوى المقدمة ص ١٧ .

وإذا أردنا مناقشة هذا الزعم وتحليل هذا الرأي وجدناه لا يخرج عن أحد تفسيرين .

أولهما ، أننا إذا أخذنا بالقول أن الصفويين ينتسبون إلى موسى الكاظم أى إلى أهل البيت فأننا بهذا نرجع نسبهم وأصلهم إلى أعرق القبائل العربية وهى قريش وتصير عروبة الصفويين أمرا لا شك فيه ولا مراء ، طالما أقامتهم فى إيران أم قصرت ، ويصير حكمهم لإيران استمرارا أو عودة لحكم العرب لإيران ، وهو استمرار للحكم الاجنبى كما يصورون حكم الغزنويين والسلاجقة وغيرهم من المسلمين الذين وصلوا إلى حكم هذه المنطقة .

ثانيهما ، أننا إذا قلنا انهم لا ينتسبون إلى الامام موسى الكاظم أو لا ينتمون إليه وإلى أهل البيت وهو ما تتجه الدراسات الحديثة إلى القول به ، أصبح لزاما علينا أن نبحث عن أصلهم ونسبهم (\*) .

من الجلى الواضح أن الصفويين لم ينتسبوا إلى أهل البيت الا بعد ان وصلوا إلى الحكم ، فلم يشر أى كتاب قبل توليهم السلطة إلى انتسابهم إلى الحسين بن على سوى كتاب صفوة الصفوة لابن البزاز والذى ألف فى عهد الشيخ صدر الدين بن صفى الدين ، وقد حدثت فى مخطوطات هذا الكتاب تغييرات كثيرة تجعله عرضة للشك .

ويؤيد عدم انتسابهم إلى أهل البيت ما كتبه رشيد الدين فضل الله الوزير المشهور لغازان خان المغولى ثم لخليفته أو لجايقو فى رسالته لابنه أحمد حاكم أردبيل حيث يوصيه بالشيخ صفى الدين الأردبيلى ، وليس بها ما يشير إلى انتساب صفى الدين إلى أهل البيت وأن كان

---

\* نفس المرجع المقدمة ص ٤ و هامش ص ٤ .  
(\*) الف احمد كروى كتابا يثبت فيه عدم انتساب الصفويين لال البيت وللأسف لم يصل لايدينا .

يذكر علو منزلته في الدين والتصوف حيث يقول « جناب قطب فلك الحقيقة سباح بحر الحقيقة ، مساح مضمار الطريقة ، شيخ الاسلام والمسلمين ، برهان الواصلين ، قدوة الاصفياء ، زهرة دوحة الوفاء ، الشيخ صفى الملة والدين ، ادام الله تعالى بركان انفاسه الشريفة ٠٠٠ » وهذه العناوين والالقب كانت مما يخاطب به كبار رجال اهل السنه وعلماؤها واقطاب الصوسية وفحولها ولو كان الشيخ صفى الدين من اهل البيت لما اغفل هذا الوزير المفاضل الاشارة الى ذلك والاشادة به ، كما انه لو كان شيعيا لما نعتته بشيخ الاسلام ، ولقال اية الله او حجة الله او غيرها من المقاب رجال الدين الشيعية .

ويقول صاحب كتاب حياة الشاه عباس الاول « من المسلم به - كما يتضح من كتب التاريخ في زمن الشاه صفى واجداد الشاه اسماعيل - ان هذه الاسرة منذ عصر الشيخ صفى (٦٥٠ - ٧٢٥ هـ) الذي كانت فيه العناصر التركية والفارسية في اذربيجان مشخصه متمايزة ، كانت من الاسر المحلية الايرانية ، وانه كان يتكلم الاذرية ( اى اللغة التركية المحلية في اذربيجان ) كما تعلم التركية والمغولية في الكتاب (٥) واذا كان صاحب كتاب حياة الشاه عباس يرى انهم من العناصر الايرانية او الفارسية فان مؤلف عالم اراى صفوى - المجهول - يذكر ان صفى الدين كان تركيا ، فحين تحدث عن اول لقاء جرى بين صفى الدين الارديبيلى وشيخه الزاهد الجيلانى (٦) ، يقول :

« كان من عادة الشيخ ان يعتكف في خلوته في شهر رمضان لا يقابل احدا ، ولكنه في احد الاعوام أدرك بعلم هدايته ان صفى الدين

---

(٥) زندكاني شاه عباس اول ج ١ ص ٤ ( الهامش ) :

(٦) هو الشيخ الزاهد ابراهيم الجيلانى وكان قد تولى الطريقة عن الشيخ جمال الدين عن الشيخ شهاب الدين محمود الامرى والتي تنتهى الى الشيخ جنيد البغدادي الى معروف الكرخي :

وهل الى زاويته ، فخرج الى ابنه جمال الدين على وقال له اذهب الى  
المكان الفلانى فى الزاوية وستجد شابا تركيا فى مقتبل العمر بهذه  
الملابس والعلامات ( التى ذكرها الشيخ لابنه ) وهو قائم يصلى هناك ،  
وعندما ينتهى من صلاته ويسلم قل له ان أبى الشيخ الزاهد يطلبك» (٧) .  
ثم يكمل قصة هذا اللقاء فيقول « فلما انتهى الشيخ الزاهد من  
اعتكافه ، رأى المريدون شيخهم يخرج من خلوته وقد وضع يده فى  
يد شاب تركى » (٨) .

ونلاحظ ان مؤلف الكتاب نعت صفى الدين بأنه « شاب تركى » ولم  
يقال سيديا أو شريفا أى من اهل البيت ، كما لم يقل انه فارسى أو  
من جنس آخر بل قال صراحة أنه « تركى » .

ولهذا نرى ان القول بانتساب الصفويين الى اهل البيت ليس  
صحيحا لان ادعاء هذا النصب بعد وصولهم الى السلطة كان ذريعة  
لتثبيت ملكهم واضفاء الشرعية على حكمهم حتى لا ينازعهم فيه منازع ،  
ولكى يظهروا للناس انهم احق بتولى السلطة من ابناء جنسهم العثمانيين  
الذين اقاموا لهم دولة فى اسيا الصغرى ثم تلقبوا بالقباب خلافة المسلمين  
بعد اخذها من خلفاء العباسيين فى مصر (٩) .

ونحن لا نرجح ان الصفويين كانوا من العناصر الفارسية التى كانت  
تعيش فى اذربيجان كما ذهب مؤلف كتاب حياة الشاه عباس ، لانهم  
لو كانوا كذلك ما حولوا ايران فى عصرهم الى دولة كل ما فيها تركى  
او للعناصر التركية حتى ضاع فيها الفرس واصبحوا غريباء فى وطنهم،  
وهو ما سيتضح من هذه الدراسة .

وقد عاك صاحب كتاب حياة الشاه عباس الاول فى موضع اخر  
فقال « يبدو ان الشاه طهماسب كان اول ملك من الاسرة الصفوية يدعى  
النسب لاهل البيت اذا اوصل نسب جده الشيخ صفى الدين الاردبيلى

---

(٧) عالم ارأى صفوى ص ١١ .

(٨) عالم ارأى صفوى ص ١٢ .



الى الامام موسى الكاظم ، وأطلق على نفسه لقب طهمااسب الصفوى الحسينى الموسوى ، تبعه الملوك الذين جاءوا بعده ومنهم الشاه عباس الذى كان يعد نفسه من اولاد على بن أبى طالب ، ولكن يتضح من كتب التواريخ المعاصرة أن هذا النسب لا يقوم على أساس صحيح فقه ثبت من الابحاث الحديثة أن فيروز شاه جد الشيخ صفى الدين السابع جاء من كردستان الى أذربيجان فى حوالى سنة ٥٦٩ هـ ، وأن أجداد الصفوية إيرانيون أصلاً ، (١٠) .

ولعل قوله « إيرانيون أصلاً » لا تعنى تحديد جنسهم ، لأن المقصود بهذا هو تحديد الوطن لا تعيين الجنس ، فهو يعنى أنهم كانوا يعيشون فى إيران أو يحملون جنسيتها ، وأن المؤلف لو أراد تحديده جنس الصفويين لقال « أن أجداد الصفويين فرس أصلاً ، أو من أصل فارسى لأن المقابل لتركى هو فارسى وليس إيرانى لأن إيران كانت كانت ومازالت موطناً لعدة أجناس من أهمها الفرس والترک والعرب والاکراد وغيرهم وهذا هو الاصطلاح الذى تستعمله ادارات وكتب الاحصاء حالياً فى إيران .

ولهذا فنحن نرجح ما ذهب اليه صاحب كتاب عالم آراى صفوى من أن صفى الدين الأردبيلى كان تركياً ، وبالتالي فإن أحفاده الذين أقاموا الدولة الصفوية كانوا أتراكاً ، ولا صحة لما زعموه من نسب الى أهل البيت ، كما أنهم لم يكونوا من الفرس أو الجنس الفارسى الذى يعتز بفارسيته وبلغته ، فى حين أننا نرى ملوك الصفويين كانوا يتكلمون التركية بل أن بعضهم نظم الشعر باللغة التركية ، كما كانت التركية لغة بلاطهم وديوانهم ، وما فعلوه بإيران وبالفرس لا يقبل فارسى أن يفعله بوطنه ومواطنيه (١١) .

(٩) يعقوب بن الليث الصفار ص ٢٨ .

(١٠) زندكائى شاه عباس ص ٣ .

(١١) انظر كتاب « سياست واقتصاد در عصر صفوى » للدكتور

ابراهيم باستانى ياريزى .

## وصولهم الى السلطان

مقدمة المؤلفون :

كان الشيخ صفى الدين اسحق الاربيلى رجلا زاهد أشد الزهد حتى انه كان يصوم اسبوعا كاملا لايتناول فيه الا وجبة واحدة من الطعام ، فلما منعه شيخة - وحموه فيما بعد - الشيخ الزاهد الجيلانى عن هذا ، كان يكتفى بلقمة من الارز فى اليوم ، ولم يكن يأكل اللحوم أو الدسوم (١) .

ظل صفى الدين يلزم هذا الشيخ بعض الوقت ثم زادت الصلة بينهما وتوثقت بزواج الشيخ صفى من فاطمة ابنة شيخه ومرشداه .  
وحين أحس الشيخ الزاهد الحيلانى بدنو أجله ، أوصى بأن يحل صفى الدين محله فى رئاسة الطريقة التى كان يتوارثها عن الجريد البغدادى عن السرى السقطى عن معروف الكرخى (٢) ، وحرّم ابنه الذى كان يدعى جمال الدين من تولى هذا المنصب . وهذا انتقلت لصفى الدين رئاسة هذه الجماعة الدينية الكبيرة ، ومشيخة هذه الطريقة الصوفية التى كان لها كثير من الاتباع والمريدين فى جيلان وأنزيبجان يقال ان عددهم كان مائة ألف مرید ، منهم اثنا عشر ألفا فى حضرة الشيخ ، وكان له أربعائة خليفة يتولون ارشاد هذه الجماعة والاشرافا على شئونها (٣) .

كانت هذه هى الخطوة الاولى على طريق الزعامة الدينية والسلطة الدنيوية التى تولاها الصوفيون بعد ذلك وأصبحت وراثه فيهم .

- 
- (١) عالم ارأى عباسى ص ١٣ .
  - (٢) نفس المرجع والمصفحة .
  - (٣) عالم ارأى صفوى المقدمة ص ١١ .

## المال والاتباع :

بعد وفاة الشيخ صفى الدين اسحق ، خلفه ابنه صدر الدين موسى الذى استمر فى رعاية الاتباع والمريدين والعمل على استمرار هذه الطريقة ، فلما توفى بعده ابنه على بن صدر الدين موسى الذى ينسبون اليه - كما ينسبون لبقية ملوك هذه الاسرة تقريبا - الكثير من الكرامات خاصة مع تيمور جوركان « لك » الذى كان يعتقد فى هذا الشيخ اعتقادا كبيرا ، من ذلك ما يروونه من أن تيمور اثناء عودته منتصرا من حربه ضد ايلدرم (٤) بايزيد السلطان العثمانى قرب انقوريه (انقره) (٥) ، مر بأردبيل وطلب من الشيخ على سياه بوش (٦) أن يتعمى أى شىء فطلب منه الشيخ على أن يطلق سراح الاسرى الروم ( العثمانيين ) الذين كانوا معه ، فأمر تيمور على الفور باطلاق سراح هؤلاء الاسرى والسبايا ، ولم يكتف بهذا بل اشترى تيمور ما حول أردبيل من مزارع وضياع من حلال ماله وأوقفها على زوايا الصغويين وتكايهم فى أردبيل ، كما منح خراج تلك البلاد لهذه الاسرة وتخصصها لهم .

وكان تيمور اثناء عودته من حروبه فى اسيا الصغرى قد حمل معه ما لا يعد ولا يحصى من الاسرى أغلبهم من رؤساء ورجال عشائر تركية هى روملو - شاملو - قاجار - استاجلو - افشار - بيات - ذو القدر - تكلو - ورساق - وانضم الى هذه العشائر والقبائل التسع فيما بعد صوفية قراباغ . فلما التقى تيمور بالشيخ على بن صدر

(٤) ايلدرم يعنى الصاعقة .

(٥) كانت هذه الموقعة فى سهل شوبوق بجوار انقرة يوم الجمعة أول محرم ٨٠٥ هـ ( أول اغسطس سنة ١٤٠٤ م ) وفى رواية أخرى فى ١٩ ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ ( ٢٠ يوليو ١٤٠٢ م ) .  
(٦) سياه بوش يعنى لابس السواد ( توفى ٨٣٠ هـ ١٤٢٦ م ) .  
(٧) عالم ارأى عباسى ص ١٦ وعالم ارأى صفوى ص ٢٦ .

الدين موسى المشهور بعلى سياه بوش فى زوايته فى اردبيل قال له الشيخ « ان اغلب هؤلاء الاسرى من خاصتى والمريدين لى مثلك فان ابقيتهم فى ذل الاسر فلن يرضى عنك الله وسوف تطرد من رحابه» .

فساله تيمور وكيف اميز بين هؤلاء لاغرف من هو من مرديك ومن ليس منهم فى هذا العدد الكبير من الاسرى ؟ » .

اجابة الشيخ قائلا « ان كل مرید من اتباعى قد خاط على عمامته قطعة من القماش الاحمر ، فمر رجالك كى يخرجوهم من بين الاسرى ويتركوهم فى زاويتى » .

وقد تم هذا ، واطلق سراح الاسرى من مریدی الصفوية واصبح هؤلاء الاسرى من بلاد الروم والشام بعد قرن من الزمان امراء وملوكا على عرش كمسرى وانوشيروان (٨) .

وهكذا اجتمعت لهذه الاسرة كل مقومات الرئاسة والزعامة دون مشقة ، اذ انتقلت الى صفى الدين رئاسة جماعة دينية كبيرة دون ان يشقى فى تكوينها او يتعب فى انشائها ، ثم منح تيمور احقيده الشيخ على اعدادا كبيرة من الاسرى الاتراك اصبحوا من مریدی هذه الاسرة واتباعها المخلصين وكونوا قوتها الضاربة - كما سنرى - بل اصبحوا عصب الحركة الصفوية كلها وعرفوا باسم « القزلباشية » (٩) ، وبلغت بعض هذه القبائل من القوة والنفوذ ما جعلها تجلس على عرش ايران بعد زوال الدولة الصفوية نفسها مثل الافشار والزند والقاجر الذين قضى عليهم رضا شاه بهلوى سنة ١٩٢٥ م .

وقد سبق ان ذكرنا ان تيمور منح هذه الاسرة الموره السالى

---

(٨) سياست واقتصاد ص ١١ و ١٢ .

(٩) قزلباش أى لابس العمامة الحمراء وهى التى أصبحت رمز

الصفوية .

الذى كانوا ينفقون منه على دعوتهم وحركتهم ، اذ اوقف أردبيل  
وما حولها عليهم ، كما اعفاهم من خراجها ، بل وجعل كل من يلتجئ  
الى زاويتهم أو حمايتهم فى أمان حتى ولو كان من أعتى الجناة  
أو أخطر الاشقياء (١٠) .

#### مصاهرة الملوك .

بعد وفاة الشيخ على بن صدر الدين موسى تولى ابنه جنيد زعامة  
المطائفة وحمل لقب « سلطان » وأخذ فى نشر الدعوة مستغلا الاموال  
المائلة والمريدين الذين وهبهم تيمور لابييه فلما علم ميرزا جهانشاه  
السلجوقى ملك ايران انذاك بما بلغته هذه الدعوة من قوة ونفوذ  
واتجاه للتوسع ، أرسل الى السلطان جنيد رسالة امره فيها بإبعاد  
الناس والمريدين الذين يلتفون حوله أو فى حضرته ، والعيش فى سلام  
وأمان والا يفكر فى الملك ، والا فان القضاء عليه يصبح امرا واجبا .

رد عليه السلطان جنيد قائلا « نحن لا شأن لنا بالملك ، واننا  
مشغولون بالعبادة ، وأما قضاء الله فلا راد له » . واستمر السلطان  
جنيد فى دعوته ، فأرسل اليه ميرزا جهانشاه رسالة ثانية قال له فيها  
« يبدو أنك لم ترتدع ، وعليك مغادرة مملكتى . والا اتيت الى أردبيل  
وهدمتها عليك وعلى أتباعك ، واعملت فيكم السيف » .

عندئذ جمع السلطان جنيد أتباعه وغادروا أردبيل الى ديار بكر  
التي كان يحكمها انذاك حسن بك اق قويون لو (١١) الذى كان من  
مريديه . وقد استقبله حسن بك أحسن استقبال واستضافه ومن معه  
من المريدين والاتباع ثلاثة اعوام ، كما زوجة من أخته حليلة سلطان .

---

(١٠) سياست واقتصاد ص ١٠ وعالم ارأى صفوى ص ٢٥  
(١١) حسن بك بن على بن قرا عثمان اق قويون لو التركمانى واق  
قويون لو تعنى أصحاب الخراف البيضاء .

وقد أدت هذه المصاهرة الى أن يحمل أبناء جنيد وأحفاده لقب ميرزا أي أمير .

بعد هذه المصاهرة عاد السلطان جنيد ثانية الى مقره في أردبيل، فلما بلغ خبر عودته الى ميرزا جهان شاه السلجوقي أمر بجمع الجيش والاستعداد لمحاربة السلطان جنيد ، فما كان من السلطان جنيد الا أن جمع رجاله وأتباعه من الصوفية وكانوا نحو عشرين ألفا وتوجه بهم الى شيروان (\*) للجهاد ومحاربة الكفار ، وقتل السلطان جنيد في هذه الحرب وحمل مريدوه نعشه الى أردبيل حيث دفنوه هناك الى جوار جده صفى الدين الاردبيلي ، ثم اجلسوا ابنته حيدر على اريكة الارشاد مكان أبيه .

لم يسكت حسن بك اق قويونلو على مقتل صهره فخرج للثأر له ممن دفعه للخروج من موطنه في أردبيل ، فتوجه الى تبريز وأسر ميرزا جهانشاه السلجوقي ، وضم هذا الجزء من ايران الى ملكه وجلس على العرش في تبريز مما زاد من شوكة حيدر ميرزا وقوته لان خاله ( حسن بك ) وهبه أردبيل مرة أخرى كما زوجه من ابنته « عالم شاه بيكم » (١٢) وكان حيدر ميرزا ابن أميرة قصار زوج أميرة أيضا .

زواج له ما بعده :

كان السلطان حسن بك اق قويونلو متزوجا من مسيحية اسمها « تيودورا » ، أبوها يدعى « كالمو جوهانس » وهو شقيق ديفيد كومنينوس امبراطور طرابزون الارمني آنذاك ، وقد عرفت باسم « دسيينا خاتون » ،

---

(١٢) بيكم للسيدات تعادل لقب بك للرجال وهي تكتب حاليا بالعربية بيجوم واسمها يعنى ملكة العالم .  
(\*) اقليم شيروان يقع غرب بحر قزوين حول مدينة باكو السوفيتية حاليا ( انظر الخريطة ) .

وكانت أختها متزوجة من « كاترينو زينو » سفير دوله البندقية ومبعوثها لدى السلطان يعقوب بن حسن بك اق قويونلو ، وقد أنجبت تلك السيدة ( تيودورا ) بنتا من المساطان حسن كان اسمها المسيحي « مارتا » أما اسمها بعد زواجها من حيدر ميرزا فهو حليمه بيكم اغا واشتهرت باسم « عالم شاه بيكم » ، وقد أنجبت من حيدر ميرزا ثلاثة أولادهم على ميرزا ، وابراهيم ميرزا ، واسماعيل ميرزا .

وسنرى فيما بعد تأثير هذا الزواج المسيحي على الدين الاسلامي في ايران واختيار المذهب الشيعي الذي اعلنه الشاه اسماعيل الصفوي منذ اعتلائه عرش ايران . وفي ضوء هذه المصاهرة سنتمكن من تفسير التقارب الشديد الذي حدث بين الصفوية والدول المسيحية سواء روسيا القيصرية أو أوروبا وتحالفهم ضد الدولة العثمانية السنية التي أخذت على عاتقها الدفاع عن الاسلام والدول الاسلامية آنذاك ، وأدى هذا التقارب والتحالف الى اضعاف الدولة العثمانية وانهاك قواها في حروب ضارية مع الصفويين من ناحية الشرق ، ومع الأوربيين من الغرب حتى انهارت الدولة العثمانية واقتطعت اقطارها الاسلامية ليستولى عليها الغرب المسيحي ويقسمها بينه الى مستعمرات ظل يحكمها نحو مائه عام أو أكثر بينما أدى انهيار ايران نفسها الى اقتطاع أجزاء كبيرة منها استولى عليها الروس وضموها الى بلادهم ، وضياح بلاد المسلمين في وسط اسيا مثل اوزبكستان والتركستان وتاجيكستان وقرغيزيا التي استولى عليها الروس أيضا .

### السلطان حيدر اول قزلباش

بعد أن تولى حيدر ميرزا رئاسة هذه الجماعة الصوفية الكبيرة وأخذ في رعايتها وتقويتها ومد نفوذها رأى أن يميزها عن غيرها من الجماعات الدينية فادعى أن الامام على بن ابي طالب جاءه في المنام وصنع له عمامة من الصوف الأحمر بها اثنتا عشرة ثنية طويلة تشير

الى ائمة الشيعة الاثنى عشر (١٣) ، فكان يطلق على لابسها « قزل باش » أى لابس العمامة الحمراء ، ووهب السلطان حيدر عمامة من هذه العمامات لكل واحد من اتباعة ومريديه أو طلب منه عملها ولبسها ، وبهذا تميزت هذه الجماعة أو الفرقة الصوفية بهذا الزي المميز ، كما اعلنا عن قيام هذه الجماعة واعتزازها بنفسها وقوتها كجماعة مستقلة . وقد وافق حموه - حسن بك اق قوينلو على هذا الاستقلال والانفراد بلبس عمامه مميزه للجماعة تميزها عن سائر الناس فلم توفى حسن بك وخلفه ابنه السلطان يعقوب منع الناس من لبس هذه العمامات الحمراء وتوعد من يلبوسنها بأشد العقاب ، ولم يجد حيدر ميرزا ميرزا مفرا من ترك أربيل والخروج بدعوى الجهاد فى سبيل الله ونشر الاسلام فى ديار الكفار من ناحية والشان لمقتل ابيه السلطان جنيد الذى قتله ملك شيروان فى الغزوه التى كان قد قام بها على تلك البلاد من ناحية اخرى ، وقد سارع السلطان يعقوب (١٤) - شقيق زوجة حيدر ميرزا - بابلاغ شيروان شاه بخروج السلطان حيدر اليه ، ولم يكتف بهذا بل أرسل جيشا لمساعدة شيروانشاه فى القضاء على السلطان حيدر لتخوفه منه ومن أطاعه فى الملك . وقد انتهت هذه المعركة بقتل السلطان حيدر - كما قتل ابوه من قبل - فى الحرب ضد شيروانشاه .

الصراع من أجل العرش

جرت أحداث كثيرة ومتشابكة بعد قتل حيدر ميرزا فى حربه ضد السلطان خليل ملك شيروان ( أرمينيا ) واضطربت أوضاع هذه المنطقة

---

(١٣) ائمة الشيعة الجعفرية الاثنى عشرية هم : ١ - على بن أبى طالب ٢ - الحسن ٣ - الحسين ٤ - على زين العابدين ٥ - محمد الباقر ٦ - جعفر الصادق ٧ - موسى الكاظم ٨ - على الرضا ٩ - محمد التقى ١٠ - على النقى ١١ - حسن العسكري ١٢ - محمد المهدي المنتظر .

(١٤) السلطان يعقوب بن حسن اق قوينلو كان متزوجا من شقيقة ملك شيروان الارمنى كما أن السلطان حيدر كان متزوجا من شقيقة السلطان يعقوب .



من ايران اضطرابا شديدا ، وتوالى جلوس الملوك وعزلهم او قتلهم .  
فيعد السلطان يعقوب جلس ابنه بايسنقر على العرش ، وبعد عامين  
اجلس الامراء عمه مسيح ميرزا بن حسن بك ثم قتل مسيح ميرزا ،  
وطالب رستم بك بن مقصود بك بالملك وجلس على عرش الاق قويونلو ،  
ولكن وزيرهم وقائدهم « ابيه سلطان » خرج عن طاعتهم وقتل ، وتولى  
الملك محمد ميرزا والوند ميرزا ابنا يوسف بن حسن بك . كل هذا  
في سنوات قليلة مما يدل على اختلال الامن وانهيار الاستقرار وانتشار  
الفوضى في كل شئون الحياة تقريبا (١٥) ، واضطراب الاوضاع  
الاقتصادية واحوال الناس تبعا لذلك .

كان السلطان يعقوب بك اق قويونلو قد قبض على اولاد السلطان  
حيدر وهم على وابراهيم واسماعيل ونفاهم في قلعة اصطخر فارس  
سنة ٨٩٦ هـ حيث ظلوا بها اربع سنوات ونصف الى ان استدعاهم  
السلطان رستم بن مقصود بك ليجهزهم مع اتباعهم لحرب بايسنقر بن  
يعقوب ( ابن خالهم ) الذي كان قد التجأ لخاله وصهره شينوار شاه  
بن خليل ملك ارمينيا ، واستعان به ليسترد ملكه في ايران ، فلما حقق  
على ميرزا بن حيدر الصفوي النصر للسلطان رستم انقلب عليه وعلى  
اخوته واراد قتلهم ، ولكنهم فروا من تبريز الى اردبيل ، فارسل فرقه  
من جيشه تتعقبهم وقد استطاعت قتل على ميرزا ، وتمكن ابراهيم  
واسماعيل من الهرب مع سبعة من قادتهم والمقربين اليهم والتجأوا  
الى حاكم جيلان الذي خباهم عنده بضع سنين (١٦) .

كانت الجواسيس تبلغ رستم بك بن مقصود بك بوجودهما عند

---

(١٥) سياست واقتصاد ص ١٩ وللتفصيل يرجع لحبيب السير  
ج ٤ ص ٤٣٩ .  
(١٦) كان يلقب كاركيا وورد اسمه « اميره كيا » في كتاب  
عالم اراى صفوى .

حاكم جيلان فكان يرسل في طلبهما منه ، ولكن حاكم جيلان كان ينكر وجودهما عنده رغم التهديد والوعيد حتى أوشك على تسليمهما خوفا على حياته وعلى ولايته .

ولا بأس من أن نذكر هنا هذه القصة الطريفة التي ترويها كتب التاريخ الصفوي عن كرامات هذه الاسرة وخلصتها أن الامام علي بن ابي طالب جاء الى حاكم جيلان في النوم وقال له « بعد عشرة أيام اطلب مبعوث رستم بك الذي جاءك للبحث عنهما وقل له لقد ارسل السلطان رستم بك كثيرا من رجاله للبحث عن أولاد السلطان حيدر وقد جابوا الولاية قرية قرية وبيتا بيتا ولم يجدوهم ، واذا لم تصدقني فانني مستعد للقسم على أنهما ليسا على أرض جيلان » ثم قال الامام علي لحاكم جيلان « عليك أن تربط حبلا بين شجرتين كبيرتين تعلق فيه قفة كبيرة ( زنبيل ) وتضع فيها الغلامين ( ابراهيم واسماعيل ) وعندما يحضر المبعوث ضع يدك على المصحف واقسم على أنهما ليسا على أرض جيلان » ( ١٧ ) ونعتقد أن الامام علي لا يعلم الناس الكذب أو التحايل .

وقد ظل اسماعيل ميرزا لدى حاكم جيلان حتى بلغ الثانية عشرة ثم أراد العوده الى أردبيل ولكن الحاكم طلب منه أن يبقى عامين آخرين حتى يبلغ ، فقبل اسماعيل ميرزا هذا العرض ، ولكن في ذلك الوقت بلغهم نبأ موت رستم بك ففرحوا كثيرا ، وقال اسماعيل ميرزا « الان حان وقت خروجي » ( ١٨ ) . وكان اسماعيل الصفوي عندما التجأ الى حاكم جيلان واختبأ عنده في السابعة من العمر ومع هذا كانوا يلقبونه

---

.. (١٧) عالم آراء صفوي ص ٤٤ .

(١٨) لا ريب أن غلاما في الثانية عشرة من عمره لم يكن يتحرك من تلقاء نفسه ، ولكن القواد والمريدين هم الذين كانوا يصركونه ويخططون له وقد نجحوا في تحقيق ما ربهم .

بالملك والمرشد الكامل (١٩) .

الجلوس على العرش :

غادر اسماعيل بن حيدر الصفوى واخوه ابراهيم ومرافقهما الذين يقال أنهم كانوا سبعة من كبار المريدين فى ولاية جيلان وتوجهوا الى أردبيل فاجتمع حولهم اثناء الطريق ثلاثة للاف من قدامى المريدين دخل بهم مدينة أردبيل وحاصر بيت الحاكم ثم احضره امامه ووعده بتعيينه قائدا لجيشه بشرط أن يتشهد بشهادة التشيع وهى « أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن عليا ولى الله » ولكن الوالى السنى رفض قبول التشيع فأمر باحضار كمية من الاخشاب والخطب من كل منزل فى المدينة حتى تجمع حطب كثير أضرم فيه النار ثم القى فيها حاكم مدينة أردبيل . وكانت هذه أول نار تبعثها نيران كثيرة أحرق فيها مخالفيه .

بعد هذا أمر بجمع أهل المدينة وطلب منهم النطق بشهادة التشيع، فمن قالها ضمه الى رجاله ، ومن رفضها القاه فى النار. مع حاكم أردبيل . وقد خاف كثير من الامالى من الحرق فنطقوا بشهادة التشيع (٢٠) ، ولهذا ضم الى رجاله الكثير من أهل أردبيل حتى بلغ عددهم نحو أربعة عشر ألف رجل ترك نصفهم فى المدينة لحمايتها وتوجه فى سبعة الاف رجل الى تبريز العاصمة حيث استطاع دخولها والجلوس على عرش أخواله الاق. قويونلو .

(١٩) عالم آراى عباسى ص ٢٥ .

(٢٠) هذا يدل على أن أهل أردبيل التى شهدت بداية عهدهم ودعوتهم كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة الى أن ادخلهم فى التشيع بالسيف والنار ومن الغريب أن بعض قرى أردبيل مازالت سننية حتى الان .

## أولى المذابح :

عندما دارت معركة تبريز قتل من جيش الوند ميرزا حتى المظهر نحو عشرة الاف رجل ، وبقي على قيد الحياة عشرون الفا فقال الشاه اسماعيل لرجاله « كل من يقول منهم على ولى الله ، أمنوه على حياته ومن يرفضها فاقتلوه » . وقد خشى نحو الفين أو ثلاثة على أرواحهم وقبلوا الدخول فى المذهب الشيعى كما استطاع نحو ثلاثة ألف جندى آخر الهرب واللحاق بملكهم الوند ميرزا الذى قر من المعركة (٢١) . وقد قتل من تبقى من جيش الوند ميرزا الذين رقصوا التشيع وكان عددهم نحو أربعة عشر ألف رجل قتلوا فى الفترة من الظهر حين انتهت المعركة الى غروب شمس ذلك اليوم ، وبلغ مجموع من قتل فى ذلك اليوم الدامى أربعة وعشرون ألف مقاتل من رجال الوند ميرزا لرفضهم قول «على ولى الله» أى قبولهم التشيع الذى يفرضه اسماعيل الصفوى بالنار أو بالسيف .

دخل اسماعيل بن حيدر الصفوى مدينة تبريز سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠م) وكان فى الرابعة عشرة من عمره ، وجلس على عرش جده لأمه حسن بك اى قويونلو الذهبى . ومن الطريف أن العثمانيين أرحوا لقيام هذه الدولة الشيعية بحساب الجمل بكلمتين تنطقان باللغة الفارسية هما «مذهب تاحق» ومعناها «مذهب الباطل» ، ذلك أن مذهب الدولة الصفوية فى نظر العثمانيين كان مذهبا باطلا ، وحروف هذه الجملة بحساب الجمل مجموعها ٩٠٦: (٢٢) . وقد رث الصفويون على العثمانيين فقالوا ان الاتراك لجهلهم باللغة العربية قرأوا هذه الجملة التى أرحوا بها لقيام دولتنا قراءة خاطئة إذ ان قراءتها الصحيحة باللغة العربية هو «مذهبنا حق» وليس باللغة الفارسية كما نطقها العثمانيون .

(٢١) عالم ارأى صفوى ص ٢٥ .

(٢٢) م = ٤٠ = ن = ٧٠٠ هـ = ٥ = ب = ٢ = ن = ١٠٥٠ = ١

ح = ٨ = ق = ١٠٠

ولكن كيف استطاع هذا الغلام أن يشق طريقه بهذه السرعة والشجاعة ويجلس على عرش إيران ويغير مذهب شعبها السنن إلى المذهب الشيعي الاثنى عشرى ويجعل منها جزيرة شيعية فى وسط بحر من اهل السنة ، ويترك اثرا عميقا رهيبا فى الوحدة الاسلامية والحياة السياسية فى الشرق الاوسط بل وفى العالم كله منذ مطلع القرن العاشر الهجرى ( الخامس عشر الميلادى ) وحتى هذه الأيام التى دارت فيها معارك دامية بين إيران والعراق نتيجة لمحاولة تصدير ما اطلقوا عليه « الثورة الاسلامية فى إيران » والتى تعيد للذهان عصر اسماعيل الصفوى الدموى

### قيام الدولة

#### عرش من الجماجم على أنهار من الدماء

تقرر اغلب المصادر أن عدد جنود اسماعيل الصفوى من القزلباشية أو لابسى العمائم الحمراء عندما دخل تبريز عاصمة إيران آنذاك بصحبة الاف رجل لا يحملون الا أبسط الأسلحة التقليدية من سيوف ورمح ونبال . ولهذا لجأ اسماعيل الصفوى الى ما لجأ اليه جنكيز وهولاكو وتيجور وأغلب الثائرين فى بداية أمرهم من قتل بلا رحمة وأحراق بلا شفقة وتخريب بلا هوادة .

فى سنة ٩٠٦ هـ عندما استولى على شيروان وأسر ملكها شيروان شاه ، وضع جسده فى قدر كبير ووضعه على النار وطهأه ثم أطعمه للكلاب انتقاما منه لقتل أبيه السلطان حيدر أثناء هجومه على شيروان . (٢٢)

وفى أول مغازكة مع السلطان مراد بن رستم اق قزوينلو تناكم العراق العجمى وفارس وكرمان وخوزستان ، عمد الى قتل ثمانية

(٢٢) زندكائى شاه عباس ص ١٤

الاف من رجاله مرة واحدة (٢٤) لتذاح عنه هذه القسوة وتشتهر هذه الوحشية فيخشاها الناس ويتجنب الجنود لقاءه أو التصدى له .

وفى معركة بين قائد الوند ميرزا وقائد اسماعيل الصفوى استطاع قائد القزلباشية أن يقتل ألف رجل من قوات الوند ميرزا قبل أن يقتل هو فى المعركة فتولى قيادة الجيش الصفوى قائد آخر انتقم لقتل قائده بقتل خمسة الاف رجل من جيش الوند ميرزا (٢٥)

اما فى المعركة التى دارت بين الشاه اسماعيل الصفوى والوند ميرزا اق قويونلو شخصا فقتل فيها من رجال الوند ميرزا ثمانية عشر الفا ، وفر الوند ميرزا من الميدان فاستولى الشاه اسماعيل على كل امواله وسرادقه وجمع رؤوس القتلى لمشاهدتها واستعراضها (٢٦) بعد كل هذه المذابح بين المسلمين .

#### فرض المذهب الشيعى :

جرت مراسم فرض المذهب الشيعى فى مدينة تبريز العاصمة ، وتقول كتب التاريخ ان رجال الشاه اسماعيل الصفوى كانوا قد حذروه من خطورة الاقدام على ذلك الامر ، وقالوا له ان ثلثى سكان مدينة تبريز من اهل السنة ، وان اعلان المذهب الشيعى قد يؤدى الى قيامهم بالثورة ضده مما قد يعرض ملكه للخطر : ولكن اسماعيل الصفوى قال لهم ان الامام على قد كلفه بهذه المهمة . ثم امر القزلباشية بالتواجد فى المسجد الجامع فى يوم الجمعة الذى حدده لاعلان المذهب رسميا . وذهب الشاه اسماعيل وحمل القزلباشية سلاحهم كاملا ، وصعد اسماعيل الصفوى المنبر وهو شاهر سيفه ، وعندما قرأ الخطبة باسم الامام على وائمة الشيعة ، حدثت مهمة بين المصلين ، فاطبق عليهم

(٢٤) عالم اراى صفوى ص ٦٠

(٢٥) عالم اراى صفوى ص ٦١

(٢٦) نفس المرجع ص ٦٤

القرلباشية وقال لهم المشاه اسماعيل « تبرأوا (٢٧) والا فان القتل  
جزاء من يرفض البرؤ » فتبرأوا جميعا من شدة الخوف \*

وخرج قائد التبرائين يسير امام المشاه اسماعيل الصفوى يحمل  
فى يده تبرأ (٢٨) وهو يردد عبارات التبرؤ وكل من لا يريد ما تعده  
ويلعن الخلفاء الثلاثة يقطع رأسه فوراً \*

وإذا كان هؤلاء المساكين قد تشيعوا حفاظا على أرواحهم فان  
اسماعيل الصفوى حين خرج من تبريز لمحاربة الوند ميرزا ، عاد الوند  
ميرزا من طريق اخر غير الذى خرج منه اسماعيل الصفوى ، وانقض  
على مدينة تبريز التى تشيعت بحد السيف وانتقم من أهلها فقتل منهم  
نحو سبعة آلاف لتغيير مذهبهم \*

ما السبب فى فرض التشيع ؟

قلنا أن القبائل التركية التى أسرها تيمور فى حملته على آسيا  
الصغرى ثم تركها فى أربيل للشيخ على سياه بوش بزعم أنهم من  
مريديه الذين يتميزون بالعمامة الحمراء كانوا هم القوة الدافعة  
والمحركة للصفويين طوال حكمهم ، وكانت هذه القبائل نائمة على  
بنى عمومهم من الأتراك العثمانيين الذى وصلوا إلى حكم آسيا الصغرى  
ثم الخلافة الإسلامية ، وكانت تشعر أنها خرجت من بلادها كاشغرى  
لتيمور لئلا يحنون بالعودة إليها ولكن حرمة حزب المسلم ضد المسلم  
وقتل المسلم للمسلم كانت سائدة فى إيران كما فى غيرها من بلاد

---

(٢٧) التبرؤ والتولى أى التبرؤ من خلافة أبى بكر وعمر  
وعثمان لانهم تولوها بغير حق فى نظر الشيعة ثم الاقار بولاية على من  
بن أبى طالب وبقية أئمة الشيعة الاثنى عشر وقد يغالى بعضهم بلعنهم  
ومعهم السيدة عائشة لوقوفها من حرب الجمل \*

(٢٨) التبرؤ أو الطبر فأس يستخدم فى قطع الأشجار ويستخدمه  
الجزائرون فى العراق والسودان فى تقطيع اللحوم وفى مصر بسدنى  
بطنة \*

المسلمين وتحد من الحماس للمقتال خاصة ضد الاثراك في اسيا الصغرى . كما ان فكرة الانضمام للخلافة الاسلامية او الخضوع للخليفة التركي الذي كان يلقب بامير المؤمنين كانت تجد صدى بين الكثيرين . ولهذا فان مجابهة كل هذه المشاعر الدينية كان لا يمكن مقاومتها الا بتغيير المذهب الشائع في ايران من التسنن الى التشيع والفلو في المذهب لاثارة العداء بين المذهبيين ودفن الناس الى الحرب يوازع الحفاظ على المذهب .

ولهذا كان لا بد للشاه الذي جلس على عرش ايران وفرض المذهب الشيعي بحد السيف ان يكتسب الصفة الدينية الى جانب الصفة الدنيوية ولهذا رضع لفكرة « ولاية الفقيه » وطلب من علي بن عبد العسال الكركي العاملى كبير علماء الشيعة بجبل عامل بلبنان ان يوطد له دعائم السياسة والملك ويجيز جلوسه على كرسى الملك والحكم باسم الولاية العامة التى هي من صلاحيات الفقيه (٢٩) . وبهذا أصبح الشاه اسماعيل بصفته الدينية يعلو فوق اى سلطة اخرى فى الدولة .

من ناحية اخرى فان الفقيه او الامام عند الشيعة له الصق فى خمس مكاسب ودخل كل فرد شيعى . ولك ان تتصور ضخامة المبالغ التى يحصل عليها مجتهدى الشيعة بسبب منصبهم الدينى وهو يزيد عما تحصله الدولة من ضرائب . وكانت خزائن ملوك الصفوية مكسدة بثروات واحوال تتحدث عنها كتب التاريخ . بسبب جمعهم للخمس الى جانب الضرائب الاخرى .

عودة للقتل والحرق :

بعد ان استقرت امور العاصمة تبريز وما حولها توجه الشاه اسماعيل الصفوى الى مازندران سنة ٩٠٩ هـ فتحصن حاكمها حسين

---

(٢٩) الشيعة والتصحيح ص ٧١ .



كيا فى قلعة « حبله رود » فقطع اسماعيل الصفوى الماء عنها حتى استسلم كل من كان بها وامر رجاله فأحرقوهم جميعا رجالا ونساء واطفالا وكهولا مع بيوتهم وحصونهم • اما ملكهم حسين كيا (٣٠) فسجنه فى قفص من حديد وأخذ فى تعذيبه حتى مات - أو انتحر كما تذكر الروايات المختلفة - فاحتفظ بجثته حتى احترقت بعد ذلك جمعا سنرى •

وكان الشاه اسماعيل اثناء حصاره لحسين كيا قد تلقى نبا عن عصيان محمد كره حاكم اقليم يزد ، فتوجه بجيشه الى هناك وحاصر المدينة ثم دخلها القزلباشية بعد شهرين وقبضوا على مصدر كره وحبسوه فى قفص حديدى وقتلوا بقية رجاله •

ولما كان التركمان الجغتائيون فى طبرس (٣١) قد رفضوا قبول المذهب الشيعى ، فقد اتخذ من الرسالة التي ارسلها اليه اميرهم ذريعة لكى يتوجه بجيشه الى هناك ( اوائل شعبان سنة ٩١٠ هـ ) « وانطقات شعلت غضبه من كثيرة ما اراقه من الدماء » حيث قتل فى هذه المذبحة سبعة الاف من الترك الجغتائيين • وذاع خبر هذه الذبحة فى ارجاء خراسان فعمها الذكر والخوف من بطش الشاه اسماعيل وقسوته وعنف القزلباشية واعاد للازهان ما فعله المغول على يدى جنيكز وهولاكو •

ومما ترويه المصادر عن الخوف والفرع الذى استولى على اهل السنة فى ايزان انذاك قصة العلامة الدوائى امام ومدرس المذهب الشافعى فى المسجد العتيق فى شيراز « اذ ما كاد والى شيراز يبلغه بأمر الشاه اسماعيل بضرورة ترك مذهب اهل السنة واعتناق التشيع

---

(٣٠) هو كيا امير حسين جلاوى - عالم آراى صفوى ص ٩٨ •  
(٣١) نقع على حافة الصحراء الكبرى الايرانية وتسكنها للان بقايا من القبائل العربية •

من هذه الحادثة ، ولما تولى ابنه السلطان سليم العرش أرسل سفيراً  
آخر هو القاضي خليل لكي يسألهم عن الدافع لهذا العمل القبيح ويطلب  
منهم الكف عن لعن الخلفاء الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان رضى الله  
عنهم (٣٣) .

وفى رد الشاه اسماعيل الصفوى على رسالة السلطان سليم  
العثمانى قال له « ان شاء الله سوف نقطع رأسك التعس يقوّة  
ذراع فاتح خير أمير المؤمنين عليه السلام ونرسله الى ملك البرتغال (٣٤)  
وبعد هذا ذهب الشاه اسماعيل الصفوى الى كربلاء لزيادة قبور  
الامام الحسين ومن هناك أحرم لزيادة قبر الامام على فى الحجف ، (٣٥)

#### استئناف المذابح وارقة الدماء :

بعد ان انتهى الشاه اسماعيل الصفوى الاستيلاء على العراق  
العربى توجه الى لرستان وأرسل الى ملكه رستم رسالة قال له  
فيها انك ان كنت قد رفضت طاعة السنة لانك شيعى بقطرتك ، فاننى  
اطلب منك ان تاتى الى كنى اراك وحتى تبقى فى ملكك الموروث .  
فاستشار الملك رجاله فقالوا له ان السلطان العثمانى بجيوشه لم  
يستطع الانتصار علينا فعدنا تذهب ونقطع الطريق على الشاه  
اسماعيل ونضربه بسيوفنا ، حتى اذا لم نلتصق فاننا سنجعله لا يفكر  
فى غزونا ثانية (٣٦) .

وحين نشبت الحرب قتل فى اول معركة ثمانية الاف من الاكراد

(٣٣) عالم اراى صفوى ص ٤٧٧

(٣٤) عالم اراى صفوى ص ٤٧٣ .

(٣٥) يطوف الشيعة حول قبور الائمة وهم يقرأون ادعية خاصة  
كالطواف حول الكعبة ويخرمون له .

(٣٦) عالم اراى صفوى ص ١٣٠ .



المر ، وقتل من القزلباشيه خمسمائة ماتوا تحت الصخور التي القيت عليهم من قدم الجبال .

ونشبت معركة ثانية مع الاكراد المر هزموا فيها ايضا وقر ملكهم ولكن الشاه اسماعيل صفح عنه لانه اقر بتشييعه .

وقد حرض الملك رستم الشاه اسماعيل على حرب السلطان فياض بن محسن ملك الحويزة لانه كان من العلى اللهية ( ٢٧ ) ، واتباعه يدعون المشعشة . وحين علم السلطان فياض بهذا الغزو ارسل جيشا من ثلاثين الفا ثم اعقبه بجيش اخر من عرب البادية تعداده عشرون الفا ، وقتل ما لا يحصى من المشعشة كما قتل السلطان فياض وخضعت الامواز للصقويين .

#### فتح اصفهان :

بعد هذا توجه الشاه اسماعيل الى اصفهان وحاصرها لمدة ثلاثة اشهر حتى قلت بها المؤمن وكان احد اعيان اصفهان واسمه الرئيس حسين من الشيعة فتآمر مع الشاه اسماعيل وفتح له احد ابواب المدينة فدخلها الصقويون واسروا من كان بها من رجال السلطان مراد اق قويونلظ وعرضوا عليهم التشيع فمن قبله اخلى سبيله ومن رفضه قتل على الفور . اما السلطان مراد اق قويونلظ فقد التجأ الى احدى قلاع المدينة . وتوسطت خالة الشاه اسماعيل - وهي فى نفس الوقت عمة السلطان مراد اق قويونلظ - بين ابن اختها وابن اخيها ، فاشتراط الشاه استماعيل ان يعلن السلطان مراد تشيعه ولكن السلطان مراد قال لها كيف العن الخلفاء الثلاثة ؟ هل من اجل ملعنة من دعى العن هؤلاء الصحابة الكبار ؟ وقرر السلطان مراد الهرب من القلعة والتوجه الى شيراز لجمع جيش جديد .

( ٢٧ ) العلى اللهيه جماعة يالهنون على بن ابي طالب وما زالت لهم بقايا فى العراق وسوريا ولبنان .

ومن الطريف أن ننقل ما جاء في كتاب الشيعة والتصحيح حيث يقول « أن سكان اصفهان كانوا من الخوارج ، وعندما وصلهم أمر الشاه بقبول التشيع أو قطع الرقاب طلبوا منه أن يمهلم أربعين يوماً ليكثر فيها من سب الامام على ثم يدخلوا بعدها في المذهب الجديد . قامهلم الشاه كما أرادوا وهكذا انضمت اصفهان الى المدن الشيعية الاخرى » (٣٨) .

ويقول صاحب كتاب حبيب السير « ذات يوم اشتعل غضب الشاه اسماعيل الصفوي وهو في اصفهان فأمر أن يجمعوا حطباً كثيراً في ميدان المدينة ويضرموا فيه النار ، ثم أمر فالحقوا فيها محمد كره حاكم يزد واتباعه مع جثة حسين كيا ملك مازندران التي كان يحملها معه ، وجماعة اخرى من العصاة ، تم احراقهم في حضور سفين للسلطان بايزيد العثماني اعطوه رمادهم للذكرى (٣٩) .

#### مذابح الحيوانات بعد مذابح البشر :

بعد أن استقرت أمور اصفهان خرج الشاه اسماعيل الصفوي للصيد في منطقة قريبة منها اسمها « لنجان والنجان » ومعه قواده وحاشيته ، وبلغ عدد الحيوانات التي اصطادوها في أول يوم ستة وعشرون ألف حيوان . وفي اليوم الثاني سبعة وخمسون ألف حيوان عبارة عن خمسة وأربعين ألف غزال واثنى عشر ألف حمار وحشي وفي اليوم الثالث قتلوا ستة عشر ألف حيوان . وفي المرة الرابعة قتلوا خمسة عشر ألف حيوان ثم كفوا عن الصيد في هذه المنطقة بعد أن القوا ما كان بها من حيوانات (٤٠) .

---

(٣٨) الشيعة والتصحيح ص ٧١ .  
(٣٩) حبيب السير ج ٤ ص ٣٧٨ وروضة الصفا ج ٨ ص ١٧ .  
(٤٠) حبيب السير ج ٤ ص ٥٢٢ .

## ومعارك الطلاب :

كان السلطان سليم العثماني قبل توليه العرش قد حرص أبناء ذى القدر على استعادة البلاد التي استولى عليها الصفويون منهم في ديار بكر ، فجمعوا جيشا كبيرا وتوجهوا الى قلعة « قرا احمد » فلما علم الموالي الصفوي خرج لملاقاتهم • وحين اصطف الجيشان اطلق جيش ذى القدر كلابهم على الجيش الصفوي وكانت من نوع أوربي مدرب ، فاطلق الصفويون كلابهم وكانت من أصل محلي من ديار بكر ، ودارت معركة شرسة بين نحو عشرة الاف كلب انتهت بفوز كلاب الصفويين وهرب كلاب القدرية من الميدان (٤١) •

بعد انتهاء معركة الكلاب دارت معركة البشر واستطاع الصفويون - مثل كلابهم - الحاق الهزيمة بجيش ذى القدر الذي فر والتجأ الى قلعة « درنا » •

وعاد أبناء علماء الدولة ذى القدر لحرب الصفويين مرة أخرى ودارت بعض المعارك بين الجانبين كانت آخرها تلك التي قتل فيها محمد بك بن علماء الدولة آخر الأبناء السبعة لعلاء الدولة الذين قتلوا جميعا في حروب ضد الصفويين في محاولات للإبقاء على ملكهم ، وقتل معه نحو أربعة عشر ألف جندي واستولى الصفويون على عتادهم ومعسكرهم بما فيه •

## الحرب في الجبهة الشرقية مع الأوزبك :

كان السلطان حسين ميرزا بايقرا - وهو من أحفاد تيمور - يتولى ملك خراسان ومرو والشاهجان وخوارزم وطخارستان وزابستان وقندهار وكابل وبخشان وكانت علاقته طيبة بالشاه اسماعيل الصفوي الذي كان ينظر للسلطان حسين نظرة احترام لكبر سنه ولأنه من سلالة

---

(٤١) رأى صفوي ص ١٤٠ •

ملوك التيموريين . فلما توفى السلطان حسين حدث نزاع بين ابنائه وخاصة بين بديع الزمان ميرزا ومظفر حسين ميرزا وكبلك ميرزا واستطاع محمد خان الشيباني - الذي اشتهر بشاهى بك خان - والذي ارتقى من درجة الخدم (٤٢) الى مرتبة الامارة ان يستغل هذا الخلاف بين الأخوة ويستولى على ملكهم - الذى كان يمتد من اقصى التركستان الى حدود العراق العجمى - وبهذا انتقل حكمه من التيموريين الى الازبك .

بدأ الخلاف يدب بين محمد خان الشيباني المشهور بشاهى بك وبين الشاه اسماعيل الصفوى وكان من اسباب هذا الخلاف الرسالة التى بعث بها الى الشاه اسماعيل وجاء بها « ليكن معلوما للامير اسماعيل اننا - بالسعادة والاقبال - ننوى زيارة مكة المكرمة ، فمصر رجالك لكى يصلحوا الجسور المهذمة التى قد تكون فى طريقنا ، وانا لا اطمع فى العراق الخراب او انريجان ، ولقد امرنا ان تقوم حكومتكم باعداد المؤن واللوازم فى كل مكان نازل به ، وكلما احسنتم الخدمة نلتم رضا وسوف نخلع عليكم الخلع الفاخرة ولا يجب عليكم التهاون فى هذا الامر » (٤٣)

فلما وصلت هذه الرسالة الى الشاه اسماعيل كتب على ظهرها بيتا من الشعر معناه كل شخص ليس عبدا مخلصا للملك ابي تراب (٤٤) لو اخذ الف مدينة ومكة فلا قيمة له ولا حساب وخلع على الرسول واعاده (٤٥) .

---

(٤٢) كان خادما للسلطان احمد ميرزا بن السلطان ابي سعيد للاقچوركان والى ما وراء النهر - عالم اراى عباس ص ٣٦٠ .  
(٤٣) نفس المرجع والصفحة .  
(٤٤) يقصد بالملك ابي تراب الامام علي بن ابي طالب .  
(٤٥) عالم اراى صفوى ص ٢٩٠ .

### موعدنا فى مشهد المقدسة :

وقد أخذت الرسائل تتبادل بينهما ، فمحمد خان الشيبانى يتشدد فى طلب اصلاح الطرق والجسور فى طريقة الى مكة واسماعيل الضفوى يلاينه حتى تحين له فرصة لوقف هذه الاهانات حتى أخبره احد سفراته ان محمد خان كان قد أرسل جيشا لغزو بلاد الخور من اربعين الفا من الاوزيك ولكن لم ينجح منهم الا اربعة الاف . وعندئذ بعث الشاه اسماعيل برسالة الى شامى بك قال له فيها « اننى انوى الطواف بالمرقد المنير لحضرة امام الانس والجن (٤٦) ان شاء الله تعالى وموعدنا فى مدينة مشهد المقدسة » .

وفى سنة ٩١٠ هـ اصدر الشاه اسماعيل اوامره بتعبئة الجيش وتوجه الى خراسان فلما اقترب من مدينة مشهد ترك شامى بك مدينة هراة وذهب الى مرو الشاهجان . وعندما رأى الشاه اسماعيل فيه مرقد الامام على الرضا ترجل عن حصانه وترجل كل جيشه وسار المسافة الباقية الى المدينة - وكانت حوالى عشرين كيلو مترا على قدميه . ولما كان الاوزيك قد حملوا معهم كل نفائس المشهد والمسجد من سجاد فاخر وقناديل وثريات ذهبية فقد امر الشاه اسماعيل باعادة فرشهما بأفخر السجاد ، وكلف الصاغة بعمل القناديل والثريات الذهبية اثناء الليل لكي يتمكن من زيارة مشهد الامام على الرضا وهو على حال لائقة بمقامه (٤٧) .

### من معجزات الامام :

بعد ان استراح الشاه اسماعيل وجيشه لمدة ثلاثة ايام فى مدينة مشهد أراد ان يواصل سيره فى تعقب الاوزيك فقال له قواده « لقد

---

(٤٦) يقصد بامام الانس والجن والامام على بن موسى الرضا المدفون بجوار الخليفة العباسى هارون الرشيد فى مشهد عاصمة اقليم خراسان وهو الامام الثامن عند الشيعة الجعفرية .  
(٤٧) عالم اراى صفوى ص ٢٩٠ - ٢٩١ .



جئنا من اذربيجان مسرعين مما اضعف الخيل وأرهق الجند فلو استقرحت  
فى المدينة بعض الوقت كان أفضل « فقال لهم الشاه اسماعيل « لقد  
نكرتم ما رأيتم أنه الحق والمصلحة ، ولكنى عبد لسيدى الذى لا أشرب  
جرعة ماء دون أذنه ، وكل ما فعلته لئلا كان باذن منه وأمر وسأبرهن  
لكم على هذا . وما علينا الا أن نكتب رسالة اليه نطلب فيها الاذن  
لهذه الحرب ، ونضعها فوق مرقد الامام على الرضا - عليه السلام -  
ونغلق باب الروضة بالقفل وتتولون انتم حراستها حتى اليوم التالى  
لتتأكدوا أن أحدا لن يدخلها » .

وقد فعلوا ما اقترحه الشاه . وفى الصباح عندما ذهب الشاه  
ومعه الامراء والقواد وجدوا مكتوبا على ظهر هذه العريضة بالحبر  
الاخضر « نأذن لكم فانهبوا فان الفتح والنصر لكم » (٤٨) عندئذ سجد  
القادة واخذوا فى البكاء وقالوا للشاه اسماعيل « لقد تبنا وليس  
لنا الحق بعد هذا فى مناقشة ما يقوله المرشد الكامل أو يأمر به » (٤٩)

حينما علم شاهى بيك بدخول الشاه اسماعيل الصفوى مدينة  
مشهد ترك حامية فى مدينة هراة وتوجه الى مرو وانتظارا لوصول  
الامدادات اليه من بلاد ما وراء النهر ، ولكن الشاه اسماعيل  
ارسل بعض قواته فى اثر شاهى بيك فتصدت لها قوات الاوزبك ولكنها  
قتلت ولم يتبق منها الا نحو سبعمائة جندي من أصل ثلاثة الاف اوزبكي  
وفى معركة ثانية قتل نحو ستة الاف وفر الباقون .

وارسل الشاه اسماعيل رسالة الى شاهى بك المتحصن فى قلعة  
مرو يقول له فيها « أين ذلك الغرور حين كنت تأمرنى بأصلاح الجصور  
فى طريقك الى الحج واقامة اللواتم فى كل مكان تنزل به ؟ ان الملوك

(٤٨) نفس المصدر ص ٢٩١ .

(٤٩) المصدر السابق ص ٢٩٣ .

لا يتراجعون عن كلامهم لان ذلك عار كبير ، فأخرج من القلعة والا  
أمرت فتينانى الشجعان أن يهدموا القلعة ويجعلوها اثرا بعد عين (٥٠) .

ودارت معركة قرب القلعة قتل فيها نحو ستة الاف من الازبك  
وفر الباقون ناحية التركستان .

### الحرب خدعة :

رأى المشاه اسماعيل أن يستدرج عدوه خارج القلعة بالتظاهر  
بالانسحاب وفك الحصار وأرسل رسالة الى شاهى بك جاء بها « لقد  
وعدتنا باللقاء فى خراسان ولم تف بوعدك بينما وفيت بوعدى وجئت  
الى خراسان وقد اضطررت للعودة وعندما تستعد للقتال فنحن  
حاضرون » .

### كاس شراب من جمجمة شاهى بك :

حينما شاهد شاهى بك انسحاب الصفوية وفك الحصار عن القلعة  
أغراه الطمع فى مهاجمة مؤخرة اعدائه للانتقام منهم ، وبهذا وقع فى  
الفخ الذى نصبوه له .

فلم يكذب يتعد عن القلعة حتى احاط به القزلباشية ودارت معركة  
عنيفة واضطر شاهى بك للفرار ولكن سوء حظه أوقعه فى مستنقع  
موحل غرق فيه واستطاع أحد القزلباشية اخراج جثته وحملها للمشاه  
اسماعيل الذى أمر بتقطيعها الى قطع صغيرة وأرسل قطعة منها الى كل  
أمير من الامراء الذين كانوا يحتمون بشاهى بك أو يؤيدونه لتحذيرهم  
من نفس المصير . اما رأسه فقد أمر بسلخ جلده وحشاه بالقش وأرسله  
للسلطان بايزيد العثمانى حامى السنة والاتراك الذين ينتمى اليهم  
شاهى بك . اما طاسة جمجمته فقد أمر بطلائها بالذهب وجعلها قدحا

---

(٥٠) عالم أراى صفوى ص ٢٩٨ .

يشرب منه الخمر (٥١) .

مذبحة قرشى وقطاعها وكلابها :

بعد هذه الهزيمة تعهد الأوزيك للصفويين بالألا يتجاوز نهر جيحون غربا ، ولكنهم بعد أن استردوا قوتهم رأوا أن يستعيدوا البلاد التي استولى عليها الشاه اسماعيل ، ولهذا عبروا نهر جيحون فاختر الشاه اسماعيل أحد قواده وكان اسمه . نجم الثانى (٥٢) لمواجهة الأوزيك فجمع نجم الثانى جيوش الصفوية فى خراسان وعبر نهر جيحون دون أمر من الشاه اسماعيل ولكن استنادا لما له من منزلة عنده واستولى على قلعة مدينة اسمها قرشى وأمر بالقتل العام فيها فقتلوا أمير الأوزيك واسمه شيخم ميرزا مع خمسة عشر ألف جندى ، وقد رفض نجم الثانى العفو عن بعض الالهالى الجفنائيين تشفع لهم حليقه محمد باير ميرزا وبهذا بدأت العداوة بينهما . كما أن الأمير محمد يوسف الصدر تشفع لبعض السادات من أهل البيت فلم يقبل شفاعته أيضا ، وقتل عددا كبيرا منهم كانوا يحتمون فى مسجد القلعة ، بل وذهب نجم الثانى بنفسه الى المسجد للإشراف على قتلهم وكانوا نحو خمسة الاف . ولما انتهى من قتلهم أمر بقتل القطط والكلاب فى المدينة ، ثم سوى بيوتها بالأرض وبعد هذا قال - لقد استراح قلبى قليلا ان انتقمتم من هؤلاء الأوزيك للمذابح التى ارتكبها جنكيز وتيمور فى ايران » (٥٣) .

وقد فات نجم الثانى ان جنكيز وجماعته كانوا غير مسلمين ، لها

---

(٥١) عالم أراى عباس ص ٣٨ - وتاريخ هذه الحادثة بحسب الجمل هو « فتح شاه دين بناه » - أى فتح الشاه حامى الدين - وتعالم بالأرقام ٩١٦ .

(٥٢) هو الرئيس يار أحمد خوزانى حامل ختم الشاه اسماعيل وقد لقبه بلقب نجم الثانى بعد قتل حامل ختمه نجم زرجر الرشتى تقديرا له واحياء لاسمه - عالم أراى صفوى ص ٣٠٥ .

(٥٣) عالم أراى صفوى ص ٢٧٢ وعالم أراى عباس ص ٤٠٠ .

هو فقد قتل نحو عشرين ألف مسلم منهم نحو خمسة الف قيل انهم كانوا ينتسبون لأهل البيت رغم شفاعة بعض قواده لهم .

ونذكر مؤلف تاريخ عالم اراى عباس أن ما فعله نجم الثانى كان وبالا عليه ، اذ انه بعد فراغه من مذبحة قلعة قرشى حاصر قلعة اخرى اسمها غجدوان وظال حصاره لها أربعة اشهر جعلت مؤنه تأخذ فى النقصان فلما علم امراء الاوزيك بحالة توجهوا اليه فى جيش مجهز ، وفى الثلاثين من رمضان سنة ٩١٨ هـ هاجموا جيش الصفوية وقتلوا قائد مقدمته كما انسحب محمد بابر ميرزا لغضبه من قتل الجغتائيين فى قلعة قرشى وتراخى قادة القزلباشية فى الدفاع عن نجم الثانى لقسوته وظلمه حتى قتل فى هذه المعركة وعادواهم الى خراسان (٥٤) .

---

(٥٤) عالم اراى عباس من ٤١ .

## بداية النهاية

### معركة جالدران : (١)

بعد عزل السلطان بايزيد العثماني وتولى ابنه السلطان سليم مقاليد الحكم فى استانبول أعلن أخوه أحمد والى أماسية العصيان وقرأ الخطبه لنفسه ، ولكن الوزراء والقواد استدعوه بالحيلة والخدعة الى استانبول حيث قتل ، وارسلوا جيشا لاحضار ابنه مراد الذى طلب المساعدة من الصفويين . ولم يجد مراد امامه الا التوجه الى الشاه اسماعيل الصفوى الذى كان انذاك فى اصفهان ، ولما علم بمقدمة أمر باستقباله استقبالا حافلا خارج المدينة . وحين وصل الى بساب حديقة قصر « نقش جهان » استقبله الشاه بنفسه وأجلسه بجواره وقال له « اطمئن فسأنتقم لايك من عمك السلطان سليم وسأقضى عليه واجعل كل بلاد الروم ( الدولة العثمانية ) لك » . فشكره الامير وقال له انه التجأ اليه لحسن اعتقاده فى الصفويين وليشرف رأسه بلبس تاج الائمة الاثنى عشر ، فخلع الشاه اسماعيل التاج من على رأسه وألبسه للامير وقال له « امامنا نحو شهر ونصف الى أن يحل فصل الربيع وانذاك سنتوجه الى تبريز لجمع الجيش ، وإذا حضر السلطان سليم وفر علينا الجهد والا فستكون معركتنا على شاطئ اسكودر » (٢) .

بعد هذا خرج الشاه اسماعيل للصيد واصطحب معه الامير مراد

---

(١) تكتب بالجميم المثناة الفارسية والتي تنطق كأنها chch بالانجليزية وهو سهل قرب مدينة خوى قرب تبريز عاصمة إقليم اذربيجان فى غرب ايران ويكتبها الذين يترجمون عن المراجع الاوربية تشالديران أو شالديران بالياء وهو خطأ ويحسن كتابتها تشالديران .  
(٢) عالم آراى صفوى ص ٤٧٠ .

فلما رجعوا لمخيمهم ظهرت أعراض المرض على الأمير مراد وتوفي  
بعد ستة أيام .

حين علم السلطان سليم أن ابن أخيه التجأ للشاه استصاعيل  
الصفوى لاستعدائه عليه أخذ في الأعداد للحرب وأرسل مبعوثا للشاه  
اسماعيل يحمل رسالة جاء فيها : « ليكن معلوما للشاه اسماعيل أنك  
أرسلت عدة مرات الى ابينا المخرف فخدعته وأخفته ، فمرة أرسلت  
له رأس شاهى بك ، ومرة قطعة من علم جنكيز خان ، ولهذا السبب  
خلعناه . وقد صممت على الانتقام للماضى وكنت أثوى التوجه  
اليه فى العام الماضى ولكن ثارت مشكلة أخى الذى التجأ ابنه اليك .  
وعلى أية حال يجب عليك أن تقيده وتجعل الإغلال فى عنقه وترسله  
ايضا . وعليك ايضا أن تكف يدك عن ديار بكر ، وتخرج أعوانك  
منها حتى ينتهى ما بيننا وبينك من عداوة وحرب وتحل محلها المودة  
والصداقة وإذا فعلت غير هذا فعليك الاستعداد للحرب (٣٠) .

حينما وصل الرسول الى اصفهان وقدم الرسالة للشاه اسماعيل  
كتب له ردا جاء فيه :

« قرأت رسالتك المركبة التى ذكرت فيها عدم تعقل أبيك وسوء  
تدبيره ، وأرسالنا رأس شاهى بك وقطعة من علم جنكيز اليه . ولقد  
كان أبوك بعيد النظر يعلم أن كل من يخالفنا نسويه بالارض . وظالما  
أن أهواء الغرور قد سيطرت على عقلك ، فان شاء الله سنقطع رأسك  
القعس هذا بقوة ذراع فاتح خيبر - أمير المؤمنين عليه السلام - ونرسله  
الى ملك البرتغال . وقد ذكرت أن ولاية ديار بكر التى ورثناها يجب  
أن أسلمها لاتباعك . وهذه الولاية لم تكن لأبيك إذ أنها كانت من ادلاك  
علاء الدولة ذى القدر أخذها من أولاد حسن أبق قوينلر وأستولى عليها

---

(٣) عالم آراى صفوى ص ٤٧٢ .

رجالى بحد السيف من علاء الدوله الذى كان أجدانك واياؤك بدفعون  
له الخراج والجزية . وليس لك أن تدعى المطالبة بولاية حسن أقي  
قويونلو .

اما فيما يتعلق بالسلطان مراد فقد التجأ الى بلاط كان ومازال  
ملجأ لملوك العالم ونزل ضيفا علينا ، ولا يمكن لمضيف أن يخرج  
ضيفه من بيته . ولما كنت تريد المجيء الينا فقد تلتقى والسلام « (٤) » .

حينما نزل السلطان سليم خارج مدينة ارزبخان أرسل رسولا  
اخر للشاه اسماعيل يقول له « لقد سبق أن أرسلنا لك نخبرك بقدمونا  
لحربك ، ونحن الان نعسكر فى ارزبخان ، فاذا كنت تفكر فى شىء  
فافعله ، وان كنت تفكر فى اللهو والراحة فابعث الينا ابن اخى معززا ،  
فان لم يقبل بالحسنى فقيده بالسلاسل والاعلال وارسله الينا . وعليك  
ايضا أن تكف يدك عن البلاد التى ورثناها حتى تستمر بيننا السداقة  
القديمة على حالها ، والا فموعدنا للحرب سيكون فى تبريز . فاختر  
ما تشاء واخبر رسولنا به وأعدنا اليها فنحن فى انتظار ردك » (٥) .

وصل السفير الى همدان وسلم الرسالة للشاه اسماعيل ، وفى  
نفس الوقت جاءه نعى الامير مراد اثناء نقله من اصفهان الى همدان ،  
وكذلك جاءه نعى طفل كان لمراد عمره عشر سنوات سقط من على  
الحصان وتوفى فى ساعته مما احزن الشاه اسماعيل وجعله يقول  
« اى ذريعة اعطاها هذا الزمان الغدار للسلطان سليم ؟ »

ثم استدعى السفير وقال له « اذهب وأبلغ دعاءنا للقبصر  
( السلطان سليم ) وقل له ان الزمن لم يمهل ذلك الامير . واعتقد  
أنك أرسلت أحد جواسيسك فتتكر فى صورة صديق للامير ثم نس  
له السم ، وكأنك لم تتكف أن تكون يوم القيامة قاتل ابيه ، فهل

(٤) عالم أراى صفوى ص ٤٧٣ .

(٥) نفس المرجع ص ٤٧٥ .

كان يجب أن تحمل وزر ابن أخيك أيضا ؟ . على أية حال لقد أحصنت بعجيتك ، وإن شاء الله ساجلب على رأسك ما تتحدث به الاجيال بعد ذلك . وإذا كنت تريد ديار بكر ، فلم اخذها من أبيك لاننى أخذتها من علاء الدولة ذى القدر بحد السيف وكان قد استولى عليها من حسن شاه التركمانى . ولما كان قد خطر لك ادعاء املاكه فعلى أية حال موعدنا أرضروم . وقد أحسنت بأن أبلغتنا بقدمك « (٦) . ثم قال للسفير « عد فانك ما تكاد تقابل القيصر حتى اكون قد لحقت بك » .

خرج الأشاه اسماعيل من همدان متوجها الى تبريز ومعه نحو اثنى عشر ألف مقاتل هم الذين كانوا يلزمونه بصفة دائمة ، وحين وصل الى تبريز أمر فكتبوا الى كل المدن لاستدعاء الجيش والملحق به . ولكن جاءه الجواسيس وأخبروه أن السلطان سليم وصل الى ارض روم ، ونصحه بعض الامراء بالانتظار حتى يصل بقية الجيش ولكنّه ترك تبريز وتوجه الى سهل جالدران ( تشالدران ) فى أول رجب سنة ٩٢٠ هـ ونزل بجيشه هناك وقال هنا سيكون لقاءنا مع القيصر ، وكان عدد جنوده قد وصل الى نحو ثمانية عشر ألف مقاتل .

فى صباح يوم الاربعاء الثانى من شهر رجب سنة ٩٢٠ هـ اصطف الجيشان وينكر الايرانيون أن الشاه اسماعيل كان قد طلب من السلطان سليم الا يستخدم المدفعية فى هذه المعركة لان الايرانيين لم يكونوا قد ادخلوا الاسلحة النارية فى جيشهم حتى ذلك الوقت وقد وعدهم السلطان سليم بهذا . فلما دارت المعركة ضغط الصفويون على الاتراك واجبروهم على التقهقر فى بعض المواقع . فطلب الصدر الاعظم من السلطان سليم أن يأمر باطلاق المدفعية فقال له السلطان لقد أقسمت على عدم اطلاقها . فقال الصدر الاعظم ، أنت أقسمت ولكننى لم أقسم . ثم أمر باطلاق المدفعية على جيش الصفويين . ويقولون أنه فى أول

---

(٦) عالم ارى صفوى ص ٤٧٦ .



دفعة من نيران المدفعية التركية قتل عشرون ألف عثمانى وسبعة الاف  
قزلباش وذلك لاختلاط الجيشين فى القتال بالسيف والرمح .

وقد قتل أغلب قادة القزلباشية فى هذه المعركة ومنهم خان  
محمد خان استاجلو زوج اخت الشاه اسماعيل ، وسيد محمد كموه  
الذى كان قد سهل للشاه اسماعيل دخول بغداد ، وساروبيره استاجلو  
رئيس الحرس الخاص وغيرهم . ولهذا تفرق جيش القزلباشية ووقم  
كثير منهم فى الاسر . وظل الشاه اسماعيل يعدو فى ميدان المعركة  
بفرسه يحاول جمع شتات جيشه واستطاع انقاذ بعضهم من حصار  
العثمانيين ومنهم قائده وشقيق زوجته دورمش خان استاجلو ومعه  
نحو اربعمائة أو خمسمائة مقاتل وقال له « عد الى تبريز لاننى احاول  
انقاذ من اتمكن من انقاذهم لان « الحضرات » (٧) لم يجيئوا لمساعدتنا  
هذه المرة ومن المؤكد اننى لن استطيع ان افعل شيئاً » (٨) .

وكان الاتراك قد اسروا أحد قواد القزلباشية وهو السلطان على  
ميرزا افشار وقد ادعى انه هو الشاه اسماعيل الصفوى وتختلف  
الروايات فى هذا فنقول بعضها أن الفرسان العثمانيين تعقبوا الشاه  
اسماعيل وكادوا يقتلونه بحرابهم فصاح فيهم هذا القائد قائلاً « اننى  
انا الشاه اسماعيل وانتم انما تتعقبون أحد اتباعى وتظنونه الشاه ،  
فخلوا الشاه اسماعيل وتعقبوا على ميرزا افشار وأسروه ، وبهذه  
الحيلة انقذ الشاه من الوقوع فى ايدى العثمانيين واقتاده بنفسه ،  
وبعد أن حملوه للسلطان سليم تبين لهم انه أحد قواده فقتلوه هناك(٩) .

---

(٧) يقصد بالحضرات الامام على بن أبى طالب ان كان يدعى انه  
يحارب معه فى معركة مما يدفع القزلباشية للاستبسال فى القتال  
وكانوا يقولون « حامى أوزى در » وهى بالتركية ومعناها « جاء  
الحامى » .

(٨) عالم آراى صفوى ص ٤٩٤ .

(٩) عالم آراى عباس ص ٤٣ .

وقد سيطر العثمانيون على المعركة واستطاعوا الوصول الى معسكر الصفوية وحملوا كل ما كان به من سلاح وعتاد ودواب . وهربت زوجة الشاه اسماعيل رهي تاجلوبيجم استأجلو ووضعت قنعا على وجهها وأخذت تقاتل كالرجال ، وقد التقى بها الشاه اسماعيل أثناء محاولاته اليائسة لانقاذ بعض جنوده المحاصرين وطلب منها ان تعود الى تبريز ، وعندما عاد الى تبريز وسأل عنها لم يستدل عليها أحد ان أنها كانت قد أصيبت ببعض الجراح وضلت الطريق في الصحراء الى أن عثروا عليها بعد ثلاثة أيام . وقد عنقها الشاه اسماعيل وهددها بالقتل ان لم تقسم على عدم الاشتراك فى القتال بعد ذلك .

غسوة اليائس :

حين يئس الشاه اسماعيل من المعركة عاد بمفرده متوجها الى مدينة « درجزين » فى الطريق الى تبريز ، واثناء سيره على غير هدى دخل فرسه فى مستنقع موحل وكان كلما حاول الخروج منه ازداد غوصا فيه حتى كاد يهلك . وقد مر على مقربة من خليل خان ذو القدر والى اقليم فارس فارا من المعركة فناداه الشاه اسماعيل لينقذه ولكن خليل خان تغافل عنه وانطلق فى طريقه . وبعد فتره رأى الشاه شخصا آخر عرف من ملابسه أنه من القزلباشية فناداه . وحين اقترب تبين أنه سائسه الخاص فطلب منه أن يلقي اليه بوهقه (١٠) الذى تناوله الشاه اسماعيل وربطه فى وسطه ثم سحبه السائس بجصانه ، فلما خرج الشاه من الوحل ركب حصان سائسه وانطلق وقد استطاع السائس أن ينقذ فرس الشاه من الوحل ثم لحق بالشاه فى درجزين ، وقد كافأه الشاه على هذا بأن منحه ولاية داراب جرد .

أما خليل فان فقد أرسل اليه أمرا بأن يقتل نفسه ففعل

(١٠) الوهق حبل فى اخره أنشوطة وهو الذى نشاهده جاليا فى افلام رعاه البقر ويستخدمونه فى الامساك بالخيل أو الايقار، وأحيانا الافراد وكان يستخدم فى الحروب أيضا .

كان خبر هذه الهزيمة قد وصل الى العاصمة تبريز فلما دخلها  
الشاه اسماعيل اثناء الليل اجتمع عليه من كان قد سبقه اليها من  
القواد والجنود وكانوا نحو سبعة الاف جندي .

دخل السلطان سليم مدينة تبريز عاصمة الصفويين . ولكن المدينة  
كانت شبه خالية من المؤن والاغذية ، ولهذا انتشر بها القحط والغلاء  
فلما رأى السلطان سليم هذا أمر بإخلاء المدينة من الجنود  
حتى يخفف من وطأة القحط . فلما ابتعد السلطان سليم عن المدينة  
نحو عشرة كيلو مترات عاد اليها الشاه اسماعيل الصفوي ويقال أنه  
كان متبقيا بها نحو خمسة وأربعين ألف تركي عثماني انقض عليهم  
الاهالي وقطعوا رؤوس أغلبهم وحملوها على الرماح وخرجوا يستقبلون  
بها الشاه اسماعيل الصفوي . كما دارت بعد ذلك بعض المعارك بين  
الجانبيين اثناء انسحاب العثمانيين الى بلادهم . قتل فيها عشرات الآلاف  
من الجانيين .

#### عودة الاوزبك :

كانت هزيمة الشاه اسماعيل الصفوي قد ذاعت في كل انحاء  
ايران وبلاد ما وراء النهر فتجمع الاوزبك بقيادة عبيد خان وتقدموا  
الى هراة فاستولوا عليها ثم دخلوا مشهد التي اخلاها القزلباشية  
وواصلوا تقدمهم الى نيسابور وسبزوار . وظل الاوزبك في خراسان  
عامين كان فيهما الشاه اسماعيل الصفوي مشغولا بالمحافظة على المناطق  
الغربية لبلاده خوفا من العثمانيين . ولكن عندما علم بوفاة السلطان  
سليم وتولى ابن سليمان القانوني السلطة وانصرافه عن ايران جمع  
جيشه وتوجه من قزوین الى خراسان ليخلصها من أيدي الاوزبك الذين  
اخلوها له وعادوا الى ما وراء النهر ودخل الصفويون مشهد وهرات  
دون قتال (١١) .

(١١) عالم أراى صفوي ص ٥٧٥ - ٥٧٧

وكان ملوك الكوج قد انتهزوا فرصة انشغال اسماعيل الصفوى وارانوا التقدم لاختلال أردبيل وقزوين العاصمة فأرسل لهم الشاة اسماعيل أحد قواده واسمه ديو (١٢) سلطان فحاض عدة حروب ضدهم واستطاع الاستيلاء على كثير من مدنها ومنها شيروان وتقليس أنهكت كل هذه الحروب وخاصة هزيمة جالدران صحة الشاة اسماعيل الصفوى ويقال هذه أنه أصيب بنوع من الانطوائية والحزن أدت فى النهاية الى أصابته بالسل وتوفى فى عنفوان شبابه سنة ٩٣٠هـ وكان انذاك فى الثامنة والثلاثين من عمره وأرخوا يوم وفاته بحساب الجمل فى اشعار منها هذا البيب الذى ترجمته .

كانوا يصيحون يوم وفاته شاه وشاه وشاه

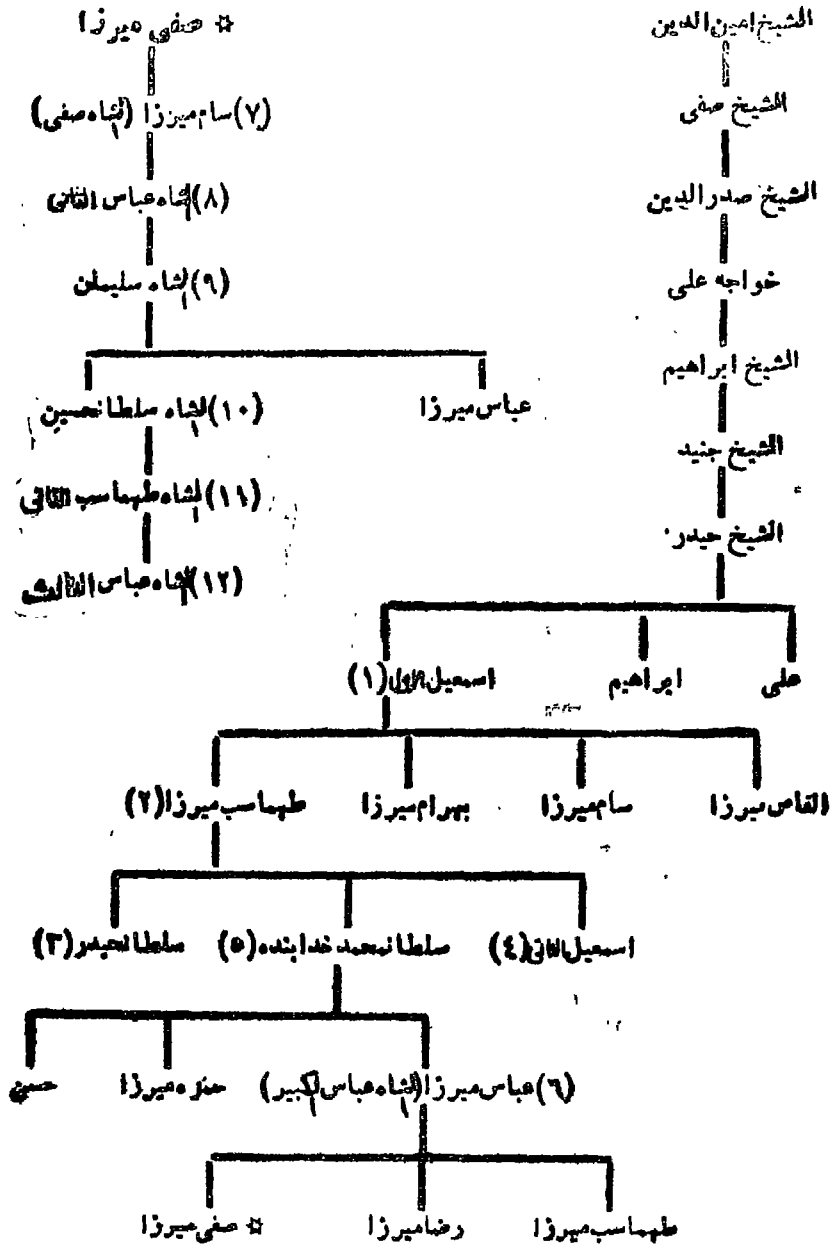
وقد جعلت هذه الكلمات تاريخ وفاته

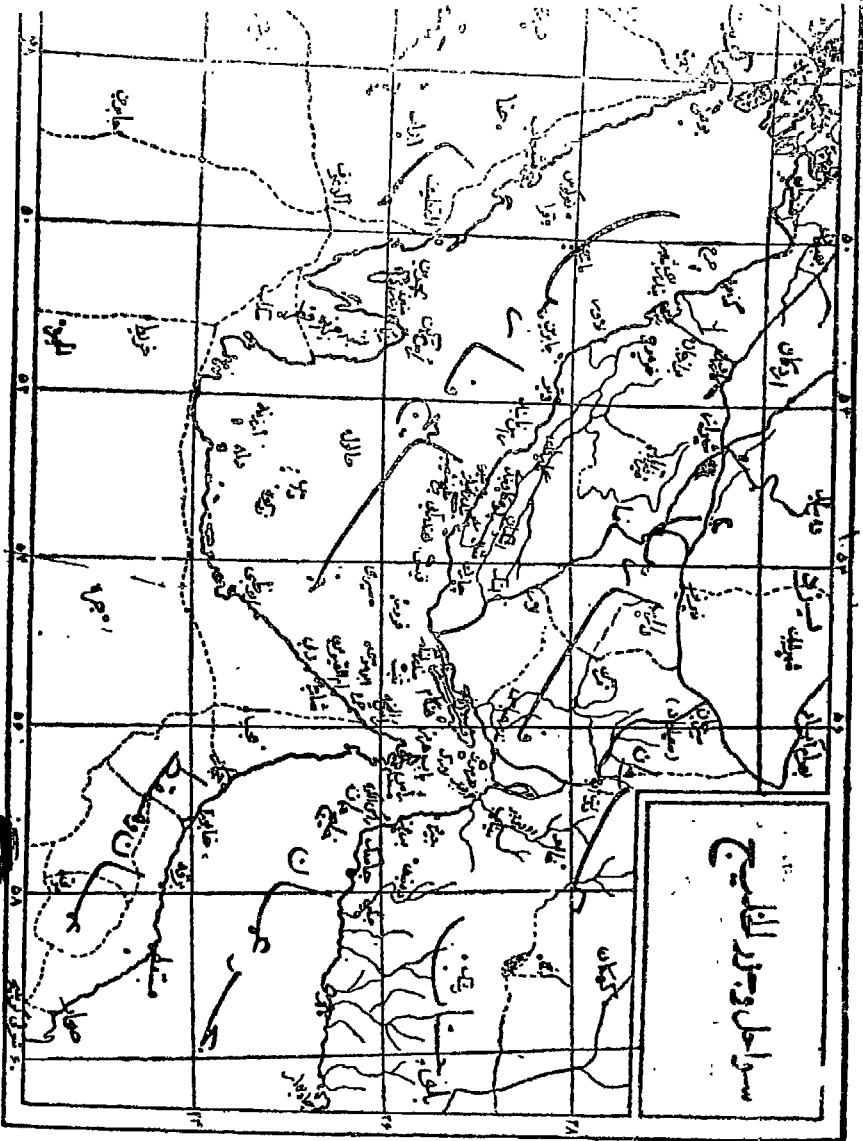
وهكذا انتهت حياة الشاه اسماعيل الصفوى الذى أسس دولته على أساس مذهبى متطرف ومتشدد لكى يستغل الوازع الدينى والعاطفة المذهبية حتى يحارب المسلم أخاه المسلم وقد قتل على يديه مئات الألوف من المسلمين دون ذنب أو جريرة الا عدم دخولهم فى مذهب وان كانت هذه الدولة قد أدت الى وحدة ايران أو قوتها بعض الوقت الا انها أدت الى فرقة المسلمين واحداث صدع فى الاسلام أدج الى انحطاط المسلمين وفناء قوتهم فوقعوا فريسة سهلة للاستعمار الأوروبى والروسى مما لازلنا نعانى آثاره حتى اليوم .

---

(١٢) تنطق « ديف » ومعناها الشيطان وهى devil

شجرة نسب سادات الصفوية











## علاقات ايران مع البرتغال واسبانيا

تبتدىء علاقة ايران مع حكومة البرتغال فى العصر الصفوى منذ عهد الشاه اسماعيل الاول فبعد أن أطاح السلطان العثمانى محمد الفاتح فى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) بامبراطورية الروم الشرقية وسقط ميناء القسطنطينية فى أيدي الاتراك ، أغلق طريق التجارة بين أوروبا وآسيا بسبب استيلاء الاتراك وسيطرتهم على شرق البحر الابيض وآسيا الصغرى والشام ولهذا اضطر التجار البندقيون والبرتغاليون الذين كان لهم اهتمام شديد ببيضائع الدول الاسيوية وخاصة الهند ، للبحث عن طريق آخر يوصلهم الى تلك البلاد .

وقد اتجه تجار البندقية الى طريق الاسكندرية والبحر الاحمر، ولكن طمع المماليك فى مصر وسوء معاملتهم ، الى جانب مشاكل أخرى منع استمرارهم فى استخدام هذا الطريق . وفى هذه الاثناء اتجه بعض التجار والبحارة البرتغاليين لاكتشاف طريق الهند عبر جنوب افريقيا ، واستطاع اولهم واسمه بارثلمى ديان (١) ، الالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧م) ودخل المحيط الهندى ، ولكنه لم يستطع الوصول الى الهند فعاد ثانية الى البرتغال . وبعد اثنى عشر عاما أى فى ٩٠٤ هـ ( ٩٨ - ١٤٩٩م ) استطاع القائد البحرى البرتغالى فاسكودى جاما الوصول الى الهند عن نفس الطريق والعودة فى العام التالى الى البرتغال .

وقد أدت رحلة دى جاما الى انشاء مستعمرات برتغالية فى

Barthelemy Diay

(١)

الهند وأغلب مناطق آسيا ، والى زيادة مكائتها الدولية حتى أن ملوك البرتغال أخذوا يطلقون على أنفسهم انذاك لقب « سادة الملاحة والغزو والتجارة مع الهند والحبشة والبلاد العربية ويران ، وعاد فاسكو دى جاما الى الهند مرة ثانية سنة ٩٠٨ هـ ( ١٥٠٢ م ) ووسع منطقة استعمار البرتغال على السواحل الغربية للهند .

قبل أن يصل البرتغاليون الى المحيط الهندى وبحار جنوب اسيا كانت تجارة هذه المناطق فى ايدى العرب المصريين والعمانيين واليمنيين ، ولكن حينما وصل البرتغاليون الى الهند جعلوا تجارة الشرق قاصرة عليهم وحدهم وكفروا ايدى العرب عن المحيط الهندى وبحر عمان والخليج ( الفارسى ) . وفى سنة ١٥٠٥م عين شخص اسمه فرانثيسكو دى ألميدا (٢) نائبا لملك البرتغال فى الهند بعد فاسكو دى جاما ، وقد بقى فى منصبه حتى سنة ١٥٠٩م وفى هذه الفترة استطاع أن يثبت اقدام دولته ونفوذهما فى الهند وذلك نتيجة للحروب البحرية التى خاضها ضد المصريين والسودانيين وضد الحكام المحليين الهنود وشرع فى تأسيس شركة تجارية على السواحل الغربية للهند .

وفى سنة ٩١٢ هـ ( ١٥٠٦ م ) أرسلت حكومة البرتغال احد بحارتها واسمه « تريستان داكونيا » (٣) مع ١٦ سفينة و ١٣٠٠ مقاتل ، كما أرسلت معه احد بحارتها المشهورين واسمه « الفونسو دى البوكيرك (٤) » ليعاونه . وبعد مدة من التخييط والضياح استطاعت هذه السفن أن تصل الى موزمبيق ، ولكن بسبب الاختلافات التى وقعت بين القائدين على خط سير الرحلة واتجاهها وهدفها ، ترك داكونيا جزءا كبيرا من السفن الى البوكيرك وجعله قائدا للبحارة وأصدر

Francisco de Olmeda  
Tristan de Cunha  
aerhonso de Olbuquerque

(٢)  
(٣)  
(٤)

اليه أمرا باسم ملك البرتغال كى يستولى على ميناء عدن وسواحل  
البحر الاحمر ويغلق طريق التجارة فى وجه المسلمين عن هذا الطريق  
كما كان البوكيرك يحمل أمرا سرىا بان يعزل فرانشيسكو دى الميدا  
بعد ٢ سنوات ويصبح هو نائب الملك وحاكم الهند من بعده .

ولكن عندما وجد البوكيرك أن قواته غير كافية للاستيلاء على  
عدن قرر أن يستولى على جزيرة هرمز الواقعة على مدخل الخليج  
العربى وبهذا يضع يده على كل طرق التجارة بالخليج .

كانت جزيرة هرمز حتى حوالى القرن الثامن الهجرى تسمى  
«جرون» وكان يوجد ميناء اسمه « هرموز (٥) » على مقربة من ميناء  
ميناب الحالى على ساحل البحر عند ( مضيق هرموز ) وكان يعد  
الميناء التجارى لمناطق كرمان وسيستان ولم تكن به أهمية كبيرة فى  
التجارة العامة آنذاك .

وذكر الرحالة والجغرافيون المسلمون مثل المقدسى والشريف  
الادريسى والاصطخرى أن مدينة هرموز القديمة من آثار أردشير بابكان،  
وعدها مركزا لتجارة كرمان ومعاملاتها وقالوا أنه الى جانب الغلال  
والارز والعنب والنيلة التى كانت تمثل المحاصيل الرئيسية لكرمان  
والتي تصدر من هذا الميناء فقد كانت تصدر منه أيضا الخيول  
الكريمة الى الهند .

(٥) جاء اسم هذا الميناء فى كل الكتب القديمة هرموز أو هرموج  
بالواو ويبدو أن المقطع الاول من هذه الكلمة هو مور أو خور التى  
تعنى ميناء أو مرسى فى أكثر أسماء سواحل بحر عمان والخليج مثل  
خور موسى وخور فكان وخور ببيان وغيره ،  
كما أنها قد تعنى الخليج أو المستنقع مستعمله بكثرة فى العراق  
بهذا المعنى أما كلمة موروز فهى تحريف أو لهجة فى كلمة موج  
وعلى هذا فالاسم يعنى ميناء الموج ويلاحظ أن اسم مورزه اسم  
شائع للبنات فى الخليج وهو يعنى موجه تأثرا بالبحر .

وكتب ماركو بولو التاجر البندقى فى رحلته وصفا لهرموز وأحولها  
الاجتماعية والتجارية ، ومدح الخيول الايرانية الممتازة التى كانت  
تصدر من ميناء هرموز الى الهند كما وصفها الجغرافيون الاسلاميون  
ايضا .

ومنذ اواخر القرن الخامس الهجرى كان يحكم ميناء هرموز  
سلسلة من الامراء العرب ليس لدينا علم كامل عن مؤسسهم أو أول  
من حكم منهم ، وكل ما نعلمه أن الأمير الثانى عشر لهذه السلسلة  
وهو ركن الدين محمود وصل الى الامارة سنة ٦٤٤ هـ . وكان امراء  
هرموز يتبعون انايكة فارس ثم القراختائيين فى كرمان ويدفعون لهم  
الخراج وبعد ذلك أطاعوا حكام المغول فى فارس والشيخ ابا اسحق  
اينجو وآل مظفر (٦) . وفى سنة ٧٩٩ قبلوا الدخول فى طاعة الامير  
تيمور لئلا ومع انهم كانوا مستقلين فى الظاهر ويحكمون جزر  
البحرين وبلاد عمان الا انهم كانوا دائما يدفعون الخراج لامراء فارس  
وكرمان .

وفى نحو عام ٧٠١ هـ انتقل الامير بهاء الدين ابن الامير الخامس  
عشر لهرموز من ذلك الميناء الى جزيرة جرون مع جميع الاهالى  
وذلك بسبب هجوم المغول الجفتائيين ( ٦٩٩ - ٧٠٠ هـ ) وغيروا اسم  
تلك الجزيرة الى هرمز نكرى لموطنهم القديم وأسسوا هناك مدينة جديدة .

وقد كتب الرحالة المسلمون والاوربيون كثيرا عن مدينة هرمز  
الجديدة وعن بينهم أحد الرحالة الاوربيين واسمه « فرير أوردوريك (٧)

---

(٦) آل مظفر حكموا شيراز وجنوب ايران ٧١٨ - ٧٩٥ هـ ،  
وأبو اسحق اينجو حكم شيراز فى منتصف القرن الثامن وينسب الى  
ابى عبد الله الانصارى ( المترجم ) .

وقد عاش فى النصف الاول من القرن الثامن الهجرى وزار هذه المدينة يقول « لمدينة هرمز سور وقلعة حصينة والجزيرة التى تقع فيها هذه المدينة تبعد خمسة أميال عن ساحل ايران ويوجد فى هذه الجزيرة بضائع قيمة مختلفة » .

وجاء بعده ابن بطوطة الرحالة المعروف الذى زار المدينتين القديمة والجديدة فى أواسط القرن الثامن فقال « وهرمز مدينة على ساحل البحر ، وتقابلها فى البحر هرمز الجديدة وبينهما فى البحر ثلاثة فراسخ ، وهرمز الجديدة جزيرة مدينتها تسمى جرون وهى مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهى مرسى الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند الى العراقيين وقارس وخراسان وبهذه المدينة سكنى السلطان، وطعامهم السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة وعمان ، والماء فى هذه الجزيرة له قيمة وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة يجتصع فيها ماء المطر » (٨) .

ووصف الرحالة الاوربيون الذين زاروا جزيرة هرمز فى القرن العاشر الهجرى هذه الجزيرة بالجمال ورواج التجارة وكتب أحدهم يقول « أحيانا كان يجتمع فى مرساها أكثر من ثلثمائة سفينة من الدول المختلفة ، ويقوم فى هذه المدينة أربعمائة تاجر بصفة دائمة وأكثر تجارة هرمز هى اللؤلؤ والحريير والاحجار الكريمة والتوابل (٩) » .

وكتب آخر يقول « جزيرة هرمز أكثر جفافا من كل جزر العالم ولا يوجد فى أرضها غير الملح ويأتون بأغذية أهلها وما يحتاجونه من ايران ويشاهد فى هذه المدينة تجار كثيرون من مختلف الامم يعملون فى تجارة التوابل والاقمشة الحريرية والسجاجه الايرانى

(٨) مهذب رحله ابن بطوطة ص ٢١٥ .

Ludovig Wartheman

(٩) رحلة لودفيج وارتمان

الذى زار الجزيره عام ٩٠٩ هـ قبل حملته البرتغاليين .

ويحضرون الى جزيرة هرمز لالىء كثيرة من البحرين ، وترسل الخيول  
الايرائية الاصلية المصدرة الى الهند الى هذه الجزيرة أولا (٢٠) ،  
وقد اشتهرت جزيرة هرمز فى ذلك الوقت فى اوزيا بالجمال  
والثروة والعظمة حتى مدحها لويز فان دى كامونز (١١) الشاعر  
الوطنى البرتغالى المشهور فى منظومته لوسياذ فقال « ايران هذه  
الدولة العظيمة ذات المفاخر ورجالها الايطال الشجعان الذين يتباهون  
بقوة سواعدهم الحديدية الضاربة بالسيف وكذلك جزيرة جـرون  
اعجوبة العصر التى اصبحت فى المشهرة والجاه مكان المدينة القديمة  
لاتبعدهما عن ذكرالك » .

وكانوا يقولون فى المشرق على سبيل المثل « اذا كانت الدنيا  
خاتما فان هرمز هى فسه » وظلت مدينة هرمز الجديدة نحو مائتى  
عام ذات أهمية واعتبار وقوة وحينما استقر أمراء هرموز القديمة  
فى جزيرة جرون أخذوا ييسطون نفوذهم شيئا فشيئا على جزر كيش  
( قيس ) والبحرين وحدود البصرة (١٢) .

---

(١٠) رالف فيتش Ralph Fitch الرحالة والتاجر الانجليزى  
الذى جاء الى جزيرة هرمز حوالى ٩٨٦ هـ ( يرجع الى كتاب الخليج  
الفارسى تأليف سير ارنولد ويلسن طبع ١٩٢٨ ) .  
(١١) لويز فان دى كامونز Luiz Van de Camoens من شعراء  
البرتغال المشهورين ويعدونه مثل هوميروس اليونانى وفرجيل الرومانى  
ولد ١٥٢٥ م (٩٢١هـ) وتوفى ١٥٨٠ ( ٩٨٨ هـ ) وعاش حياته فى الهند  
والصين ومنظومته لوسياذ Luslades من أشهر الاعمال  
الادبية الاوربية .

(١٢) كتب الامير الحادى والعشرون لجزيرة هرمز والمدعو  
نوران شاه بن قطب الدين تهتمن كتابا فى تاريخ ايران وتاريخ امراء  
هرمز وحكومته واسرته بالنثر والشعر الفارسى ويظهر أنه كان يسمى  
« شاهنامه » وقد نقل أحد الرحالة البرتغاليين وهو بدرو تكستيرا  
Pedro Texeira والموالود ١٥٧٠ م (٩٧٧ هـ) مختصرا من هذا  
=

حملة الفونسو دي البوكيرك على جزيرة هرمز :

سبق أن ذكرنا أن الفونسو دي البوكيرك توجه إلى الخليج في عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧م) مع ست سفن للاستيلاء على هرمز ، فاستولى في طريقه على مدينة مسقط على الساحل العماني والتي كانت مدينة كبيرة كثيرة السكان وتدفع الخراج لامير هرمز ، كما استولى على بعض موانئ عمان وأشعل فيها النار ثم ألقى مراسيه في مواجهة مدينة هرمز الجديدة ، وحينما رأى مرافقوا البوكيرك عظمة مدينة هرمز وسفنها الحربية وجيشها المجهز الذي استعد على الساحل شعروا بالخوف وترددوا فيما هم مقدمون عليه .

في ذلك الوقت كان أمير هرمز غلاما عمره ١٢ عاما اسمه سيف الدين ، وكان أحد رجاله يسمى العطار وكان قديرا شجاعا يتولى حكم الجزيرة كنائب للأمير ، وحينما علم هذا الرجل بحمله البوكيرك جمع على الساحل اربعمائة سفينة بين صغيرة وكبيرة مع الفين وخمسمائة مقاتل كما استأجر من الدول المجاورة مثل ايران والجزيرة العربية كثيرا من الرجال المضارين وجهز جيشا من ٣٠ ألف رجل مسلح كان من بينهم أربعة آلاف نابل ماهر (١٣) .

ابتداء البوكيرك فطالب من أمير هرمز أن يخضع لملك البرتغال ويدفع له الخراج ، فلم يقبل العطار طلبه ومع كثرة جند العطار وقلة

---

الكتاب في وصف رحلته الذي طبع سنة ١٦١٠ م ( ١٠١٩ هـ ) في مدينة أنفرس البلجيكية وترجم وطبع في باريس سنة ١٦٨١ م ولكن هذا الموجز لا يفيد كثيرا في تاريخ هرمز ولكن يعلم منه أن الامير الثاني عشر لهرمز كان يسمى ركن الدين محمود وحكم لمدة ٣٥ عاما ، ويبدو أن امارته كانت معاصره لرحلة ماركوبولو حوالي عام ١٢٩٢م ( ٦٩١ هـ ) وزار تكسييرا هرمز مرتين الاولى من ١٥٩٣ الى ١٥٩٧ والثانية عام ١٦٠٣ م .

(١٣) نابل أي الذي يستعمل النبال والسهام .

قوات البوكيرك الا انه أصدر امرا بالمقتال وقد انتصر فى حربه وذلك بسبب استخدامه للمدافع والبنادق والأسلحة النارية ، وبهذا أصبح أمير هرمز تابعا لحكومة البرتغال ، وأخذ منه خمسة آلاف اشرفى - وهو العملة المستعملة فى الخليج آنذاك - كغرامة حربية . كما تقرر أن يدفع كل عام مبلغ ١٥ ألف اشرفى كخراج لحكومة البرتغال ، وعقد مع أمير هرمز اتفاقية بالألا يأخذ عن البضائع والتجارة البرتغالية أية جمارك أكثر من مبلغ معين كما تف تجارة هرمز من دفع الجمارك فى البرتغال ، ومنع أية سفينة محلية من الاشتغال بالتجارة فى الخليج دون تصريح من المسؤولين البرتغاليين كما تقرر أن يقيم قلاعا فى الجزر القريبة مثل قشم (طويلة) ونايند وغيرها كما اختير موقع قلعة مورونا فى جزيرة هرمز حيث أقيمت هذه القلعة الحصينة فى أكتوبر ١٥٠٧م (جمادى الثانى ٩١٣هـ) ، كما أسست شركة تجارية كبيرة فى مدينة هرمز وأرسل اليها مقدار كبير من البضائع وأمر البوكيرك بخفض الأسعار تقيضا كبيرا استمالة لأهل الجزيرة .

بعد فترة وجيزة من هذه الأحداث طالب الشاه اسماعيل الأول ملك ايران بالخراج السنوى المعتاد من أمير هرمز ، فاضطر الأمير للاستعانة بالبوكيرك الذى أرسل الى شاه ايران يقول « لقد استولينا على هرمز بقوتنا وقدرتنا وهى مملوكة لجلالة دون ايمانويل ملك البرتغال (١٤) وليس لأمير هرمز حق دفع الخراج لملك غيره والافاننى سأخلعه من امارة الجزيرة ونجلس مكانه شخصا لا يخشى ملك ايران ، - ثم أعطى لمبعوث أمير هرمز بعض طلقات المدافع والبنادق والبارود وقال له « قل لأميرك أن يرسلها الى الشاه اسماعيل بدل الخراج لأن ملك البرتغال أمرنا الا نجيب الأعداء الا بمثل هذه الاشياء ، وتبعه

---

(١٤) Dom Manoel ( Don Emwanuel ) المعروف بالسعيد  
والذى ملك من ١٤٩٥ الى ١٥٢١م ( ٩٠١ - ٩٢٨هـ ) .



أن أنتهى من قلعة هرمز فسوف أهاجم على سواحل الخليج الفارسية ونستولى على كل موانئها وبلدانها الساحلية التى تخضع الآن للشاه اسماعيل ونضمها لاسم ملك البرتغال (١٥) .

وفى عام ٩١٤هـ ( ١٥٠٨م ) اضطر البوكيرك لترك جزيرة هرمز وذلك بسبب الخلافات الشديدة التى ظهرت بين الملاحين وكبار ضباط البحرية البرتغاليين وعاد الى الهند وانصرف عن متابعة فتوحاته فى الخليج . وحينما عزل أليدا فى عام ٩١٥هـ (١٥٠٩م) من منصب نائب الملك فى الهند جلس البركيرك مكانه .

ولقد اضطر البوكيرك لعدم مغادرة الهند لمدة ٣ سنوات وذلك بسبب الضطرايات التى حدثت فى جوا مركز المستعمرات البرتغالية فى الهند . وفى عام ٩١٨هـ توجه للاستيلاء على ميناء عدن ومدينة مكة ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه واكتفى بالحصول على الخراج من جزيرة هرمز .

وفى العام التالى وصل أمر من ملك البرتغال لكى يقوم بالاستيلاء على عدن وباب المندب ويفتح البحر الاحمر فى وجه السفن البرتغالية وقد ذهب البوكيرك هذه المرة فى عشرين سفينة كبيرة وألفين وخمسمائة من الهنود الى ميناء عدن ولكنه لم يتمكن من تحقيق شىء وعاد يائسا للهند .

بعد عودة البوكيرك الى الهند جاءه سفير من قبل الشاه اسماعيل الأول الصفوى وعقد معه معاهدة صداقة (١٦) . وفى نفس العام

---

(١٥) مذكرات الفونسو دى البوكيرك ، نقلا عن كتاب الخليج الفارسى بالانجليزية تأليف السير أرنولد ويلسون .  
(١٦) لا يوجد فى المرجع الاوربية اسم لهذا السفير ولا تفصيلات عن هذه المعاهدة كما أن المصادر الايرانية ليس فيها اشارات الى مثل هذه المعاهدة .

أرسل البوكيرك ابن أخيه مع بعض السفن لاختصاص عرب عدن الذين كانوا قد اعتدوا على المستعمرات البرتغالية ، وبعد أن استولى هذا القائد على بعض سفن العرب التجارية ذهب في ربيع الأول سنة ٩١٩هـ (١٥١٢م) الى جزيرة هرمز لتحصيل خراجها ولكن توران شاه أمير الجزيرة امتنع عن دفع الخراج له لأنه كان قد دخل في حماية الشاه اسماعيل الأول فاضطر للعودة للهند .

بعد عودة هذه الحملة صمم الفونسو دي البوكيرك على الذهاب بنفسه الى جزيرة هرمز لتثبيت دعائم السيطرة البرتغالية عليها ، ولهذا أتجه في شهر محرم سنة ٩٢١هـ (فبراير ١٥١٥م) مع ٢٦ سفينة و٢٢٠٠ جندي الى الخليج « وفي الطريق بلغه انه حدث انقلاب في الجزيرة وأن الوالي الإيراني على مسقط وأسمه الرئيس أحمد قد استولى على الجزيرة وسجن أمير هرمز ، ولهذا أسرع في الوصول الى الجزيرة وأخذ في اطلاق النار على المدينة فاضطر الرئيس أحمد من الخوف الى اطلاق سراح توران شاه أمير هرمز وتصالح مع قائد الاسطول البرتغالي ، واستطاع الجنود البرتغاليون الاستيلاء على قلعة المدينة بسهولة ورفعوا العلم البرتغالي فوق قصر أمير هرمز .

بعد هذه الأحداث بفترة قصيرة جاء سفير آخر من قبل الشاه اسماعيل الأول الصفوي الى البوكيرك ، وعقدت اتفاقية بين الدولتين بالشروط التالية :

١ - تقوم القوات البحرية البرتغالية بمساعدة الحكومة الإيرانية في اخماد الانقلابات التي تحدث على سواحل بلوشستان ومكران .  
٢ - تقوم القوات البحرية البرتغالية بمساعدة الحكومة الإيرانية في غزوها للبحرين والقطيف .

٣ - تتحد الحكومتان الإيرانية والبرتغالية في حربهما ضد الأتراك العثمانيين بالإضافة الى هذا فقد تخاضى الشاه اسماعيل

الصفوى عن جزيرة هرمز ووافق على أن يكون أمير هرمز بعد ذلك  
قابعا لملك البرتغال ويدفع له الخراج ولا تتدخل إيران في أمور  
تلك الجزيرة .

في هذا العام اختار البوكيرك ابن أخيه برف لقيادة القوات  
البرتغالية في هرمز وعاد هو إلى الهند وبعد وصوله إلى ميناء جوا  
توفى في ١٥ ديسمبر ١٥١٥م (ذى القعدة ٩٢١هـ) .

أحوال جزيرة هرمز من وفاة البوكيرك حتى عصر الشاه الصفوى  
عباس الأول .

منذ وفاة الفونسو دي البوكيرك وحتى عصر الشاه عباس الأول  
إلى أواخر القرن العاشر الهجرى كان لحكومة البرتغال نفوذ قوى  
في الخليج ، وكانت سفنهم تحتكر التجارة مع أكثر موانئ جنوب إيران  
وسواحل الجزيرة العربية حتى البصرة عن طريق هرمز التي كانت  
مركزا لتجارتهم في أنحاء الخليج . وكان نفوذهم يزداد يوما بعد يوم  
في هذه الفترة على سواحل إيران ولكن مراكز التجارة في بحر عمان  
والخليج مثل مسقط وهرمز والبحرين كانت تتلاشى وتضعف نتيجة  
لظلمهم وطمعهم .

بعد وفاة البوكيرك تولى نيابة الملك نجل اسمه لوبو سواريز (١٧)  
وفي أثناء فترة حكمه استولى مساعدوه على جمرک جزيرة هرمز بأمر  
من « دى مانول » ملك البرتغال ( ٩٢٩هـ - ١٥٢٢م ) . وقد حدثت  
اضطرابات شديدة بسبب ظلمهم في جزيرة هرمز والبحرين وسواحل  
مسقط وبعض مناطق الخليج الأخرى قتل فيها بعض حراس القلاع  
البرتغاليين - وفي وسط هذه الأحداث تجرأ أمير هرمز وحاصر القلعة  
البرتغالية في الجزيرة ولكن وصلت إلى حراس القلعة مساعدات من

مسقط ولهذا أضرَم الأمير النار فى المدينة لخوفه من الانتقام وهرب الى جزيرة قشم حيث قتل هناك وتولى ابنه الأمير محمد شاه الذى كان فى الثالثة عشرة من عمره الامر من بعده .

بعد ذلك عقد نائب الملك الجديد فى الهند وكان اسمه « دوم دورات دى مفزيس » معاهدة مع الأمير الجديد على شاطئ نهر ميناب واعترف أمير هرمز مرة أخرى بسيطرة ملك البرتغال على هذه الجزيرة وبأقى ممتلكاته ( رمضان ٩٢٩ هـ - يوليو ١٥٢٢ م ) .

كانت هذه الاحداث مقارنة لوفاة الشاه اسماعيل الاول الصفوى وتولية ابنه طهماسب (\*) الاول ، ولم تتخذ فى عهد هذا الملك (طهماسب) أية اجراءات من قبل ايران للاستيلاء على جزر هرمز وقشم والقضاء على نفوذ البرتغاليين فيها وفى باقى موانئ جنوب ايران لانه انشغل طيلة حكمه بالحرب فى الولايات الغربية ضد عدوه العثماني القوي السلطان سليمان القانونى ، أو كان مشغولا برد هجمات الازيك التركمان على خراسان ولم تتح له الفرصة ليتوجه للسواحل الجنوبية .

ومن ناحية أخرى فان القوات البحرية البرتغالية فى المحيط الهندى وبحر عمان والخليج آنذاك لم يكن لها نظير أو منافس ، وكانت هذه الدولة تستولى على كل مراكز التجارة الهامة فى الهند وسواحل بحر عمان والخليج بواسطة اسطولها البحرى وكان استرداد جزر وموانئ ايران الجنوبية ممكنا فى وقت من الاوقات لو أن حكومة ايران اهتمت باعداد سفنها الحربية وقواتها البحرية أو استعانت بحكومة يمكن أن تتساوى مع البرتغال قوة فى البحر ، ولم يتخذ أى من هذين الإجراءين فى عصر الشاه طهماسب الاول ومن بعده أيضا . وظل البرتغاليون دون رقيب أو منافس حتى جاءت السفن الهولندية والانجليزية الى المحيط الهندى وبحار جنوب ايران . وكان العثمانيون فقط يعكرون عليهم حريتهم التجارية من وقت الى آخر .

(\*) تولى ٩٣٠ هـ .

وبعد معاهدة ميناب قام منزيس نائب الملك فى الهند باعادة  
 أمير هرمز الى الجزيرة وعاد هو محملا بغنائم كثيرة الى الهند ، ولكن  
 حين عودته علم أن دوم فاسكو دى جاما (١٨) عين مكانه نائبا للملك ،  
 ويعد فاسكو دى جاما عين شخص اسمه لويو فاز (١٩) ثم تولى هذا  
 المنصب نانو دا كونيا (٢٠) الذى جاء الى سواحل الخليج وجزيرة  
 هرمز فى ٩٣٥ هـ ( ١٥٢٩ م ) ليطلع على أحوال المستعمرات البرتغالية

وفى العام التالى ايضا جاء الى هرمز أحد القواد البرتغاليين  
 واسمه تافاريز دى صوصا (٢١) وكان قد عين عاملا على نواحي  
 البصرة . وكان ملك البرتغال قد كلف هذا القائد بمساعدة حاكم  
 البصرة فى حربه ضد أمير الجزيرة (٢٢) ولكن حين امتنع أمير  
 البصرة عن تسليم سبع سفن كان قد استولى عليها الى القائد البرتغالى ،  
 كما لم يمنع تجارة العثمانيين فى ميناء البصرة فقد أحرق دى صوصا  
 جزءا من ممتلكات هذا الامير ثم ذهب الى هرمز . ويجب أن تعد هذه  
 الحادثة أول حملته برتغالية للجزء العلوى من الخليج . وفى ذلك  
 العام أيضا أرسل نائب الملك فى الهند سفنا الى جزيرة البحرين ،  
 كانت قد قامت ثورة ضد أمير هرمز ولكن السفن البرتغالية هزمت  
 وعادت للهند .

وفى عام ٩٤٩ هـ ( ١٥٤٢ م ) لم يستطع أمير هرمز دفع الخراج  
 لنائب الملك فى الهند كما لم يستطع أيضا دفع مبلغ خمسمائة الف

---

|  |      |
|--|------|
| Dom Vasco de Gama  | (١٨) |
| Lopo Vaz   | (١٩) |
| Nuno de Cunha  | (٢٠) |
| Tavarez de Sausa   | (٢١) |
| (٢٢) يبدو أن المقصود هو أمير جزيرة الخضر أو عبدان من<br>جزر مصب شط العرب . |      |

دوكات ( حوالى ١٢٠.٠٠٠ دولار ) كانت قد أقرضت له ، ولهذا فان مارتيم دى الفونسو (٢٣) نائب الملك فى الهند تغاضى عن المبالغ القديمة واتفقوا على أن يجمع البرتغاليون دخل جمارك جزيرة هرمز، ولما كانت مستحقات حكومة البرتغال تحصل منذ ذلك الوقت من دخل الجمارك فان الخراج المستحق لها لم يتأخر دفعه او تحصيله بعد ذلك .

وقد ابتدأت الحرب بين الاتراك العثمانيين والحكومة البرتغالية فى الخليج منذ عام ٩٥٧ هـ (١٥٥٠م) لانه فى تلك السنة سلم عرب القطيف قلعتهم هناك الى الاتراك كما أخرجوا أمير البصرة من مقر امارته ، فاضطر أمير البصرة الى طلب المساعدة من الفونسو دى نورونيا (٢٤) نائب الملك الجديد فى الهند فى مقابل موافقته على اقامة البرتغاليين لقلعة فى ميناء البصرة ، وقد أرسل نائب الملك ١٩ سفينة وألف ومائتى مقاتل بقيادة أنطونيو دى نورونيا لمساعدة أمراء القطيف والبصرة ، وبعد أن دمر نورونيا قلعة القطيف توجه الى البصرة ولكن أحد باشاوات الاتراك خدعه وأعادته الى هرمز ولم يستطع استرداد البصرة .

وفى نفس هذه السنة أرسلت الحكومة العثمانية أحد قوادها واسمه بىر بك على رأس ١٦ ألف جندي وبضعة سفن الى الخليج وانتصر بىر بك على السفن البرتغالية التى أرسلت لمحاربه انتصارا ، أخفا واستولى على ميناء مسقط بعد أن حاصره ١٨ يوما ، كما أمر القائد البرتغالى ، ومن هناك ذهب الى جزيرة هرمز وهو يحمل كثيرا من الغنائم الحربية وهاجمها ، ولما لم يستطع فتح قلعتهسا البرتغالية نهب المدينة وذهب الى جزيرة قشم ومنها عاد للأراضى العثمانية محملا بغنائم وافرة ولكنه قتل فى القسطنطينية عام ٩٥٩هـ

Martim de Alfonso  
Alfonso de Noronha

(٢٣)  
(٢٤)

بعد حملة بيزر بث أرسلت الحكومة العثمانية قائد آخر اسمه مراد بك مع ١٥ سفينة حربية الى الخليج ودارت حروب شديدة بين السفن العثمانية والسفن البرتغالية على السواحل الايرانية وبعد عام واحد تمكن البرتغاليون من القضاء على السفن التركية التي كان يتولى قيادتها قائد اسمه على شلبي ، وبعد هذا استردوا سلطتهم المطلقة على سواحل الخليج .

وقد أعاد العثمانيون الهجوم عدة مرات على جزر البحرين وميناء مسقط وبعض موانئ الجزيرة العربية الاخرى التي كانت خاضعة للبرتغاليين ولكن هذه الحملات لم تكمل بالنجاح وفي هذه الاثناء اندلعت الحرب بين والى لار وأمير هرمز واستطاع أمير هرمز أن ينتصر على والى لار بمساعدة البرتغاليين واستولى على قلعة شميل التي كانت تحت سيطرته .

كانت العلاقات البرتغالية الايرانية فى عهد الشاه طهماسب الاول ( ٩٣٠ - ٩٨٤ هـ ) فى ظاهرها ودية وليس فى أيدينا تفاصيل كاملة عنها ولكن ما نعلمه هو أن دون سباستيان ملك البرتغال ( ١٥٥٧ - ١٥٧٨ م ) أرسل السفراء الى بلاط الشاه طهماسب الاول مرتين الاولى سنة ٩٥٨ هـ ( ١٥٥١ م ) والثانية سنة ٩٨٢ هـ ( ١٥٧٤ م ) عن طريق جزيرة هرمز وكانوا محملين بالهدايا والتحف . وقد وصل سفير الملك سباستيان - الذى كان من عظماء البرتغال - فى كثير من الابهة والعظمة الى ايران حتى أن معاونيه - غير المرافقين والخدم - كانوا خمسين شخصا ، ولكن الشاه طهماسب استقبل هذا السفير ببرود لان المسئولين البرتغاليين فى جزيرة هرمز كانوا يسيئون للمسلمين هناك ولم يسمحوا لهم باقامة مسجد ، ولم يأذن لهذا السفير ومرافقيه بالعودة حتى وفاته سنة ٩٨٤ هـ ، ولم يسمح لهم بالعودة الا فى عهد ابنه الشاه محمد خدا بنده .

وفي سنة ٩٨٨ هـ ( ١٥٨٠ م ) أى فى السنة الرابعة من ملك محمد خدابنده خضعت البرتغال لاسبانيا وظلت تابعة لها الى سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠م) أى الى العام الثالث من حكم الشاه صفى .

بعد أن استولى فيليب الثانى ملك اسبانيا الذى كان شديد التعصب للذهب الكاثوليكي على البرتغال رأى أن يرسل سفيرا الى ايران لثلاثة اسباب :

الاول - ان يمنح شاه ايران لاتباع المذهب الكاثوليكي حرية دينية فى كل ايزان .

الثانى - الا يكف يده عن عداوة وقتال العثمانيين .

الثالث - أن يمنح الرعايا الاسبان امتيازات تجارية .

ولهذا أرسل الى دوم مسكارينيا دى سانتا كروز (٢٥) نائبه فى الهند أمرا لى يرسل رجلا لاثقا كسفير الى البلاط الايرانى ، ولكن نظرا لان الاوضاع المالية لنائب الملك فى اللند آنذاك لم تكن تسمح بإرسال سفير عظيم وتحمل نفقاته الباهظة ، لهذا رأى المجلس الاستشارى لنائب الملك ان يرسل قسيسا اسمه الاب سيمون مورالس (٢٦) كان يعرف الفارسية ويتحدث بها ، وقد استقبل الشاه محمد هذا للبعوث بالترحاب وأمره أن يدرس علوم الرياضية والفلك لابنه الأكبر حمزه ميرزا . وقد تفاضى الشاه محمد خدابنده عن المفاوضات الودية والصلح مع الأتراك بناء على طلب هذا القسيس . ولكى يوطد أواصر الصداقة بين ايران واسبانيا فقد أرسل الشاه محمد خدابنده سفيرا من ايران مع القسيس الاسبانى أثناء بعودته وقد توجه السفير الاسبانى وسفير ايران الى أوروبا على ظهر سفينة اسمها « رحلة سعيدة » ولكن هذه السفينة - على غير ما يتوقع من اسمها - تعرضت لعاصفة على الساحل الشرقى لأفريقيا ، وحملت جميع مسافريها الى العالم الآخر .

Dom Mascarenha de Sonta Cruz

(٢٥)

Pere Simon Morales

(٢٦)



## العلاقات الإيرانية الإسبانية في عهد الشاه عباس الكبير

اتسعت العلاقات الإيرانية مع الدول الأوروبية في عهد انشناه عباس الاول وجاء كثير من السفراء من قبل ملوك أوربا ، أو سافروا من إيران الى أوربا لعقد معاهدات سياسية ضد الاتراك العثمانيين أو معاهدات تجارية بين دولهم وإيران .

ففي سنة ١٠٠٧ هـ ( ١٥٩٩ م ) جاء الى إيران قسيسان برتغاليان أحدهما من جماعة الفرنسيسكان (١) واسمه الفونسيو كورديزو (٢) والثاني من جماعة الدومينيكان (٣) واسمه نيكولاو دي ميلو (٤) وذلك عن طزيق جزيرة هرمز وقابلا الشاه عباس في مدينة اصفهان وقدم نيكولاو دي ميلو نفسه على أنه أسقف هرمز والندوب الخاص لبابا روما وذلك اسبانيا وقد قابل الشاه عباس هذين القسيسين بكثير من المحبة والعطف ومنح نيكولاو دي ميلو صليبا من الذهب مكللا بالماس والفيروز والياقوت واستفسر منه عن الدين المسيحي والمركز الديني للبابا . وقد كتب جورج مانورينج أحد مرافقي الاخوين شيرلي عن هذين القسيسين فقال « جاء قسيس من جماعة الفرنسيسكان الى اصفهان وقال للسفير أنتوني اننى كمسيحي أرجوك انا ورفيقي من

---

(١) الفرنسيسكان أو الاخوة الدينيون الصغار Les freres Mineurs  
أحدى الفرق الكاثوليكية التي أسسها القديس فرانسوا دي أسيس  
Saint francois d' Assise عام ١٢٠٨م (٦٠٤ هـ) من رجال الدين  
المعروفين بهدف التبشير للمسيحية .

Alfonso Cordero (٢)

(٣) فرقة الدومينيكان أو الاخوة المبشرين Les freres prêcheurs  
أحدى الفرق الكاثوليكية التي أسسها القديس دومينيك سنة ١٢١٥م  
(٦١١ هـ) .

Micolao di Melo (٤)

جماعة الدومينيكان وأسقف هرمز أن تحصل لنا من الشاه عباس على اذن بأن نساfer ونتجول فى مملكته بملابسنا الدينية ولا يتعرض لنا أحد ، فقبل السير أنتونى رجاءه ، وحصل له على أمر من الشاه عباس كما أراد ، وفى اليوم التالى رافق القسيس لمقابلة الشاه وقد استقبلهما الشاه عباس بحفاوة بالغة تكريما للسير أنتونى شيرلى وسال نيكولاو دى ميلو قائلا « من اين جئت وأى الدول شاهدت ؟ » .

اجاب القسيس « ان البايا أرسلنى نائبا عنه الى دول المشرق »

فقال الشاه عباس « ماذا تعنى كلمة البايا ؟ رغم انه كان يعرف تماما معناها ولكنه تعمد أن يظهر على غير علم .

فاجابه القسيس « ان البايا هو خليفة المسيح فى هذا السالم وهو يففر ذنوب الناس » فقال الشاه « على هذا يجب أن يكون البايا عجوزا جدا لانه يعيش منذ أيام المسيح حتى الان ويخلفه .

فاجاب القسيس « ليس هكذا ، فقد تعاقب كثير من البابوات منذ زمن عيسى .

فقال الشاه « على هذا يجب أن يكون البابوات من البشر مثلنا وولدوا فى ايطاليا أو فى مدينة روما » .

فرد القسيس « نعم هو هذا » فسأله الملك « ألم يتكلموا اطلاقا مع الله أو عيسى ؟ » فأجابه « لا » .

فقال الشاه « اذن كيف يغفرون ذنوب الناس ؟ اننى لا اعتقد ان شخصا يمكنه غفران ذنوب الناس من دون الله ، أما فيما يتعلق بعيسى عليه السالم فأننى اعترف انه رسول كريم ولا شك انه هو الاخر يمكنه غفران ذنوب الناس وقرات فى الكتب انه كانت له فى هذا الشأن معجزات عظيمة ، وانه بغير أب اذ ان أمه حملته من نفس احد الملائكة ، كنا اننى اعرف قصة صلبه ولهذا فأننى اكره اليهود » .

وبعد اسبوعين اى فى منتصف ذى الحجة عام ١٠٠٧ هـ سمح  
لهما بالعودة الى بلدهما مع السير انتونى شيرلى الانجليزى - الذى  
سنتحدث عنه فيما بعد - وحسين على بك بيات احد قواده المعروفين  
والذين بعثهما الى الدول الاوربية ومن بينها اسبانيا لعقد معاهدات  
سياسية ضد الاتراك العثمانيين .

### سفارة السير انتونى شيرلى الى البلاط الاسبانى

بعم ان قضى الشاه عباس على وجود الازبك فى خراسان عام  
١٠٠٧ هـ واطمان على هذه الناحية عاد الى اصفهان وقرر ان يدخل  
فى حرب مع العثمانيين لكى يسترد الاقاليم (٥) التى اضطر فى بداية  
ملكه للتنازل عنها لتلك الدولة ، وبعم ان اعانة الاخوان شيرلى  
ورفاقها على تنظيم الجيش وصنع المدفعية والبنادق والاسلحة  
الاوربية الحديثة رأى ان يتحد مع الملوك المسيحيين فى اوربا ضد  
الدولة العثمانية . وفى ذى الحجة عام ١٠٠٧ هـ - كما سبق  
الاشارة الى هذا - امر احد قواده الفزلباشية وهو حسين على بك  
بيات ان يسافر الى اوربا كمبعوث له ، وطلب من السير انتونى  
شيرلى ان يكون دليلا لسفيره ويرافقه فى سفره الى اوربا . وكان  
الشاه عباس يرمى الى هدفين من وراء ارسال السفير :

اولها - ان يتحد مع ملوك اوربا ضد الدولة العثمانية .

وثانيهما - ان يعقد معهم معاهدات لبيع حريز ايران الذى كان  
يحتكره شخصيا .

ومن البديهي ان الشاه عباس كان جهتما بالهدف الاول وهو  
استرداد الاقاليم التى فقدتها ايران . اما اقتراح الموضوع الثانى  
فكان فى الحقيقة لاغواء الحكام الاوربيين وجلب موافقتهم على الهدف  
الاول لان اسعار الحريز الايرانى فى موانئ الخليج كانت ارخص كثيرا

منها فى الموانى العثمانية على شاطئ البحر المتوسط ، ولما كان للحريير سوق رائجة فى أوربا فقد كانت الدول الاوربية ترغب فى ان تختص هى بتجارته .

كان قيصر روسيا ايفان الرابع ( المرعب ) ( ٥ ) ، والملكة اليزابيث ملكة بريطانيا قد ارسلتا السفير انتونى جينكينسان (٦) لفتح باب التجارة بين ايران وأوربا عن طريق روسيا فى عصر الشاه الاول جاء بعض السفراء من روسيا لهذا الغرض ولكن حتى ذلك الوقت لم يكن هدفهم قد تحقق تحققا كاملا ، وكانت التجارة الايرانية ترسل الى أوربا عن طريق الاراضى العثمانية أى من تبريز الى طرابزون على البحر الاسود أو من بغداد الى حلب ، ومنذ ان استولى البرتغاليون على جزيرة هرمز أفتتح الطريق البحرى عن طريق الخليج ، ولكن رجال الحكومة البرتغالية كانوا يريدون ان يصبح شراء البضائع الايرانية وتجارها عن طريق الخليج فى ايديهم وحدهم ، ولهذا لم يسمحوا لاي ايرانى قط ان يرسل الحرير او أية بضائع ايرانية الى الهند أو أوربا عن طريق الخليج مباشرة وعن غير طريقهم حتى ان شاه ايران نفسه لم يستطع ان يصدر حرير جيلان الذى كان يحتكره شخصيا عن طريق الخليج ، ولهذا كان الطريق الوحيد لتصدير التجارة الايرانية الى أوربا هو طريق التجارة الزومى أى الاراضى العثمانية، وكان التجار الايرانيون يضطرون لدفع مبلغ كبيرة جدا لرجال الحكومة العثمانية كرسوم جمركية ورسوم مرور .

والى جانب ان هذه الطرق العثمانية كانت اثناء فترات الصداقة بين الدولتين مملوءة بالاحطار بسبب قطاع الطرق فانها اثناء الحروب

---

(٥) ٩٣٦ - ٩٩٢ هـ ( ١٥٢٩ - ١٥٨٤ م ) Ivan IV, le terrible  
(٦) Anthony Jenkinsan

كانت تغلق تماما ولا يبقى طريق للتجارة بين ايران واوروبا .

لهذه الاسباب رأى المشاه عباس أن ارسال سفير الى بلاط ملوك أوروبا أمر ضرورى - وكما سبق أن ذكرنا - كلف حسين على بك بيات والسير أنتونى شيرلى بهذه السفارة ، ومع أن السير أنتونى شيرلى كان فى الظاهر دليلا لحسين على بك الا أنه فى الواقع كان قرينا ومساويا للسفير القزلباشى ، وقد أعطى المشاه عباس للسير أنتونى خطابات اعتماد خاصة تقدمه الى ملوك الفرنج - اى البابا وامبراطور المانيا ومملكة انجلترا وملوك اسكتلندا واسبانيا وفرنسا وبولندا وحكومة جمهورية البندقية - على أنه مبعوثه الخاص ، وفى أحد خطابات الاعتماد هذه كتب :

« ايها الملوك الذين تتبعون دين عيسى ، اعلموا أن سبب الصداقة بينى وبينكم هو هذا الرجل ( يقصد سير أنتونى شيرلى ) ولا شك أننا كنا نريد صداقتكم قبل هذا ولكنه هو الذى ارشدنا الى طريق الصداقة ورفع حواجز الغربة ، وقد جاء هذا الرجل الينا برضاه ، وبناء على ما راه وارفضاه ارسلنا معه أحد رجال بلاطنا اليكم ونحن نعدده فى ايران مثل أخ عزيز وناكل معه فى طبق واحد ونشرب من كأس واحدة ، وعلى هذا فعندما يصل اليكم فيجب أن تنظروا اليه على أنه مندوبنا الخاص وتقوموا بما يقول أو يطلب . . . . . وعندما يعبر البحر ( بحر قزوين ) ويضع قدمه على أرض الملك الموسكوى ( الروسى ) العظيم الذى نتحد معه ونعده كأخ لنا ، فيجب على حكام تلك الدولة جميعا أن يسيروا معه حتى يوصلوه الى موسكو (٦) » .

(٦) كتب شارل شيفر فى مقدمته على كتاب رحلة رفايل دو مانس يقول « أن الملك عباس كان يريد من أنتونى شيرلى أن يذنب فقط الى انجلترا ولكن شيرلى رأى أنه من الافيد أن يتحد مع كل الملوك المسيحيين

وعلى هذا يمكن القول أن السفير الحقيقي للشاه عباس كان هو  
السفير أنتونى شيرلى كما كان يعتقد هو نفسه .

وكانت جميع رسائل الشاه عباس الى ملوك وحاكم أوروبا  
تشتمل تقريبا على النقط والشروط والموضوعات التالية :

١ - يفتح شاه ايران باب الصداقة والاتحاد بسبب اهتمامه  
بالدول المسيحية ورعاياها ، وكذلك لكراهيته للعدو المشترك لهما  
وهو الاتراك العثمانيين .

٢ - يرغب فى الاطمئنان على أنه اذا دخل فى حرب مع هذا  
العدو المشترك لهما فان عبء الحرب كله لن يترك على عاتقه .

٣ - طلب من امبراطور المانيا وبابا روما وسائر حكام أوروبا  
اذا كانوا قد عقدوا أية معاهدات صداقة ومودة مع الاتراك العثمانيين  
أن يلغوها واذا لم يستطيعوا مساعدة شاه ايران ضد السلطان  
العثمانى بكل قواتهم رعاية لمصالحهم ، فلا أقل من أن يساعده فى  
الخفاء طالما كان فى حرب السلطان العثمانى ، وعليهم الا يتعاونوا  
أو يساعدوا العدو بشكل من الأشكال .

٤ - لمح لحكام أوروبا أنه لما كانت جماعة من التجار الفرنج  
( الأوربيين ) قد عقدت اتفاقيات خاصة مع الحكومة العثمانية وأنهم  
يرسلون لها مختلف المهمات العسكرية من مدافع وبنادق وسفن  
وغيرها سواء عن الطريق البرى أو عن الطريق البحرى ، لهذا فان  
عليهم أن يلغوا هذه الاتفاقيات بأسرع ما يمكن .

٥ - نصح حكام أوروبا بأن الحرب والعداوة بينهم إن ثمر الا  
تقوية الامبراطورية العثمانية ومن الافضل أن يقبلوا نصيحته الاخوية  
للخالصة ، وأن يسارعوا لعقد معاهدات صداقة ومودة وان يتحصدها  
حتى لا يفنوا قواتهم التى يجب أن تستخدم فى هزيمة العدو المشترك  
ولا يدمروها بلا بسبب .

٦ - يتعهد الشاه عباس بأن يعد فورا ٦٠ الف مقاتل متجهزين بالبنادق وأى عدد من الفرسان والمشاة التى يراها الحلفاء لازمة للحرب فى حالة ما اذا اتحدت الدول المسيحية معه ضد السلطان العثمانى .

٧ - يعتقد شاه ايران أن الحرب الدفاعية ليس وراءها الا ضياع الوقت والمال وقتل الرجال الابرياء وتعريض الكرامة والحيثية للخطر وأن الدول التى تأخذ بهذا المبدأ تعترف بعجزها .

٨ - بناء على ما سبق فانهم ان رأوا القضاء على الامبراطورية العثمانية واجبا فعليهم ان يهجموا فورا على ممتلكات تلك الدولة من الشرق والغرب وخاصة من ناحية بلغاريا .

٩ - تعهد شاه ايران فى حالة ما اذا قام امبراطور المانيا وملك اسبانيا وبقية حكام أوروبا بمحاربة السلطان العثمانى - بالهجوم على الاراضى العثمانية فورا من ناحية الشرق وفى هذه الحالة فإنه يتوقع ان يرسل الامبراطور وبقية حكام أوروبا سفراء مفوضين تفويضا تاما الى ايران تتخذ اية اجراءات عسكرية برأيهم ومشورتهم .

١٠ - اقترح الشاه عباس عقد معاهدات بين ايران والدول الاوربية شريطة الا تقدم أية دولة من الحلفاء على أى عمل يكون مخافا للسياسة العامة دون مشورة وموافقه الاخرين .

١١ - يعتقد شاه ايران أنه اذا اتحدت ايران مع الحكام المسيحيين لاوريا ضد الدولة العثمانية وهبوا لحربها فإنه لا يحق لاية دولة من الحلفاء ان تنسحب من الحرب أو تدخل فى صلح مع العدو دون استشارة وموافقة بقية حلفائها .

١٢ - تعهد أن يفتح كل ايران أمام اتباع الدين المسيحى من كل مذهب وفرقة ويسمح لهم بالذهاب حيث يشاءون ويقيموا فى أى مكان ويشيدوا الكنائس والمنازل ويزاولوا طقوسهم الدينية بحرية تامة ودون اية موانع اذا اتحدت معه أوروبا ضد العثمانيين .

١٣ - وفى النهاية طلب شاه ايران من كل ملوك الفرنجة (أوروبا) أن يرسلوا الى ايران سفراء يحملون الشروط والخطط المقترحة التى يرزونها كما فعل هو (٧) .

وقد ترك حسين على بك بيات وأنتونى شيرلى اصفهان متوجهين الى أوربا يوم الخميس ١٥ ذى الحجة عام ١٠٠٧ هـ ( ٩ يونيو ١٥٩٩ م ) مع مرافقيهما . وكان المرافقون لهما فى السفر هم أربعة من حرس الفرسان الايرانيين (٨) و١٤ مرافقا ايرانيا ورجل دين وخمسة من المترجمين وكان المرافقون لسير أنتونى شيرلى ١٥ شخصا من الانجليز وخلفهم قافلة من ٣٢ جملا تحمل الهدايا التى كان الشاه قد اختارها للملك الفرنج ، ورافق الشاه عباس هذه البعثة حتى ضاحية من ضواحي اصفهان وهناك أعطى ختمه الذهبى الى السير أنتونى وقال له « يا أخى ، اننى أقبل أى شىء توقعه بهذا الختم حتى ولو كان يساوى سلطنتى كلها » ثم قبل وجهة وأخذ يد أخيه روبرت شيرلى ووعده بأن يعامله كاخ له أثناء غيابه « أنتونى » .

بعد شهر وصل السير أنتونى شيرلى وحسين على بك ومرافقوهم الى ساحل بحر مازندران « قزوين » عن طريق كاشان وقم وساوه وقزوين وجيلان ومن هناك ركبوا سفينة متوجهين الى روسيا

استغرق عبور بحر الخزر « قزوين » شهرين لان السفينة واجهت عواصف شديدة ، وبعد تحمل الكثير من المشاق والمخاطر وصلوا الى ميناء هشتير خان ، وكان الشاه عباس قد أرسل شخصا الى هذا

---

(٧) تاريخ القسس الكرمليين فى ايران طبع لندن جا  
(٨) كان من بين هؤلاء الحرس على قلى بك ابن اخى حسين بك بيات سفير الشاه والثانى أروج بك الذى كان السكرتير الاول للبعثة .



الميناء قبل وصولهم بشهر لكى يخطر حكام روسيا بوصول هذا الوفد  
ويعد ما يلزم لمراحتهم ، وقد وصل هذا الشخص الى هشتار خان  
قبل وصول انتونى شيرلى ومرافقيه بيوم واحد فقط .

نزلت هذه البعثة الايرانية فى ضيافته بوريس جودونوف (١)  
قيصر روسيا منذ وصولها هشتار خان حتى بلغت موسكو بعد شهرين  
ونصف ، ولم تطب الاقامة لسير انتونى فى موسكو لان قيصر روسيا  
عد حسين على بك وحده سفيراً للشاه عباس بل انه قدم المبعوث  
الآخر الذى ارسل قبل هذه الجماعة الى هشتارخان ورافقهم الى موسكو  
على السير انتونى شيرلى ، كما ان القيصر لم يسمح لشيرلى ورفاقه  
الانجليز برؤية التجار الانجليز الذين كانوا فى موسكو آنذاك او  
الحديث معهم ، كما ان شيرلى تضايق من تصرفات القيصر فلم يذهب  
مع البعثة الايرانية حين سمح لهم القيصر بلقائه وبهذا ازداد سوء  
ظن القيصر تجاهه واخذ يترىص للايقاع به ، كما امر ان تؤخذ جميع  
الرسائل التى كان المشاه عباس قد كتبها للملك اوريا واعطاها لشيرلى  
وقراها ، كما اطلقوا سراح القسيسين الدومينيكانى نيكولاو دى  
ميلو والذى كان شيرلى قد القى القبض عليه اثناء الرحلة وسجنه  
بتهمة خيانة شاه ايران ونصروه على شيرلى .

وقد ذكر بارى أحد سكرتيرى شيرلى الانجليزى سبب هذا الخلاف

فقال :

« حدث نزاع بين القسيسين البرتغاليين اللذان كانا يسافران  
بزفتنا فأخبر أحدهما وهو الفونسو كورديرو الذى كان من جماعه  
المفرنسيين ان السير انتونى ان القسيس الآخر وهو نيكولاو دى ميلو  
الدومينيكانى قضى اغلب وقته فى الهند فى اللهو ووصل به الامر  
الى ان ملك اسبانيا علم بسيرته فأمر باعادته . كذلك فان الهدايا

Boris Goudonoff

(٨)

التي قدمها نيكولا للشاه عباس كان أحد أصدقاء الشاه قد أرسلها مع رسالة ولكن القسيس تعرف على حامل الهدايا وخدمه بمبلغ قليل من المال وأخذ منه الهدايا والرسالة ثملقى الرسالة في الطريق وقدم الهدايا للشاه باسمه هو . وقد غضب السير أنتوني لسماع هذه القصة ، وأمر أن يلقي القبض على القسيس ، » .

ثم أضاف « أمر القيصر بإطلاق سراح القسيس من قيد شيرلى وأمر بتشكيل مجلس للتحقيق في سلوك شيرلى مع القس ، وقد أطلق القس لسانه في سب السير أنتوني أثناء المجلس مما أثار غضبه حتى أن شيرلى صفعه صفقة قوية مما أدى الى اضطراب المجلس ، وبعد هذه الحادثة زاد رجال القصر من احترامهم للسير أنتوني شيرلى » .

بعد إقامة ستة أشهر في موسكو تحرك الوفد وكان ذلك يوم عيد الفصح عام ١٦٠٠م (أواخر ١٠٠٨هـ) متوجها الى المانيا ، ولكن لما كانت الأحمال التي يحملونها من الهدايا ثقيلة فقد قيل لهم أن يسافروا عن طريق المحيط المتجمد الشمالي ، ولهذا فأنهم بعد أن تركوا ساحل نهر الفولجا أخذوا طريق الشمال وبعد ستة أسابيع وصلوا الى ميناء أرخانجلسك أحد موانئ شمال روسيا ، وامتدت إقامة البعثة نحو شهر في هذا الميناء لإعداد المؤونة واحتياجات الرحلة ، ثم أبحروا على ظهر إحدى السفن متوجهين الى المانيا وبعد شهر ونصف واجهوا خلاله عواصف شديدة وصلوا الى ميناء اشتود ( Stode ) في مصب نهر الألب عن طريق رأس الشمال وسواحل النرويج ومن ذلك الميناء أرسل السير أنتوني سكرتيره باري الى إنجلترا مع بعض الرسائل وذهب شيرلى مع السفير الإيراني وبقيّة البعثة الى إيمن .

وقد استقبلهم دوق اولدنبورج (من دوقيات المانيا) بحفاوة

وترحاب .

ومن ايمدن توجهت البعثة الى براغ عاصمة دولة بوهيميا مارة  
بمدن كاسل وفيمار وهال ، (٩) وقد وصلت براغ فى خريف سنة  
١٠٠٩ هـ (١٦٠٠م) وكان رودلف الثانى امبراطور المانيا فى ذلك الوقت  
الوقت فى بوهيميا وحين علم بوصول سفراء شاه ايران أرسل ثلاث  
عشرة عربية تجرها الجياد مع جماعة من قواد وعظماء البلاط وخمسة  
الآف جندى لاستقبالها وقد أنزل الامبراطور أعضاء البعثة ضيوفا  
عليه منذ وصوهم مع كثير من مظاهر الأجلال والاحترام .

قبل امبراطور المانيا اقتراحات السير انتونى شيرلى بخصوص  
الاتحاد مع الشاه عباس ضد الاتراك العثمانيين ببعض التحفظات  
وحاول كثيرا منعه من الذهاب الى بقية ملوك أوربا والاكتفاء بإرسال  
رسائل الشاه مع مبعوثين خاصين ولكن شيرلى لم يتقبل هذا الرأى  
وأستاذن فى الربيع التالى من امبراطور المانيا وتوجه الى ايطاليا ،  
وعند مغادرة البعثة لالمانيا اعطى الامبراطور ٥٠ قطعة من الاوانى  
الفضية المختلفة الى انتونى شيرلى ومنحه الفى دوقية (١٠) المانية  
لنفقات سفره كما منح كل واحد من مرافقيه كأسا فضية ومائتى  
دوقية .

ذهب انتونى شيرلى ومرافقوه من براغ الى نورنبرج احدى مدن  
دوقية بايرن حيث استقبلوا هناك بالحفاوة والتكريم ونزلوا اربعة  
ايام ضيوفا على حاكم المدينة ، وعند رحيلهم منح الدوق كأسين من  
الذهب واحدة لشيرلى والأخرى لحسين على بك بيات ، ومن هناك  
توجهوا الى ميونيخ حيث استقبلهم ويلهيلم الثانى المعروف بالزاهد  
دوق بايرن الذى كان قد اعتزل حديثا من منصبه - استقبالا ملكيا .

(٩) Emden, Oldenburg, Prag, Weimar, Halle

(١٠) كان دوقيه كانت تعادل نحو ٢٠ قرشا او اكثر قليلا .

بعد ذلك قصدت البعثة الى ايطاليا ونزلت فى مدينة مانتوفا احدى مدن الشمال ، وقد سبق أن ذكرنا أن الشاه عباس كتب رسالة الى دوق البندقية ( فينيسيا ) مما دفع شيرلى وبيات للذهاب الى تلك المدينة لتسليم الرسالة ، وكان شيرلى قبل وصوله الى ايطاليا قد ارسل شخصا اسمه مايكل انج سراى (١١) الى الدوق ليخبره بقدوم سفراء ايران اليه ، كما ارسل رسولا اخر من مدينة مانتوفا للغرض نفسه ، ولكن دوق البندقية ( فينيسيا ) رد عليه بأن سفيرا للدولة العثمانية وصل الى فينيسيا وأن الدولتين فى سبيلهما للصالح ، ولهذا فهو يعتذر عن مقابلة السفير الايرانى لانه من الممكن أن يؤدى وصول سفير الشاه عباس الى تعكير صفو العلاقات بين فينيسيا والحكومة العثمانية مرة اخرى .

لهذا اضطر شيرلى ومرافقوه للذهاب الى روما عن طريق فلورنسا وقد استقبلهم الدوق فرديناند دى ميديتشى (١٢) دوق ولاية توسكانا بكثير من الترحاب فى مدينة بيزا وأصطحبهم لمشاهدة ميناء ليفورنو الذى يجرى انشاؤه بناء على أوامره (١٣) .

بعد هذا ذهبوا من بيزا الى سيينا ومن هناك توجهوا الى روما مع كاردينال كان قد جاء من قبل البابا كليمنت الثامن لاستقبالهم . وفى روما حدث خلاف بين شيرلى وحسين على بك ولهذا قابلهما البابا كلا على أنفراد وحينما استقبل البابا أنتونى شيرلى شرح له السفير أهداف الشاه عباس من انشاء اتحاد ضد الاتراك العثمانيين ووعده أن يمنح شاه ايران للمبشرين والقسس الكاثوليك حرية كاملة فى

---

Michel ange Cerray (١١)  
Ferdinand de Medici (١٢)  
(١٣) كتب اروج بك أو دون جوان الايرانى أن خمسة الاف عبد كانوا يعملون فى انشاء الميناء .

كل أنحاء إيران ، كما طمأن البابا على أنه من الممكن للمبشرين الكاثوليك في يوم من الأيام أن يدخلوا كل أهل جورجيا في المذهب الكاثوليكي .

وقد ظل السير أنتوني شيرلي في روما حتى محرم سنة ١٠١٠هـ (١٦٠١ م ) حين ذهب من مقر البابا مع اثنين من رجاله الى انكونا ومنها الى فينيسيا . وهناك رأيان في سبب سفره السرى هذا هما :

١ - كتب البعض أنه لما كان أحد رفاقه الانجليز قد سرق الرسائل التي كان الشاه عباس قد كتبها الى ملوك أوربا وحملها الى استانبول وسلمها للمصدر الاعظم العثماني فان السير أنتوني شيرلي رأى نفسه في خطر وأن عليه أن يلجأ لحكومة فينيسيا .

٢ - اما أروج بك أو دون جوان الايراني فقد ذكر في كتابه أنه حدث خلاف شديد بين سير أنتوني شيرلي وحسين علي بك ييات في مدينة سبينا الايطالية امام الكاردينال الذي جاء لاستقبالهم من قبل البابا لانه حين طلب حسين علي بك الهدايا التي كان المشاه عباس قد أرسلها الى البابا ، اتضح أن سير أنتوني شيرلي باع جزءا منها الى التجار الانجليز في موسكو وادعى أنه أرسلها مباشرة الى ايطاليا في سفينة انجليزية وهذا هو الذي أدى الى هروبه حين انكشف أمره (١٤)

(١٤) كتب أحد الانجليز المرافقين لسير أنتوني شيرلي لم يعرف اسمه في مذكراته عن الرحلة حول الخلاف بين شيرلي وحسين علي بك يقول « تشاجر السفير الايراني وشيرلي في روما حول أهمية مركز كل منهما وأغلظ شيرلي القول للسفير الايراني وطلب منه أن يطيع أوامره فحزن السفير الايراني مما سمعه وانفصل عنه غاضبا وعاد الى إيران وحين وصلها وذهب لمقابلة المشاه عباس وشرح له تفصيلات رحلته في حضور روبرت شيرلي أخو أنتوني شيرلي واطلق لسانه في سب سير أنتوني والصق به كثيرا من التهم ولكن روبرت دافع عن أخيه وبرهن على كاذب للسفير ولهذا امر المشاه عباس فقطعوا يدي السفير ولسانه امام روبرت . . . »

==

وقد ظل حسين على بك بيات شهرين فى روما بعد هروب سير أنتونى شيرلى ثم توجه الى اسبانيا وعندما ودعه البابا اهدى له سلسلة من الذهب والفضة دوقه ، كما منح كل واحد من حرسه سلسلة ذهبية وبردة عيسوية ، كما أمر أحد كبار القسس من برشلونة وكان اسمه فرانتشيسكو جواسك أن يرافق السفير الايرانى الى اسبانيا وأن يوفر له ومرافقيه كل ما يلزمهم .

ذهب حسين على بك ومرافقوه من روما الى ميناء جنوا ومن هناك ركبوا سفينتين الى ميناء سافونا ووصلوا اسبانيا عن طريق جنوب فرنسا وجبال البرنيز ، ثم ذهبوا الى برشلونه حيث استقبلهم فى الميناء دوق فريا نائب الملك فى مقاطعة كنالونيا ومن هناك ذهبوا الى بلد الوليد مقر الملك فيليب الثالث ملك اسبانيا .

استقبل ملك اسبانيا حسين على بك استقبالا عظيما واستضافه فى بلاطه لمدة شهرين وبعد هذا صمم سفير ايران على العوده الى وطنه وارجاء مهمته فى خمس دول أخرى وهى انجلترا واسكتلندا وفرنسا وبولندا وفينيسيا الى وقت آخر ، ولكن يجب السفر بالطريق البرى الطويل فقد ائز أن يعود الى ايران عن طريق البحر حول جنوب افريقيا ورأس الرجاء الصالح .

وقد ودع ملك اسبانيا حسين على بك يوم سفره بكثير من التكرم وإلى جانب الهدايا الكثيرة التى أرسلها معه للشاه عباس فقد منحه سلسلة من الذهب تقدر قيمتها انذاك بنحو ٦٥٠ دولارا مع أحد عشر ألف دوقة نقدا للنفقات سفره كما كان السفير ومرافقوه ضيوفا عليه حتى ميناء ليشبونه حيث كانت هناك سفينة اسبانية مكلفة بتوصيلهم

---

ولكن هذا القول بعيد عن الحقيقة لانه كما سنذكر فان حسين على بك بيات ذهب الى اسبانيا بعد هروب شيرلى وأدى مهمته فى تلك الدولة أيضا .

## الى الخليج (١٥) \*

ذهب السفير الايرانى مع مرافقيه من بلد الوليد الى مدريد ومنها الى توليدو ( طليطلة ) ثم ليشبونة ، ولكن فى مریدا على بعد مرحلتين من ليشبونه حدثت حادثته مؤسفة . فكما ذكرنا من قبل كان يرافق للبعثة الايرانية منذ مغادرتها لاصفهان أحد رجال الدين لكى يشرف على الشؤون الدينية للبعثة . ولكن هذا المسكين قتل فى مریدا بطعنة سكين من أحد المتعصبين الاسبان ، وقد تضايق حسين على بك من هذه الحادثة وأرسل أروج بك الى بلد الوليد لكى يطالب الحكومة الاسبانية بديته .

وقد وقعت أحداث أخرى مؤسفة بعد هذا زادت من حزن حسين على بك بيات وأسفه ، إذ أنه قبل أن يغادر اسبانيا ترك ثلاثة من أعضاء البعثة الدين الاسلامى ودخلوا فى المذهب الكاثولىكى وكان أحد هؤلاء الثلاثة هو على قلى بك ابن اخى السفير الذى ضايق عمه جدا وأحزنه بقبوله للدين المسيحى ، وعند تعميده قبل فيليب الثالث ملك اسبانيا أن يكون أباه الروحى وعندما دخل فى المذهب الكاثولىكى لقبه باسمه فأصبح يسمى دون فيليب . أما الثانى فكان سكرتيرا أول فى البعثة وهو أروج بك (١٦) الذى قبلت ملكة اسبانيا

---

١٥ - حصل حسين على بك ومرافقوه أثناء سفرهم على مبالغ كبيرة بالإضافة الى كتوس من الذهب والفضه والاشياء القيمة الكثيره الاخرى يصل مجموعها الى ٢١٦٠٠ دوقه ( أى أكثر من سبعة الاف جنيه استرلينى ) إذ اعطاه قيصر روسيا ٢٨٠٠ وامبراطور ألمانيا ٤٨٠٠ والبابا ٢٠٠٠ وملك اسبانيا ١١٠٠٠ .

(١٦) بعد أن دخل أروج بك فى الدين المسيحى سُمى « دون جوان الايرانى » كان قد ولد عام ٩٦٧ هـ وعند سفره لأوريا كان فى حوالى الاربعين من عمره . كان أبوه سلطان على بك من قواد القزلباشية المعروفين من قبيلة بيات الكردية لكنه قتل سنة ٩٩٣ هـ فى الحرب بين العثمانيين والصقويين فى عصر الملك محمد خدا بنده ، وكان هذا القائد رئيساً لكتيبة خاصة وبعد مقتله عين ابنه أروج بك لقيادتها . وقد قتل دون جوان يوم ٤ محرم ١٠١٣ هـ ( ١٥ مايو ١٦٠٥ م ) على

أن تكون أمه المتبناه أثناء تعميده ، وقد عرف بعد ذلك باسم دون جوان الايراني . أما الثالث فاسمه بنياد بك وكان من أعضاء البعثة وقد لقبوه بعد دخوله في المذهب الكاثوليكي باسم دون دييجو .

وقد استأجر حسين علي بك امرأة عجوزا بربرية كانت قد اعتقت بعد خدمة طويلة على السفن الاسبانية لتقوم بقتل هؤلاء الثلاثة الذين كانوا قد كفروا في رأيه ولولا أن الماركيز دي سانتكروز قائد الاسطول الاسباني لم يهب لحماية اخوته الجدد في الدين لتعرضوا للهلاك .

---

يد أحد الاسبان في مدينة بلد الوليد . وحتى لا يذاع خبر مقتله فقد وضعوا جسده في قارب ودفعوه في البحر وبعد بضعة ايام ألغته الامواج على الساحل فنهشته الكلاب وقد كتب هذا الرجل كتابا حوالى سنتي ١٠١٢ - ١٠١٣ هـ (١٦٠٤م) عن حلقته قسمه الى ثلاثة ابواب :  
الباب الاول - مختصر عن ولايات واقاليم ايران ونظام الحكومة في العصر الصفوي وعادات الناس والطوائف والقبائل الكبيرة التي تسكن كل ولاية وكذلك ملوك ايران من عصر النمرود حتى عهد الشاه عباس الكبير .

الباب الثاني - يشتمل على عصر الملوك الصفويين وحروبهم مع السلاطين العثمانيين وامراء الازريك .  
الباب الثالث - يتضمن تفصيلات وصول السير انتوني شيرلي الى البلاط الايراني وسفر حسين علي بك ومرافقيه منذ حركتهم من اصفهان حتى وصولهم الى مدينة لشبونة .

وقد كتب أروج بك أصل هذا الكتاب باللغة الفارسية وترجمته الى اللغة الاسبانية وطبعه بمساعدة كاتب اسباني اسمه المفوضو ريمون . وقد أشار القونسو هذا في المقدمة الى أروج بك على أنه الصديق الحميم وأنه قدم كتابه الى قسيس الملك الخاص وهو نون الفارودي كرافاخال ، وهذا القس هو الذي غسل أروج بك عند تعميده في الكنيسة الملحقة بالقصر الملكي ، وأشار أروج بك الى أنه كان يكتب احداث الكتاب يوما بيوم لكي يقدمها للشاه عباس عند عودته لايران .  
وقد ترجم هذا الكتاب المستشرق الانجليزي لوسترانج Le Strange  
وطبعه بالانجليزية عام ١٩٢٦ .



وفى منتصف عام ١٠١٠ هـ تحرك السفير الايرانى وكل مرافقيه  
على ظهر سفينة من لشبونه صوب ايران وكان من المفروض وصولهم  
الى ميناء هرمز فى اواخر نفس العام ولكن لا يعرف تاريخ وصول  
حسين على بك ولا نعرف شيئاً عن مصيره أو مصير مرافقيه .



## الاستيلاء على البحرين

كما سبق أن أشرنا كانت جزر البحرين تابعة لحكومة هرمز وفي دائرة نفوذ الحكومة البرتغالية منذ منتصف القرن العاشر الهجرى .  
وفي عام ١٠١٠ هـ عندما توفى فرخ شاه أمير هرمز وتولى ابنه فيروز شاه الامارة كان حاكم البحرين هو ركن الدين مسعود الذي كان أخا للرئيس شرف الدين لطف الله وزير هرمز ، فأعلن الاستقلال وشق عصا الطاعة عن أمير هرمز ، ولكن خوفا من قيام سفن البرتغال بمساعدة فيروز شاه الذي كان تحت حمايتها ومهاجمة البحرين فانه طلب مساعدة أحد كبار رجال فارس واسمه معين الدين قالى وكان على صلة قرابة به ، فقام معين الدين باخطار امام قلى بك بن الله وردى خان (١) أمير أمراء فارس الذى كان يحكم هذا الاقليم بعد أبيه ، وكان امام قلى يطمع منذ مدة فى الاستيلاء على البحرين فانتهز الفرصة وأرسل معين الدين قالى مع بعض الجند لمساعدة ركن الدين مسعود فى الظاهر ولكن فى الحقيقة للاستيلاء على البحرين .

حينما وصل معين الدين بجيشه الى البحرين وبقي بها بعض الوقت ذهب فجر ليلة من الليالى مع ابن عمه الرئيس منصور الى منزل ركن الدين وقتله فى مخدعه ، وحين علم جند ركن الدين بما حدث هبوا لمحاربة معين الدين انتقاما لاميرهم وتمكنوا من تضيق الخناق على معين الدين ولكن يشاء القدر أن الامير يوسف شاه أحد أمراء اقليم فارس عند عودته من مكة كان قد وقع فى قبضة قراصنة الخليج وفقد جزءا من امواله فكان فى هذا الوقت يتجول فى البحر ومعه قرات من حملة البنادق للبحث عن هؤلاء القراصنة بناء على أوامر من الله وردى خان ووصل فى بحثه الى البحرين فاستطاع معين الدين بمساعدة يوسف شاه أن ينتصر على جيش البحرين .

---

(١) الله وردى خان تولى حكومة ولاية فارس سنة ١٠٠٤ هـ وظل فى هذا المنصب حتى وفاته عام ١٠٢٣ هـ .

حين ذاع خبر استيلاء الجنود الايرانيين على البحرين أرسل فيروز شاه أمير هرمز والحاكم البرتغالي لها جيشا وبعض السفن الى جزر البحرين فاشتعلت الحرب بين الجنود الايرانيين والجنود البرتغاليين بعض الوقت فى البر والبحر ومع أن معين الدين والامير يوسف شاه قتلا فى هذه الحرب الا أن النصر كان للايرانيين واضطرت السفن البرتغالية للعودة الى هرمز وخرجت البحرين من سيطرة البرتغاليين وخضعت لحكومة فارس وكان هذا فى منتصف رمضان سنة ١٠١٠ هـ .

## أول بعثة لانتونيو دى جوفيا الى ايران

فى الوقت الذى كان فيه حسين على بك بيات متوجها من روما الى اسبانيا ( أوائل ١٠١٠ هـ ) أمر فيليب الثالث ملك اسبانيا نائبه فى الهند دوم ارياس سالدانيا (١) والكسيس دى منزيس (٢) أسقف ميناء جوا لكى يبعثا هيئة دينية للتبشير للمسيحية فى ايران . فسارع نائب الملك والاسقف بارسال ثلاثة من القسس الكاثوليك هم جيرومينو دى كروز وكريستوفولو دى سبريتو سانتو ( ذو الروح القدس ) و انتونيو دى جوفيا (٣) مع هيئة الى ايران على ان تكون رئاستهم لجوفيا وكان القسس الثلاثة من فرقة القديس اغوسطين .

غادر انتونيو دى جوفيا ومرافقه ميناء جوا على الساحل الغربى للهند فى ٢٢ شعبان سنة ١٠١٠ هـ ( ١٥ فبراير ١٦٠٢ م ) والتقوا بالشاه عباس فى مدينة مشهد فى منتصف ربيع الاول من العام التالى وكان الشاه عباس قبل وصولهم الى مشهد قد ارسل جماعة من كبار قواده من بينهم روبرت شيرلى الانجليزى لاستقبالهم عند اقترابهم من مشهد .

وقد استقبل القسس الثلاثة بالترحاب البالغ وعرض جيرومينو دى كروز على الشاه عباس رسالة ملك اسبانيا والهدايا التى ارسلها له نائب الملك فى الهند ، كما قدم أيضا نسخة من كتاب « شرح حياة عيسى ، مجلدة جلدا فاخرا مع بعض صور للبابا مقدمة من اسقف جوا . وكان لانتونيو دى جوفيا ثلاثة اهداف :

- 
- |  |     |
|--|-----|
| Arias Saldanha                               | (١) |
| Alexis de Menezes                            | (٢) |
| Cristofolo de Sprito Santo antonio de Jouvea | (٣) |

أولها أن يقوى هيكل المصالح التجارية البرتغالية الذى كان قد  
ضعف نتيجة لاستيلاء إيران على جزر البحرين .  
ثانيها أن يمنع الشاه عباس من عقد اتفاقيات تجارية مع  
التجار الانجليز والا يسمح لسفنهم بالمجىء الى الخليج .  
والثالث أن يحصل من الشاه عباس على إذن بالتبشير للدين  
المسيحى فى إيران .

وقد تحدث معه الشاه عباس مبدئياً موافقته ثم اصطحبه ورفاقه  
الى كاشان ثم اصفهان حيث وافق على أن يقيموا فيها ديراً وكنيسة  
بل أنه دفع من خزانته تكاليف تزيينها وما تحتاجه من قيشانى . وقد  
وعد سفراء اسبانيا وعودا طيبة فيما يتعلق بالمسائل الدينية واعطاء  
الحرية للمبشرين المسيحيين فى إيران وذلك لكى يثير بابا روما وملك  
اسبانيا ضد السلطان العثمانى ويعقد معهم محادثات ضد هذا العدو  
ولكنه بذلك أوكل انجاز وعوده الى الوقت الذى يقوم فيه البابا  
وملك اسبانيا رسمياً بمحاربة السلطان العثمانى ، وقد كتب انطونيو  
دى جوفيا تفصيلات هذه المحادثات فى كتاب رحلته وخلصتها « بعد  
بضعة أيام استدعانا الشاه عباس نحن الثلاثة لمقابلته يوم السبت ١١  
فبراير ١٦٠٢ م ومعنا الراهب فرانثيسكو دى كوستا الذى كان قد  
جاء من عند البابا وأخذنا الى قصر الحريم وهناك قال لنا « أريد أن  
تدونوا ما أقوله لكم ثم طلب قلماً ومحبرة وأمر أن يكتبوا ما يقول  
ثم قال : أنا مستعد لإقامة الكنائس فى إيران وأرغب كثيراً فى أن يأتى  
كل المسيحيين رجالاً ونساء الى بلدى ولكن رجال الدين عندى لا يقبلون  
هذا ويمنعوننى وأخشى أن أقدمت على هذا أن يقتلوني فان كنتم تقبلون  
أن أقوم بما ترغبون مع وجود هذا الخطر فلا مانع عند ولكننى أرى  
من الأفضل أن يقوم ملوكم بالدخول فى الحرب مع الاتراك أولاً وبعد  
ذلك تقومون ببناء الكنائس وفى هذه الحال تستطيعون إقامة الكنائس  
فى جميع مدن إيران الى جانب مدينة اصفهان لانه اذا أراد رجال

الدين الاعتراض ومنع هذا العمل فسوف أقول لهم انه لم يعد لهم حق الاعتراض أبدا لاننى لا أستطيع العمل ضد رغبة وارادة الاشخاص الذين يساعدوننى ضد اعداء ايران ٠٠٠ سوف أرسل رجالا مخصوصين لكى يقوموا بكل ما تشاءون وعلى نفقتى الخاصة وسوف امر جميع التجار من مسيحيين ويهود ومسلمين وغيرهم بالتجارة مع هرمز ، وأرجو أن تكتبوا الى البابا والى دون فيليب ملككم اننى احبهما كابى وأخى » . ثم ختم ما كتبوه بالخاتم الخاص الذى كان يحمله فى اصبعه .

بعد هذا بفترة وجيزة وحينما طمأنه « انطونيو دى جوفيا » أن نائب الملك فى الهند لن يهاجم سواحل ايران الجنوبية ، خرج الشاه عباس فجأة مع جيش منتخب مختار من مدينة اصفهان فى السابع من ربيع الثانى سنة ١٠١٢ هـ وهجم على انزليجان ودخل فى حرب مع السلطان العثمانى محمد خان الثالث ، وفى نفس الوقت أرسل أحد كبار قواده وهو الله وردى بك التركمانى مع رسالة وهدايا بصحبة انطونيو دى جوفيا الى اسبانيا حتى يعقد اتفاقية مع فيليب الثالث ملك اسبانيا ضد الاتراك العثمانيين .

وقد عبر الشاه عباس فى رسالته عن سروره من ارسال السفراء والرسائل الى بلاط ايران مما أدى الى تقوية علاقات الصداقة والمودة بين الدولتين ثم أشاد بالقسس الثلاثة من جماعة سان أغسطين الذين كانوا قد جاءوا كسفراء الى ايران وقال انه تلقاهم بكثير من الترحاب وسمح لهم باقامة شعائرهم الدينية بحرية تامة فى ايران ثم أشار الى حسن معاملته لكل المسيحيين خاصة الاسبان الذين يأتون الى ايران من المستعمرات البرتغالية لاسبانيا فى الهند ، وقد شهد سفراؤه علم هذا .

ثم ذكر أنه يرسل الله وردى بك التركمانى أحد كبار قواد ايران الذين يطمأن اليهم ويعتمد عليهم مع انطونيو دى جوفيا كسفير اليه

عن طريق الهند وأنه استبقى القسس الآخرين فى ايران وهو يتوقع  
أن يعيد الملك سفيره الله وردى بك الى ايران فى أقرب وقت ، ثم  
أشار الى العلاقات الايرانية الانجليزية وقال انه سيعمل طبقا لما  
يريد ملك اسبانيا حفاظا على الصداقة الاسبانية الايرانية .

وبعد مدة قصيرة وبينما كان الشاه عباس يهاجم اندرپيجان وأرمينيا  
وكان مشغولا بالقتال مع الجيش العثمانى على مقربة من قلعة قارص  
وصل مبعوث جديد من قبل ملك اسبانيا اسمه لويس برييرا دى  
لازردا (٤) على رأس بعثة من نحو ٥٠ شخصا ولما كان الشاه بعيدا  
عن العاصمة فقد ذهب السفير الى أرمينيا وقابل الشاه فى المعسكر  
الملكى فى جمادى الاولى سنة ١٠١٣ هـ بناء على أوامر الشاه عباس .

ولم نقف على الهدف من بعثة لويس برييرا أو مضمون الرسائل  
التي أحضرها للشاه عباس ولكن كل ما نعرفه هو أن شاه ايران  
أرسل معه الى اسبانيا أحد كبار قواده وهو امام قلى بك باكيژه  
التركماني وهو الذى كان قد ذهب قبل هذا فى سفاره الى بلاط قيصر  
موسكو كما سبق أن ذكرنا .

## أول سفارة لروبرت شيرلى الى أوروبا

كان الشاه عباس ينتظر الفرصة دائما لكي يستعيد جزيرة هرمز ومراكز التجارة الاسبانية والبرتغالية على السواحل الايرانية للخليج من السيطرة الاسبانية ولكن تحقيق هذا الهدف كان يبدو مستحيلا باستخدام القوات البرية وحدها ، ولما كان شاه ايران لا يمتلك سفنا بحرية فقد أراد أن يتحد مع إحدى الدول الأوروبية المنافسة لاسبانيا والتي لها قوات بحرية مثل إنجلترا أو هولندا ويحقق هدفه بمساعدة سفن تلك الدولة . ومن ناحية أخرى كان الشاه عباس يستطيع أن يحارب أسبانيا بكل ارتياح إذا اطمأن من ناحية الاتراك العثمانيين ولهذا كان يسعى دائما لتشكيل اتحاد مع ملوك أوروبا المسيحيين ضد الدولة العثمانية لكي يهزم عدوه الغربي القوي ولما ظل حتى عام ١٠١٦هـ دون أن يحصل على نتيجة من قدوم السفراء من أوروبا وذهابهم اليها والعكس فقد سارع بارسال روبرت شيرلى الذى سبق أن أشرنا اليه من قبل - مثل أخيه - مع رسائل وهدايا كثيرة وبصحبته جماعة من الايرانيين الى بلاط كبار ملوك أوروبا وكان هذا الرجل الانجليزى خلال اقامته فى ايران قد أدى خدمات جليلة للشاه عباس - كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد - وخاصة البطولات التى كان قد ابدائها فى الحروب الايرانية العثمانية .

تحرك روبرت شيرلى ومرافقوه فى ٢٤ شوال سنة ١٠١٦ هـ ( ١٢ فبراير ١٦٠٨ م ) من اصفهان وتوجهوا الى أوروبا عن طريق مازندران وبحر قزوين وكان من بين مرافقيه الكابتن توماس باول (١) الضابط الانجليزى الذى أدى خدمات كثيرة فى تدريب الجيش الايرانى . وبعد



عبورهم روسيا وصلوا الى مدينة كراكوفيا (٢) التى كانت عاصمة بولندا انذاك وقد استقبلهم ملكها سيجيسموند (٣) بكثير من الترحاب والاحترام ولا نعرف مدة بقاء روبرت شيرلى فى بلاط ملك بولندا ولكن ما نعلمه أن شيرلى كان فى مدينة براغ فى ربيع الاول سنة ١٠١٨ هـ (يونيو ١٦٠٩) .

وفى مدينة براغ استبقى رودلف الثانى امبراطور المانيا روبرت شيرلى ومرافقيه مدة فى بلاطه ومنحه رتبة فارس كونت دى پلاتين(٤) بسبب الخدمات العظيمة التى اداها للعالم المسيحى عن طريق الحرب التى خاضها ضد الاتراك العثمانيين ، كما اعطاه رسالة الى جيمس الاول ملك انجلترا شرح فيها خدمات روبرت شيرلى للمسيحيين الايرانيين ، وقد اراد روبرت شيرلى أن يذهب مباشرة من براغ الى انجلترا ولكن حينما علم كونت سالزبورى وزير جيمس الاول بهذا ابلغه أن ملك انجلترا يفضل أن يذهب الى انجلترا بعد انتهاء مهمته فى بلاط كل ملوك أوروبا .

لهذا السبب توجه روبرت شيرلى الى ايطاليا فوصل مدينة روما يوم الاحد ٢٨ جمادى الثانى سنة ١٠١٨ هـ (سبتمبر ١٦٠٩ م) بكثير من الاحترام والعظمة . وفى اليوم التالى حينما قابل البابا بول الخامس قدم اليه رسالة الشاه عباس وأشار الى رغبة الشاه الايرانى التامة فى الاتحاد مع الملوك المسيحيين ضد السلطان العثمانى ، وقد تحدث اليه البابا بعطف ومحبة . وفى مقابلة أخرى منحه لقب كونت قصر لاتران المقدس (\*) .

Sigismond (٣)  
Conte de Palatin

Cracovie (٢)  
(٤)

(\*) قصر لاتران كان قد بناه بلوتىوس لاترانوس أحد معاصرى نيرون امبراطور روما والذى قتله نيرون لكى يصادر أمواله ، وقد منح قسطنطين الكبير امبراطور روما هذا القصر للبابا ملكيا ، وظل مدة مقرا للبابا ولكنه تحول الى متحف للآثار المسيحية منذ ١٢٥٩ هـ ( ١٨٤٣ ) ولازال لليوم تابعا للبابا .

وعند مغادرة روبرت شيرلى لروما أعطاه البابا والكاردينال بوجييزى هدايا كثيرة وتوجه شيرلى من روما الى ميلانو ومن هناك الى ميناء جنوا ثم توجه الى برشلونة عن طريق البحر .

وحيثما وصل الى برشلونة طلبوا منه أن يبقى فى تلك المدينة انتظارا لاوامر الملك فقد كان ملك أسبانيا ووزيره دون ليروا ينظران الى بعثة روبرت شيرلى بعين الشك وقال برادو - أحد سكرتيرى ملك أسبانيا لفرانسيس كوتينجتون سفير انجلترا انه لما كان هناك اشخاص كثيرون ياتون من تلك البلاد البعيدة ( ايران ) ويدعون أنهم سفراء ، لهذا فان جلالة الملك لن يقابل شيرلى حتى يتأكد من صحة سفارة مثل هؤلاء الاشخاص الى جانب أن هذا الشخص لا يبدو انه رجل عاقل لانه لو كان عاقلا لما وضع على رأسه عمامة المسلمين بينما هو رجل مسيحي (\*\*). ولهذا السبب اضطر روبرت شيرلى الى السفر على نفقته من برشلونة الى الكالا ومنها الى اراخويز محل اقامة الملك فى الربيع وحيثما قابله الملك فى شوال سنة ١٠١٨ هـ ( يناير ١٦١٠ ) قدم اليه رسالتين كانتا معه من الشاه عباس وكذلك رسالة شفوية من فيليب الثالث الذى أراد أن يتحد مع بقية ملوك أوروبا ويشن حربا شديدة على السلطان العثمانى ، ولكن الملك رد عليه ردا مختصرا وتحدثت معه الملكة فى الموضوعات العادية وقابله ببرود مما أغضب روبرت شيرلى وجعله يشتمكى الى وزير الملك .

ذهب روبرت شيرلى من اراخويز الى مدريد وظل هناك شهرين ضيفا على ملك أسبانيا ، وحيثما علم أن ملك انجلترا مستعد لمقابلته كسفير أخذ فى السعى للسفر الى انجلترا وذهب لمقابلة فيليب الثالث فى منتصف ذى الحجة سنة ١٠١٨ ( مارس ١٦١٠ ) ليحصل على

(\*\*) كان روبرت شيرلى يرتدى الملابس الايرانية ويضع على رأسه عمامة القزلباشية باذن من الشاه عباس مع وضع صليب صغير عليها .

اذن بالسفر فأعطاه ملك أسبانيا رد خطابات الشاه عباس بأربعة آلاف دوقة له شخصيا ، ولكن روبرت شيرلى اضطر للبقاء فى أسبانيا حتى صيف ١٠٢٠ وفى هذه المدة أحضر زوجته (٥) التى كانت قد بقيت فى بولندا الى مدريد واندك وصل انطونيو دى جوبا ودينجيزيك روملو الى أسبانيا فى شهر جمادى الاولى ١٠١٩ (١٦١٠ م) وكانا قد غادرا ايران متجهين الى أسبانيا سنة ١٠١٧ هـ (١٦٠٨ م) كما سيأتى ذكره فيما بعد وقدما هدايا قيمة من الحرير والاقمشة الحريرية والجواهر الثمينه لفيليب الثالث فوافق الملك الاسبانى الى حد ما على قبول مقترحات روبرت شيرلى فيما يتعلق بتجارة ايران وأسبانيا وشروط الشاه عباس لارسال حرير ايران عن طريق هرمز والهند الى أوروبا وتقرر أن يعود روبرت شيرلى بالسفينة من ميناء ليشبونيه الى ايران .

ولما كان رد الملك النهائى على مقترحاته قد تأخر فقد صمم روبرت شيرلى على الذهاب الى انجلترا وعرض مقترحاته التجارية على جيمس الاول . ويتضح من الرسائل التى كتبها كيتنجين سفير انجلترا الى لورد سالزبورى وزيد جيمس الاول أن روبرت شيرلى كان يخشى من معاملة ملك انجلترا له باعتباره أحد الرعايا الانجليز ولا يستقبله بالتشريفات والتقاليد التى يستقبل بها السفراء الاجانب ولهذا فسوف يعد مقصرا ومستئولا أمام الشاه عباس ، كما كان يعتقد أن البلاط الاسبانى سوف يعارض سفره الى انجلترا وكان يريد أن يعرف ماذا سيفعل ملك انجلترا لكى يحصل له على اذن بالخروج من أسبانيا . كما كان قد أبلغ الوزير بمضمون الموضوعات التى كان يريد عرضها باسم الشاه عباس على ملك انجلترا . وبناء على مقترحاته فان الشاه عباس كان يوافق على أن يقيم التجار الانجليز فى مينائين من موانى جنوب ايران مراكز تجارية وأن يكون للحكومة الانجليزية

---

(٥) اسمها تريزيا وكانت بنت أحد كبار الشركس واسمه اسماعيل خان وقد زوج المشاه عباس هذه الفتاة لروبرت شيرلى سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م .

ممثلون سياسيون فى المينائين ، وان يكون لموظفى شركة الهند الشرقية الحرية الكاملة فى شئونهم التجارية فى المينائين وكان كوتينجين قد سأل شيرلى عن سبب عدم قبول ملك اسبانيا لمقترحاته . ورد شيرلى قائلاً أن ذلك لسببين : أحدهما أن فيليب الثالث لا يرغب فى الدخول فى حرب مع السلطان العثمانى . والثانى أنه لا يريد ان يتنازل عن الرسوم الجمركية الباهظة التى يحصل عليها من المصادرات الاسبانية للدول الشرقية .

وكان الهدف الأسمى من وراء ذهاب شيرلى الى انجلترا هو ان يعقد اتفاقية تجارية مع جيمس الأول بناء على أوامر الشاه عباس ويفتح طريقاً جديدة لتصدير الحرير الايرانى وبقيّة البضائع الايرانية الى أورباحتى لا يضطر التجار الايرانيون الى ارسال تجارتهم الى اوربا عن طريق الأراضى العثمانية ، وبهذا يحرم السلطان العثمانى من الرسوم الجمركية الباهظة التى كان يتقاضاها على مرور البضائع الايرانية .

ولقد أبتلى روبرت شيرلى فى أواخر أيام اقامته فى اسبانيا بعداوة ومخالفة أخيه السير أنتونى شيرلى الذى كان قد جاء من ايطاليا الى اسبانيا مسكينا مقلساً ، فقد كان يتهمه بأن الخرض من ذهابه الى انجلترا هو عدائه للحكومة الاسبانية والقيام بالتحريض ضدها . وكان روبرت يخشى أن يدسوا له السم فى اسبانيا ، وكان يسعى لمغادرة تلك البلاد بأسرع ما يمكن ، واستطاع فى النهاية أن يحقق هدفه ويتمكن مع زوجته تريزيا فى ربيع الاخر سنة ١٠٢٠ هـ (يونيو ١٦١١م) من رؤية بيت أبائه فى انجلترا رغم مؤمرات أخيه، واستقبله جيمس الاول ملك انجلترا فى ٢٣ رجب من نفس العام (أول أكتوبر ١٦١١م) فى قصر همبتون كورت(٦) واطلع على خطابات اعتماده ، وبعد اثنى عشر يوماً كلف أربعة من

---

(٦) قصر همبتون كورت أحد القصور الملكية الانجليزية فى قرية همبتون على مقربة من لندن على شاطئ نهر التيمز وهو من القصور القديمة الجميلة فى انجلترا .

التجار الانجليز الأعضاء في شركة الهند الشرقية ببحث مقترحات شيرلي .  
وسوف نتحدث بالتفصيل عن سفارته الى إنجلترا في الفصل الخاص  
بعلاقة الشاه عباس مع الحكومة الانجليزية .

بعد أن اقام روبرت شيرلي نحو عام ونصف في إنجلترا صمم  
على العودة الى إيران وبناء على امر جيمس الأول فقد كلفت احدى  
السيفن الانجليزية بتوصيله ومرافقيه عن طريق البحر عبر جنوب افريقيا .  
وقد وصل شيرلي وزوجته (٧) ومرافقوه في أواخر سنة ١٠٢٣ هـ الى  
ساحل الهند ، وفي جمادى الاولى من العام التالي وصلوا الى اصفهان

---

(٧) وضعت تريزيا زوجة روبرت شيرلي طفلا في إنجلترا سميها  
هنرى ، وقد تركه شيرلي في إنجلترا عند عودته الى إيران .

### بقية قصة السير أنتوني شيرلى

بعد أن انفصل السير أنتوني شيرلى فى مدينة روما عن حسين على بك بيات سفير المشاه عباس فى المحرم سنة ١٠١٠ هـ (يوليو ١٦٠١ م) وكما سبق أن ذكرنا ذهب الى ميناء أنكونا ومن هناك توجه الى فينسيا حيث بقى هناك ٣ سنوات . ولما كان اثناء اقامته الاولى فى مدينة براغ ( ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م ) قد ترك المذهب الرسمى لانجلترا ودخل فى المذهب الكاثوليكي فقد غضبت عليه اليزابيث ملكة انجلترا وحرمته من حمايتها وحتى من العودة الى انجلترا ولكنه فى سنة ١٦٠٥ م ( ١٠١٣ - ١٠١٤ هـ ) عاد مرة ثانية الى مدينة براغ ، فكلفه رودلف الثانى امبراطور المانيا بسفارة الى مراكش وفى نهاية هذه البعثة سافر الى ليشبون عاصمة البرتغال . وفى هذا الوقت كان فيليب الثالث ملك اسبانيا يريد ارسال أنطونيو دى جويا القس فى جماعة سان أغسطين كسفير الى المشاه عباس مرة ثانية لكى يشكو من حملة خان فارس على جزر البحرين وممتلكات البرتغال على ساحل الخليج ولكى يزيد من أهمية هذه البعثة ويحملها بخبر تحرك عسكري جديد ضد السلطان العثمانى وفى نفس الوقت يرضى المشاه عباس الذى كان دائم الشكوى من تهاون وحياد حلفائه الاوربيين . لهذا فقد عين السير أنتوني شيرلى فى خدمته وكفله بقيادة مجموعة صغيرة من السفن الاسبانية لكى يتجول بها فى البحر المتوسط ويحارب بكل قواته ومشيعته القوات البحرية العثمانية والهولندية سواء فى البحر أو البر .

وكان السير أنتوني شيرلى قد قطع أخباره مدة عن البلاط الايرانى ولهذا سارع بكتابة رسالة الى المشاه عباس يعلمه بمهمته العظيمة الجديدة . وقد وصلت رسالته فى جمادى الآخرة سنة ١٠١٧ هـ ( أغسطس ١٦٠٨ ) على يد قسيس برتغالى (١) الى اصفهان

(١) ذكر أنطونيو دى جويا اسم هذا القسيس فى رحلته الثانية وهو دومينيكو ستروين Dominico Stropen

وقدمها أنطونيوس جويبا الذى كان موجودا آنذاك فى المدينة الى الشاه عباس ، ومضمون هذه الرسالة التى ترجمت فى ذلك الوقت الى الفارسية بواسطة أحد القسس الكرمليين المقيمين فى أصفهان هو :

« اعرض على الجناب العالى نائب الامام الموفق المسعيد الاشرف الاقدس الارفع الاعلى خلد الله ملكة انه منذ حرمت من خدمتكم فاننى لم أتوان دقيقة واحدة عن الخدمات التى كنتم كلفتمونى بها . ولم يحدث أى تقصير منى فى أى امر ولو أننى تجرعت محنة هذا السفر وقاسيت ألم الغربية ولكننى جعلت ملك الفرنج صديقا صدوقا لكم . وقرر ملك اسبانيا وصمم على أن يحارب الروم ( العثمانيين ) دائما بشكل لا يقبل السلم أبدا وعين العبد الحقير ( شيرلى ) قائدا وأصدر أمرا بأن أفعل ما أشاء فى البر والبحر ولن يعفى من خدمته وما يحدث بعد هذا سوف أعرضه على جلالة الهمايون وقد ذكر قبل هذا أن ملك المجر تصالح مع سلطان الروم ( العثماني ) وكان هذا ضدنا ولكن الان ازدادت عدواتهما وقد جمعوا سفنا كثيرة وجيوشا لاتحصى واتفق ملوك الفرنجة واتحدوا على محاربة الاتراك ولما كانت الصداقة الموطيدة تربط بين الشاه الاعلى وملك اسبانيا فقد كان من الضرورى أن أذكر بعض الاشياء التالية :

فيما يتعلق بالحرير فلقد تقرر أن تتم تجارته فى هرمز لان الفرنجة يحملون كل عام كثيرا من الذهب وتجارة كثيرة من أدوات الحرب الى سلطان الروم ويتاجرون فيها فاذا توقف تعامل الجانبين ازدادت عدواتهما . وقد أرسل ملك اسبانيا أمرا الى قائد هرمز بالا يتقاضى نفقات أزيد من الوراق من العجم التابعين للشاه والذين يحضرون الحرير الى هرمز وأن يرعاهم ويحترمهم وتقرر أن يتم التعامل على الحرير فى هرمز . ومن المتوقع أنه حين يقرأ الشاه الرسالة أن يرسل ما يراه من هدايا لان ملك اسبانيا أبدى من المحبة أن يقوم ملوك الفرنجة بتقديم أية مطالبات يطالب بها الشاه وسوف أقوم بأى عمل يجب اتخاذه أمره أعلى .

أمر الشاه عباس بأعداد رد على رسالة السير أنتوني شيرلي بعد بضعة أيام من استلامها وقد أرسل الرد مع نفس التيسيس الذي أحضر الرسالة ومضمونه :

الأمر الهمايوني أن الأمير العزيز البيك زاده الاكرم الدون انطونيو شيرلي قد حظى بغاية الشفقة الملكية وافنخر بالراحم الهمايونية الوافرة ولتعلم أن عرضته وكتبته للسريير (العرش) الاعلى وأرسلته مع رسولك قد وصل وعرف مضمونه وأنت منذ ذهبت من البلاط الاعلى لم تقصر في خدمةك ولم تنسنا ولم تنصرف عن عداوة أعدائنا وأنت تسعى في زيادة محبة وصداقة ملوك الفرنجة وملك المغرب مع جلالة الهمايون . وقد عرف انحيازك لنا واخلاصك وأنت لاتقصر في الخدمة وماذكرته من أنك الآن في خدمة صاحب الجلالة الملك الرفيع العظيم عالي الجاه ملك الفرنجة . ولما كان قد منحك قيادة البحر فقد سرنا هذا وأسعدنا وما شرحته عما يمكنه من محبة لفسا فنحن كذلك لدينا عشرة أضعاف هذه المحبة له ونحن نسعد لانتصاراته وفتوحاته وأن ماقلته من أنه سعى ويسعى حتى لا يحدث صلح بين ملوك الفرنجة وجماعة الأتراك وأن ماذكر من أن ملك المجر قد تصالح مع الروم وهو خطأ وأنت ذهبت الى هناك وأزلت هذا الصلح ولعلك من الذين يعلمون ما هي الحروب العظيمة التي وقعت بيننا وبين الجيوش الرومية ( التركية ) وما أخذناه منهم من قلاع حصينة وعلى مدى هذه السنين التي حاربناهم فيها لم يحدث من سلاطين الفرنجة أية حركة ولم نسمح أنهم قد تحركوا من الناحية الأخرى . وعلى أية حال فنحن معهم في حروب ومناوشات على هذا النهج ولن نكف عن حربهم ويجب عليك أن تسعى بشكل ما حتى يتحرك الفرنجة لمحاربة الأتراك ولا يقصروا في هذا السبيل .

أما ماكتبته عن موضوع الحرير وحتى لايجمل الحرير بعد هذا من بلاد العجم الى حلب ويأخذوه الى هرمز ويبيعونه هناك ، ومما يبيده الفرنج للروم ( الأتراك ) من صداقة بسبب الذهب والمجىء الى حلب وأخذ الحرير وأن هذا سوف يقضى عليه فهذا أمر جيد فما أفضل أن يحمل الحرير الى هرمز ويحضر تجار الفرنجة تجارتهم ومتاعهم الى هناك ويحملون الحرير بدلها ، وسوف نامر - أن شاء الله تعالى منذ الآن أن يحمل تجار العجم الحرير الى هرمز ويبيعونه هناك وعليهم أن يأمروا بحسن معاملة التجار



في هرمز وألا يأخذوا منهم رسوما زائدة حتى يبعث هذا على اقبال التجار فانه حينما يسمع التاجر أن الرسوم أقل ، وأكثر اقتصادا في الذهاب الى هرمز فانه سوف يحمل الحرير الى هرمز لفائدته وعليك أن تبدى ولاءك في كل شيء، وأن تعرض علينا كل الحقائق والاحوال والاخبار هناك وأن تقدم أية مطالب قد تكون لك لأنها سوف تقترن بالانجاز والسرعة . تحريراً في جمادى الثاني سنة ١٠١٧ هـ .

بعد أن أرسل السير أنتوني شيرلي خبر توليه قيادة القوات البحرية الإسبانية الى الشاه عباس سافر الى ميناء نابولي سنة ١٠١٦ هـ وأصبح عضواً بالمجلس الاستشاري للحكومة هناك (٢) ، ثم عاد في سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠ م) الى مدريد وهناك - كما سبق أن ذكرنا - تقابل مع أخيه روبرت شيرلي الذي كان قد أرسل الى بلاط فيليب الثالث وهناك خلفه وعاداه . وليس لدينا علم تام عما حدث له على مدى خمسة وعشرين سنة وكل ما نعلمه أنه كان يتقاضى راتباً من ملك أسبانيا وكان يعيش في فقر وعوز حتى توفي سنة ١٦٣٥ م (١٠٤٤ - ١٠٤٥ هـ) .

---

(٢) حرض السير أنتوني شيرلي نائب الملك الإسباني في نابولي وهو الكونت دي بنافنت Conte de Benavent على الكتابة للشاه عباس حتى يرسل حرير ايران عن طريق هرمز بدلاً من الاراضي العثمانية فكتب الكونت رسالة في هذا الصدد أرسلها مع قسيس الى بلاط ايران وأمر الشاه حاتم بك اعتماد الدولة أن يرد على خطاب نائب الملك بالموافقة على اقتراحه وحتى يبرهن على حسن نيته فانه سيرسل لاوربا مالديه من حرير في اصفهان مع انطونيو دي جوفيا وونكييز بك روملو اللذان سيذهبان في سفارة الى أسبانيا حتى يقع ماقد يكون من أخطار عليه شخصياً وبهذا يطمئن التجار الإيرانيون ويرسلون حريرهم الى أوروبا عن طريق هرمز ثم أمر بحمل ما في اصفهان من حرير لكي يرسل مع السفراء (رحلة جوفيا ص ٤٦٧ و ٤٦٨) .

### السفارة الثانية لانتونيو دي جوفيا (١)

بعد أن استولى أمير أمراء فارس في سنة ١٠١٠ هـ على جزر البحرين مع بعض القواعد العسكرية والتجارية للبرتغال في الخليج بناء على أوامر الشاه عباس أرسل الحاكم البرتغالي لجزيرة هرمز تقريرا في هذا الصدد الى ملك أسبانيا ، واشتكي من السلوك العدائي للشاه عباس وحاكم اقليم فارس . وقد وصل هذا التقرير في نفس الوقت الذي وصل فيه أنتونيو دي جوفيا واله وردى بيبك التركماني مع رسالة وهدايا من الشاه عباس الى البلاط الاسباني . وعندما علم فيليب الثالث بهجوم القوات الايرانية على البحرين اعاد انتونيو دي جوفيا مع الرسالة والهدايا مرة أخرى الى ايران .

وكان ملك أسبانيا قد كتب رسالته « أنه حتى تاريخ كتابة الرسالة (رمضان ١٠١٦ هـ - يونيو ١٦٠٨ م) فان سفيره لويس بريرا دي لازردا (٢) وأمام قلى بك باكيظه التركماني لم يكونا قد وصلا الى أسبانيا بسبب عدم وجود سفن تحملهم من الهند كما أنه لا يعلم شيئا عن أخبار صديقه العزيز الشاهنشاه الصفوي فانه يرسل أنتونيو دي جوفيا كسفير اليه ، كما هنا الشاه عباس على انتصاراته وحروبه مع العثمانيين وذكر أن قواته البحرية في البحر الابيض المتوسط قد ألحقت بالسلطان العثماني خسائر فادحة كما تمنى من الشاه أن يعد الامبراطورية الاسبانية مثل ايران كأنها ملك له وتحدث عن الاستيلاء على البحرين وقال أنه لما كانت الصداقة وطيدة بين ملكي ايران وأسبانيا فانه يجب على مرؤسيهما أن تقوم بينهم أواصر الصداقة والمودة وعاتبه على سلوك أمير امراء فارس لاستيلائه على البحرين والتناول على بعض القلاع وموانئ ساحل ايران التي تتعلق بأمير هرمز التابع له . وكتب في نهاية الرسالة أنه يأمل أن يكون الشاه عباس راضيا عن القسس الكاثوليك والمبشرين المقيمين في ايران ويرجو ألا يتوانى شاه ايران عن بذل رعايته وحمايته لرجال الذين المسيحي الذين جاءوا الى ايران .

حينما وصل أنتونيو دي جوفيا من سبانيا الى الهند أرسل دوم الكسيس دي منزيس أسقف ميناء جواقسيسا آخر اسمه غليوم دي جيسوس برفقة

Antonio de jouvea

(١)

Luis Periera de Lazerda

(٢)

أنطونيو دى جوفيا الى ايران بناء على أوامر فيليب الثالث ملك أسبانيا  
هوصل الاثنان من الهند الى اصفهان فى منتصف ربيع الأول سنة ١٠١٧ هـ  
( أواخر يونيو ١٦٠٨ م ) وبعد ستة أيام من وصولهما ذهب الشاه عباس  
الى همدان وأمر المضيف السلطانى \* بأن يصحب أنطونيو دى جوفيا ومرافقيه  
أيضا الى همدان .

فى نفس اليوم الذى التقى فيه القس الاسبانى بالشاه وقدم رسالة  
ملك أسبانيا وهداياه قال له الشاه عباس أن عليه أن يعود مرة أخرى الى  
روما وأسبانيا ويحرض البابا وملك أسبانيا على حرب الاتراك العثمانيين  
وكتب أنطونيو دى جوفيا نفسه فى هذا الشأن يقول :

« فى نفس يوم تقديم الهدايا للشاه قال لى أنه يجب على أن أذهب  
مرة أخرى الى أسبانيا وروما مع السفير الذى يعينه وأن أحرص البابا وملك  
أسبانيا على حرب الاتراك ، فقلت ان أوامر ملك أسبانيا عكس هذا ، فقد  
أراد أن أقيم فى بلاط جلالتم فقال الملك لا بد أنك تذكر أنه فى رحلتك الأولى  
حرضتني على حرب الاتراك والآن يجب أن تحث ملوك الفرنج على الحرب .  
يعدت الى خيمتى وحزنت من التفكير فى هذا السفر للطويل وبعد هذا مرضت  
وطلبت الاذن للعودة الى اصفهان ( لان معسكر الشاه كان قرب همدان )  
ولكن الشاه لم يأذن لى وكلف أطباء . بعلاجى ولكنى ذهبت فى النهاية الى  
اصفهان . وعرضت أمر الشاه على كل القسس الذين كانوا فى تلك المدينة  
وتقرر أن أقبل هذه السفارة اذا أصر الشاه على طلبه » .

وكان الشاه عباس قبل هذا ببضعة أشهر ( فى سنة ١٠١٦ هـ ) عندما  
كان يحاصر قلعة شماخى فى منطقة شروان علم عن طريق جواسيسه أن  
رودلف الثانى امبراطور المانيا عقد صلحا مع السلطان أحمد خان العثمانى  
فتأثر جدا من هذا الخبر وتغير لأن الامبراطور كان قد كتب اليه رسالة  
وتعهد بالا يعقد صلحا ابدا مع السلطان العثمانى ولهذا كان الشاه عباس  
يحترمه أكثر من كل ملوك الفرنجة ويعزه ويقول أنطونيو دى جوفيسا  
فى هذا الشأن :

\* المضيف السلطانى أو الملكى هو المسئول عن استقبال ضيوف الملك  
واتمامتهم والقيام نحوهم بواجب الضيافة .

« كان امبراطور المانيا خصوصا قد كتب رسالة الى الشاه عباس وعده بالآ يعتقد مطلقا مع صلحا السلطان العثماني . وكان الشاه عباس يحتفظ بهذه الرسالة وعرضها على ذات يوم وكان يعتقد أن امبراطور المانيا سوف يبر بوعده ولهذا كان يحترمه جدا حتى أنه وضع صورة له في مدخل حجرته الخاصة وكان يحنى رأسه احتراما له في كل مرة يدخل فيها حجرته (٢) . وقد تعجبت من هذا العمل الذي شهدته بنفسى ذات يوم ولما رأى الشاه تعجيبى سألنى هل تعرف هذا الرجل ؟ فقلت لا أعرفه قال هذه صورة امبراطور المانيا والذي يستحق الاحترام لانه يحارب الاتراك ، »

وقد غضب للشاه من صلح امبراطور المانيا والسلطان العثماني وتأثر لدرجة أنه قال يوما لانتونيو دى جوفيا ومرافقيه يوبخهم « أن المسيحيين لم يعودوا اقوياء كما كانوا في السابق كما أنهم لا يرتبطون بأقوالهم أو قراراتهم . » لقد أخذت بقوة سيفى مائة وخمسا وعشرين قلعة من الاتراك ولكن ملوك الفرنجة بدلا من أن يستغلوا هذه الفرصة المناسبة يتجهون للصلح مع السلطان العثماني . ومع هذا الوضع كيف نتوقعون أن أسمح لكم ببناء كنيسة في بلدى وأشجع الارمن على طاعة البابا الاعظم وأترككم تدقون الاجراس في البلاد الايرانية اذهبوا واشكروا لاننى لا احطم نواقيسكم ولا أهدم كنائسكم ولا اخرجكم من البلاد . . . » فقال أحد القسس اذا كان ملك المانيا قد تصالح مع الاتراك فما ذنب ملك اسبانيا الذى أرسلنا كسفراء وكذلك البابا الاعظم الذى لم يكن له شأن في أمر الصلح ؟ « فأجاب الشاه لقد ذكرتم مرارا أن ملك اسبانيا تربطه قرابة بملك المانيا وكلاهما يطيع البابا وعلى هذا فمن المؤكد أنهم قد تشاوروا معا في مثل هذا الأمر الهام ، »

بعد أن عاد أنتونيو دى جوفيا من اصفهان الى المعسكر الملكى أحضره الشاه عباس على الفور وقال له أشياء من الافضل أن ننقلها عينا من رحلة ذلك القسيس حيث كتب :

---

(٢) كان الشاه عباس يحنى احتراما لصورة امبراطور المانيا التي وضعها أعلى مدخل حجرته الخاصة كلما دخل اليها لمجرد أنه أرسل له رسالة يتعهد بالآ يعتقد صلحا مع العثمانيين ، لى هذا الحد بلغ احترامه لى يحارب العثمانيين ( المترجم ) .

« أبدى الشاه سرورا لعودتي وحينما رأى أن حالتي حسنة قال إذا لم يكن مرضك مصطنعا فهو لم يكن خطرا أيضا فقلت أن المسيحيين قليلا ما يكذبون خصوصا وأن عملنا يستلزم الصدق ولكن العناية الملكية شملتني، فقد شفيت بسرعة فقهقه الشاه وقال لقد تصورت أنك مرضت خوفا من العودة الى اسبانيا فاجبت « توجد علل كثيرة يمكن أن تمنعني من العودة الى اسبانيا الاول : أن ملك أسبانيا أمر أن أبقى في ايران • الثاني أن امام قلى بك باكيظه الذى أرسلته جلالته مع لويس برييرا الى أسبانيا لم يعد لأن كما أن روبرت شيرلى لم يعد أيضا واعتقد أن موضوع هذه السفارات جميعا وأحد وأخيرا فان ذهابي لا فائدة منه • فقال الشاه : فيما يتعلق بأمر الملك والذى قال لك ابق في ايران فاننى أتحمل مسؤوليته وأما عن كثرة عدد السفراء فهذا لا يدعو للعجب لاننى أقدمت على أمر عظيم وإذا قدر أن أذاع وحدى امام الاتراك فاننى سوف أهزم(٣) ، خاصة وأن التتار ( الاوزبك ) يهددونى من الناحية الاخرى ، وعلى هذا فان ارسال عدة سفراء ليس أمرا غريبا فعلى أن أجبر ملوك أوروبا على الوفاء بتعهداتهم ويجب عليك أن تذهب وتحدث البابا على معاتبة الامبراطور الالماني لتصالحه مع الاتراك العثمانيين ، وتطلب منه أن يدخل في الحرب ضد السلطان العثماني لانه من غير المستحب عند الله أن يضع البابا وبقية حكام الفرنج يداى في هذا الامر الخطير ثم يتصالحون ويتصادقون مع الاتراك وأنت نفسك الذى كنت سبب حربى مع الاتراك فانت أيضا يجب أن تضحي في هذا السبيل » •

وكانت بضعة قطرات من الدموع قد تساقطت أثناء هذا الحديث من عيني الشاه من الحزن أو من التأثر • فقلت « كنت أرجو أن تكون ارادة كل ملوك أوروبا مرتبطة برغبتى حتى كنت أدفعهم جميعا لحرب السلطان العثماني ولكننى آسفه لان الامر غير هذا • وعلى أية حال فحينما يشاء الملك فاننى سأكون مستعدا للحركة • فسر الشاه كثيرا ورجوته أن يعد الخطابات الرسمية وأن يسمح لى أن اصطحب معى خليفة الارمن لمقابلة البابا الاعظم • فقال الشاه : تعلم أننى أعطيت الحرية للمسيحيين كافة في ايران ولاأستطيع

(٣) وهذا اعتراف خطير من الشاه عباس أن انتصاراته على العثمانيين كانت بمساعدة الدول المسيحية التى كانت تساعد الشاه عباس كما كانت تهاجمهم العثمانيين من الغرب ( المترجم ) \*

أن أجبر خليفة الارمن على أن يأتي معك • ولكن اذا أرضيته فلا شأن لي  
والحقيقة أنني أرغب في أن يرسل حضرة البابا قسا كبيرا الى ايران ليكون  
خليفة لكل المسيحيين» (٤) •

بعد هذا استدعى الشاه عباس أحد قواده المشهورين واسمه دنجيز بك  
قورجى روملو والذي كان حاكما على مدينة كمره وأمره بالاستعداد للسفر  
وأن يذهب الى أسبانيا وايطاليا بصحبة أنطونيو دى جونيا • كما كتبوا بناء  
على أوامره رسائل الى البابا وملك أسبانيا وقراوها في حضور القس  
ودنجيز بك ثم سلمها لدنجيز بك وأذن له ولقس في السفر ،  
كما أرسل معه أحد كبار التجار الارمن واسمه خواجه صفر مع  
خمسین حملا من الحرير لكي يبيعهما في أسبانيا ويفتح طريق تجارة الحرير  
الايراني الذي كان احتكارا للشاه وحده مع أسبانيا وبقية الدول الاوربية عن  
طريق البحر عبر الهند وجنوب أفريقيا •

ويبدو أن الشاه عباس كتب رسالة على حدة مع كلا السفيرين  
الى ملك أسبانيا ، فقد جاء في مقدمة الرسالة التي أعطيت لانطونيو  
جوفيا :

أنا سالم بحمد الله ودائما في حرب ضد الاتراك العثمانيين  
الاعداء المشتركين لبلدنا ، وسوف أحصل على انتصارات جديدة وقد  
وصلت الى ما طلبت حتى الان • ثم أبدى شكره على أن أرسل ملك  
أسبانيا هذا القس كسفير اليه مرة أخرى ، ثم طلب منه أن يرسل رجلا  
لائقا كقنصل في ايران يقيم بها ويقف على شئون المسيحيين ويعمل على  
محاكمة ومجازاة المجرمين المسيحيين طبقا لمبادئ وقوانين المسيحية •

ثم كتب بعد ذلك يقول « ان جلالتك أرسلت منذ سبع سنوات  
نفس هذا القس انطوان (انطونيو دى جوفيا) كسفير الى لكي يحرضني  
على حرب الاتراك العثمانيين ولا شك أنكم علمتم بالحروب التي خضتها

---

(٤) رحلة انطونيو دى جوفيا ص ٤٥٢ - ٤٥٥ •

ضد الاتراك بناء على رغبتك وكلام هذا القس وتعلمون اننى استوليت منهم على مدن وقلاع كثيرة . ومن مقتضيات المحبة والصدقاة اننى لما كانت قد قمت بواجبى ان تشجع جلالتك حلفاءك واصدقاءك ومرؤوسيك على محاربة السلطان العثمانى . وكما لاحظتم جلالنكم اننى احب المسيحيين ولهذا فاننى ارجب ان يرسل من عنديكم قس نو قدر لتكون له الرئاسة على كل المسيحيين فى ممالكى وىقيم فى اوتش كليسا التى هى مركز كل ارمينيا ومكان مقدس فى كل البلاد التابعة الى ونظرا للمحبة التى اكنها لكم فقد منحت كل القسس والروحانيين المسيحيين المقيمين فى عاصمتى منازل ومساكن لائقة ويستطيعون جميعا اقامة منازل اخرى طبقا لرسومهم ورغبتهم وبهذه الرسالة التى تعبر عن علاقتى بجلالتمك والتى يحملها دنجيز بك احد كبار رجال بلاطى وجيشى فاننى اتوقع ان تسمحوا له بالعودة بأسرع ما يمكن وسوف يعرض عليكم بعض الموضوعات التى لم تذكر فى هذه الرسالة . وفيما يتعلق بتجارة الحرير فاننى سأحاول ان اخرجها من يد الاتراك العثمانيين وأحولها لرجالكم وأدير تجارته عن طريق هرمز ويكون من الاحسن لو أرسلت أحدا من قبلك الى جزيرة هرمز ليحافظ على مصالح التجار الايرانيين حتى لا يتضرر الاشخاص الذين يحملون الحرير من اصفهان الى هناك ولا تلحقهم خسائر ما (٥) .

وقد كرر الشاه عباس نفس هذه الموضوعات تقريبا فى الرسالة الاخرى التى بعثها مع دنجيز بك روملو الى فيليب الثالث مع قليل من الزيادة أو النقص . ولما كان ملك اسبانيا قد طلب منه أن يكف يد التجار الانجليز عن تجارة الحرير الايرانى والا يسمح لسفن هذه الدولة بالدخول للموانئ الايرانية ، فقد أشار الى هذا فى رسالته فقال :

(٥) ترجمة من رسالة الشاه عباس باللغة الفرنسية فى رحلة انطونيو دى جوفيا .

« أما ما سبق أن ذكرتموه من عدم استقامة جماعة الانجليز والتوصية بالكابتن جرون وجماعته من الفرنج فانه قبل وصول رسالتكم المحترمة كنت قد أمرت الامراء العظام فى ولايتى فارس ولار الامتناع عن حسن معاملة تلك الجماعة وأن يسلكوا معهم سلوكا يرضى عنه اتباعكم ويشكروه والا يتوانوا عن امدادهم واسعادهم وقد جاء بعض الانجليز الى البلاط العالى وطالبوا كثيرا بالتجارة فى الحرير وان شاء الله تعالى فانه عند بحث هذا الامر سوف يحدث ما يرضى ملازميكم والتابعين لكم ولن يحدث ما يغضب الكابتن المذكور والتابعين لكم » .

وفى نهاية الرسالة أشار الى انه ارسل بعض الحرير « لفتح الطريق البحرى وطمأنة التجار الفرنجة » مع سفيره ولكنه لم يشر فى رسالتيه الى جزر البحرين أو المناطق الساحلية للخليج والتي كان قد استولى عليها من أمير هرمز .

وقبل أن يتحرك أنطونيو دى جوفيا ودينجيزيك الى أسبانيا شاع أن الشاه عباس يريد أن يعقد صلحا مع السلطان العثمانى لانه الى جانب الرسائل المتبادلة بين أم السلطان العثمانى وزينب بيجم عمه الشاه عباس فان رجال الحكومة العثمانية استطاعوا أن يتقربوا للشاه عباس عن طريق حاتم بيك اعتماد الدولة وبعض زعماء الدولة كما أن شريف مكة الذى كان قد ذهب الى استانبول أرسل جن هناك رسائل للشاه عباس يدعوه لترك العدواة التى تضر جميع المسلمين . وقد كتب أنطونيو دى جوفيا فى هذا الشأن يقول :

« يبدو أن الشاه رضى بالصلح ، ومع أن هذه المسائل من الاسرار السياسية فقد سمعت أن الشاه اختار أحد الباشوات الاتراك والذى كان قد وقع أسيرا فى الحرب ليكون سفيرا ويرسله الى استانبول



للاعداد للصلح . ولهذا أفضيت (٦) موضوع سفارتي على الفور لكي  
تصل الى مسامح الجواسيس الاتراك الذين من الممكن أن يكونوا في  
معسكر المشاه والى الباشا الذي تقرر سفر للوساطة وأشعت أن المشاه  
بعثني الى بلاد الفرنج لكي أثير الملوك المسيحيين ضد الاتراك كي  
لا يهدأ وحتى يقضوا على السلطان العثماني . كما أن المشاه يريد  
أن يجعل تجارة الحرير عن طريق هرمز لكي يحرم الاتراك من أرباحه  
وكان هدفي من هذا أن يدرك السلطان العثماني أن المشاه عباس يخدمه  
وفي الوقت الذي يتحدث فيه عن الصلح يشجع المسيحيين على قتاله  
حتى لا يثق في كلام المشاه ويحتفظ بجيش مستعد للحرب على حدود  
ايران . ويحتفظ شاه ايران أيضا بجيش مجهز على الحدود العثمانية  
لانه كلما انشغل هذان العدوان بالحرب فان العالم المسيحي يبقى في  
سلام وطمأنينة .

---

(٦) تأمر انطونيو دي جوفيا ضد المشاه عباس حتى لا يعقد صلحا  
مع الاتراك ويظل كلامها يحتفظ بجيشه على الحدود فتتوقف فتوحات  
العثمانيين في أوروبا ويتوقف توجه المشاه عباس لمناطق الخليج  
واستعادتها من الاسبان .

## السفارة الثالثة لدون أنطونيو دى جوفيا الى ايران

عاد الدون أنطونيو دى جوفيا وندجيز بك روملو من أسبانيا الى ايران فى أواخر سنة ١٠٢١ هـ وهو الى جانب سفارته لفيليب الثالث كان يحمل عنوان مندوب البابا أيضا وعند وصوله الى اصفهان كان الشاه عباس فى مازندران لكنه عاد فى الثلاثين من المحرم من العام التالى الى العاصمة وطلب الدون أنطونيو لمقابلته فى ميدان نقش جهان (\*) . ولكنه هذه المرة قابله بمرارة ، وحينما ذهب القس وندجيز بك لمقابلته أمر فى البداية فمثلوا بدنجيز أمام عينى الدون أنطونيو ثم شنقوه ، وكان سبب شنقه بعض الاخطاء التى حدثت منه أثناء سفارته أولها أنه فى ميناء جوا المركز التجارى للبرتغاليين فى غرب الهند رفع ختم الرسالة التى كان الشاه قد كتبها لفيليب الثالث بناء على طلب نائب ملك البرتغال وأوقفه على مضمونها ثم أنه خلافا للعرف والتقاليد السياسية لبس الملابس السوداء حدادا على وفاة ملكة أسبانيا فى مدريد بينما لا يجب على السفراء تغيير ملابس بلادهم العادية .

كما أنه قام ببيع الرسالة التى كان يحملها من الشاه عباس الى بابا روما لتاجر كان ذاهبا الى روما ادعى فى بلاط البابا أنه سفير ايران . وقد استفاد من هذا المنصب المزعوم . أما اكبر عيوب دنجيز بك فهو اهداؤه خمسين حملا من الحرير الى ملك أسبانيا وكان الشاه عباس قد أرسلها برفقته مع خواجه صفر الارمنى فاخذها منه باغواء أنطونيو دى جوفيا ، كما أنه بسبب سوء سلوكه دفع جماعة من مرافقيه لدخول المسيحية والبقاء فى أسبانيا (١) .

---

(\*) اكبر ميدان فى اصفهان ومن اكبر ميادين العالم  
(١) عندما كان الدون أنطونيو دى جوفيا وندجيز بك متوجهين الى أوروبا ولكى يقدم القسيس خدمة لسيدة ملك أسبانيا فقد أقنع

وقد كتب اسكندر بك التركمانى فى كتابه « تاريخ عالم اراى عباسى » تفاصيل قتل دنجيز بك فى احداث سنة ١٠٢٢ هـ فقال :

فى هذه السنة جاء الرسل والقسس الفرنج الذين كانوا عبارة عن علماء ورهبان مسيحيين موفدين من قبل ملك اسبانيا اكبر ملوك الفرنج الى بلاط المشاه وتشفروا بمقابلة ملك العالم ( عباس ) فى ميدان نقش جهان وعرضوا التحف والهدايا وأدوا التوصية والرسالة وحظوا بالعناية الملكية ، ولما كان سلاطين المسيحيين وحكام الممالك المسيحية جميعا لهم علاقات طيبة مع المشاه الاعلى وكان طريق التراسل والسفر مفتوحا لهذا كان قد أرسل قبل هذا دنجيز بك روملو الذى كان رجلا طلق اللسان لبقا كسفير الى بلاد الفرنج . وقد بدرت منه هناك بعض الاعمال نتيجة للطمع والبخل لم يرضى عنها المشاه ،

==

دنجيز بك أن بيع الحرير فى اسبانيا بواسطة مندوبى شاه ايران لا يابق بمقامه واقنع دنجيز بك من قبيل الخير والنصح - أن يأخذ الحرير من خواجه صفر ويقدمه كهدية من المشاه عباس الى ملك اسبانيا وقد خدع السفير وأعد الحرير لتقدمة كهدية ولكن خواجه صفر الذى كانت لديه تعليمات اخرى من المشاه عباس عارض هذا ، ولما لم يستطع أن يثبتته عن عزمه ترك البعثة احتجاجا على هذا التصرف وعاد الى ايران وأخبر المشاه عباس بما حدث .

يقولون أنه عندما قابل فيليب الثالث دنجيز بك وأنطونيو دى جوفيا وقدموا اليه حرير ملك ايران كهدية له تعجب من هذه الهدية الغريبة وقال بتهكم « يبدو أن ملككم ظن اننى امرأة وأرسل الى كل هذا الحرير الخام لكى أشتغل بنسجه » . ثم قدم احمال الحرير هذه هدية للملكة اسبانيا فى نفس الجلسة فاهدتها بدورها الى أحد الأديرة فى قرية اغوسطين وبهذا وبدلا من أن يباع حرير شاه ايران فى اسبانيا فإنه أنفق فى سبيل الكنيسة والتبشير .

وقد نال القس « أنطونيو دى جوفيا لقب أسقف تقديرا لخدمته هذه ثم أمر مرة أخرى أن يحمل هدايا ورسائل ملك اسبانيا ويعود مع دنجيز بك الى ايران .

وكانت قد عرضت عليه وفي هذا الوقت الذي عاد فيه مع الرسل المذكورين حل عليه الغضب في الحال . وكلما حاول أن يتحدث للاعتذار عن أخطائه فانه لم يسمح له وقام جنود تعذيب الشاه بالتمثيل به وعلقوه على المشنقة مقلوباً للعبره ثم حكم عليه بالاعدام ونال جزاءه وفضيحتة التي لا أراها الله لأحد . وكان من أعماله القبيحة أنه في ناحية جوا وبناء على طلب يوزره حاكمها وقائد موانئ الفرنج فض الختم الشريف عن رسالة الشاه الى ملك اسبانيا وأعلمه بمضمونها . وهذه الخيانة في خدمة السلاطين خطأ عظيم . وكما أنه من التقاليد القديمة ان مبعوثي مختلف السلاطين يلبسون ملابس بلادهم التي جرى العرف والعادة عليها في كل بلد يذهبون اليه ويسلكوا سلوكهم العادي في كل الأمور ولم يأمر الملوك في أى عصر أو زمان بتغيير العرف والعادة الجارية . وحينما كان دنجيز بك في عاصمة ملك اسبانيا وتوفيت زوجة الملك ولبس الملك ورجال الجيش الملابس السوداء كالعرف والعادة وكان الواجب لو كلفوه بهذا أن يقول الحمد لله أن ملكي وولي نعمتي سالم وبخير . فلا يليق بي أن البس ملابس للحداد وكان هذا عذرا مقبولاً ومستساغاً . ثم أن الرسالة التي كتبها جلالة المشاه المعظم الى البابا الذي هو خليفة الامة المسيحية والجالس مكان أصحاب عيسى عليه السلام وأرسلها مع دنجيز بك الذي قام ببيعها لقاء مبلغ من المال الى تاجر على أن يدعي هذا التاجر أنه دنجيز بك ويوصل الرسالة الى دار الخلافة الفرنجية ويستفيد من ورائها . وكان هذا أمراً غير مستحب فقد كان يجب اذا تعذر ذهابه الى تلك الولاية أن يعيد الرسالة ثانية ويذكر الحقيقة ولكنه لم يحترم كتاب اعتماده أو رسالة ولى نعمته . بل انه في الواقع باعها الى تاجر مجهول وتهاون في هذه المهمة . أما أعظم أخطائه والتي استوجبت قتله أنه أساء السلوك مع المرافقين الذين اصطحبهم معه وعمل على ايدائهم حتى أن بعضهم فضل الدخول في المسيحية ليتخلص من ظلمه وبقوا في بلاد الفرنج . وكانت الحمية الاسلامية تستوجب قتله فنال جزاءه .

بعد قتل دنجيز بك أمر الشاه عباس بمصادرة كل أمواله وحتى نسائه وابنائته ووهبهم الى شخص من فينسيا اسمه مايكل أنجلو كريستيانو البينيرو كان يعيش فى بلاط الشاه . وكان الملك يهتم به ويرعاه وبهذا العمل - فى اعتقاده - عاقب مخطئا وكافا مخلصا ، فمنح نساء رجل مسلم الى رجل مسيحي دليل على غاية الغضب وعدم الرضى عن السفير الخطيء .

بعد هذا سأل الشاه أنطونيو دى جوفيا سفير ملك أسبانيا ان كان قد احضر ثمن الحرير الشاهانى أم لا ؟ فاجاب القس « ان ملك أسبانيا ليس تاجرا وليس له شأن بالبيع والشراء ولكنه أرسل هدايا الى الشاه فى مقابل الحرير الذى أهدها ليه دنجيز بك » فقال الشاه اذا كانت هدايا ملك أسبانيا قد أرسلت فى مقابل هداياه فيجب أن يحسبوا اذا كانت تساويها فى القيمة أم لا . فلما حسبوا قيمتها وجدوا أن هدايا فيليب الثالث لا تساوى أكثر من خمس ثمن هداياه فتظاهر بالغضب وقال معاتباً وشاكياً للقس « لماذا لم يرسل ملك أسبانيا ثمن حريرى ؟ ولكن حزنه وعدم رضاه كان بسبب أن ملك أسبانيا لم يدخل فى حرب ضد السلطان العثمانى بناء على كلامه ووعوده السابقة ، كما أن رجاله البرتغاليين نى جزر هرمز وقشم والبلاد التابعة لهم كانوا يسيئون الى الايرانيين . ولهذا أراد أن يجعل موضوع الحرير ذريعة ووسيلة لاعلان الحرب واخراج البرتغاليين من جزر الخليج .

ولقد هرب أنطونيو دى جوفيا من اصفهان الى جزيرة هرمز خوفاً من الشاه عباس ولكن الشاه أرسل الى امام قلى خان أمير امراء فارس أمرا بأن يتحفظ عليه فى مدينة شيراز ويأخذ منه ثمن الحرير الذى أهدها دنجيز بك الى ملك أسبانيا بايعاز منه . وقد تحفظ امامقلى خان مدة على القس فى شيراز ولكنه لم يستطع أن يحصل منه على شىء ولهذا طلب من الشاه أوامر جديدة فى هذا الشأن ولما لم يصله

رد صريح فقد سمح للقس بالذهاب الى هرمز . ولما علم الشاه وكان في مازندران بذهاب القس غضب غضبا شديدا وكتب رسالة عتاب الى امامقلي خان الذى خاف لدرجة انه استعد للهجوم على قلعة جمبرون وجزيرة هرمز واخراج البرتغاليين من المياه الايرانية اذا سمح له الشاه ، ولكن الشاه لم ياذن له لان مثل هذه الحملة كانت من الممكن أن تتسبب فى قطع العلاقات بين ايران واسبانيا ، كما أن حاكم اصفهان الذى كان قد شجع الشاه على ارسال الحرير الى اسبانيا أخذ يعد لجمع قيمته بأية طريقة خوفا من غضب الشاه كما طلب من قسس الكرمليين فى اصفهان أن يسلموه كنيسة الاغسطيين التى ينتمى اليها انطونيوى دى جوفيا حتى يستولى على ما بها من اموال فى مقابل ثمن حرير الشاه .

## السفارة الثانية لروبرت شيرلى الى اوربا

سبق أن ذكرنا أن روبرت شيرلى غادر إنجلترا سنة ١٠٢١ هـ وذهب الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، ولما كان مكلفا من الشاه عباس بالذهاب الى ملكها جهانجيز الجوركانى ، فقد توجه من جوا الى اجرة عاصمة ملوك الهند . وبعد انتهاء مأموريته عاد الى ايران صاملا رسالة جهانجير وهداياه ، وكان من بينها فيلان فوصل اصفهان سنة ١٠٢٤ هـ .

وكان فيليب الثالث قد وعد الشاه عباس فى الرسالة التى ارسلها مع شيرلى انه سيدخل قريبا فى الحرب ضد السلطان العثمانى بمساعدة بابا روما وبقية حكام اوربا . وانهم سوف يرسلون سفنا للبحر الاحمر ليمنعوا وصول البضائع الهندية التى كانت ترسل عن هذا الطريق الى الامبراطورية العثمانية .

ولم تسفر رحلة روبرت شيرلى الى اوربا عن نتائج ذات قيمة ، ولكن الاستقبالات الحارة التى استقبله بها امبراطور المانيا وبابا روما وملك اسبانيا دفعت الشاه عباس الى اعادة ارساله مرة اخرى الى اوربا املا الحصول على نتيجة من خطواته السياسية والتجارية التى استمرت بضع سنين ، ولهذا أمر روبرت شيرلى بعد اربعة اشهر من وصوله الى فى رمضان سنة ١٠٢٤ هـ بالذهاب الى اسبانيا عن طريق جزيرة هرمز والهند وجنوب افريقيا وارسل معه أحد القسس الكرمليين المقيمين فى اصفهان وكان اسمه القس ريدمتودى لاکروز (\*) وكتب الشاه عباس فى الرسالة التى بعثها معه الى فيليب الثالث ملك اسبانيا :

« بعد الالقاء والمجاملات - لما كانت سبل المحبة والصدقة

Pere Redemeto de la Crug

(١)

لحضرات السلاطين المسيحيين قوية معه ومستحكمة وخاصة مع جلالتهم  
وكان المرسل الحكماء وخاصة من القسس العظام يترددون فيما  
بيننا وفتحت أبواب المراسلات والكتب ولهذا أرسلنا اليك المعظم  
المكرم الدون البرت شيرلى الذى كان فى خدمتنا الشريفة كسفير  
اليكم ليحدد اسس الصداقة . كما أرسلنا معه احد القسس العظام  
هو القس ردمتو وهو من الرجال الحكماء المتزين الصادقين للاطمئنان  
والاعتماد وقد أرسلنا رسالة شفوية ونتوقع وننتظر أن جلالتهم الرفيع  
المنزلة ستيقون باب المراسل والصداقة مفتوحا ويكتب لنا عن أحواله  
التي تبعث السرور والفرح عند أحبائه وأصدقائه وأن يذكر أى خدمة  
تكون حتى ننجزها ولا نزيد أكثر من هذا (٢) .

وقد توجه شيرلى مع رفاقه فى نفس الشهر ( رمضان ١٠٢٤ هـ )  
الى أوربا عن طريق هرمز والهند وكان مكلفا من المشاه عباس بأجراء  
مباحثات مع المسئولين البرتغاليين فى هرمز والهند وبعقد معاهدات  
صداقة ، لان الحكومة الاسبانية - كما سنذكر فيما بعد - كانت  
قد استردت منهم فى سنة ١٠٢٢ هـ ميناء جمبرون ( بندر عباس الحالى  
الذى كان من القواعد البحرية البرتغالية القوية على ساحل ايران ،  
كما استردت بعض القلاع الاخرى الساحلية ، ولهذا السبب فان  
المسئولين البرتغاليين التابعين للحكومة الاسبانية فى جزيرة هرمز  
ومناطق سيطرتهم الاخرى كانوا يسيئون جدا للمراعى والتجار الايرانيين  
وقد استطاع روبرت شيرلى ارضاء حاكم قلعة هرمز البرتغالى حتى  
يكف يده عن معاداة الحكومة الايرانية الى أن تتضح نتيجة بعثته  
ومفاوضاته مع ملك اسبانيا . ولكنه لم يوفق لعقد اتفاقية صداقة  
فى مستعمرة جوا الهندية لان البرتغاليين كانوا يريدون أن تعيد الحكومة  
الايرانية الى حكومة اسبانيا المستعمرات البرتغالية القديمة فى الخليج  
مثل جزر البضرين وميناء جمبرون وبعض الموانى الساحلية الاخرى .

(٢) من مجموعة مراسلات المشاه عباس المحفوظة فى المكتبة  
الوطنية فى مدينة نابولى .



ويعد أن قضى شيرلى عشرة أشهر فى ميناء جوا توجه الى اسبانيا على ظهر احدى السفن الاسبانية . وفى هذا الوقت كانت شركة الهند الشرقية التى أسست سنة ١٠٠٩ هـ ( ١٦٠٠ م ) قد ازدهرت فى الهند واعترضت على سفر روبرت شيرلى الى اسبانيا لان مسئولى هذه الشركة فى الهند - كما سنفصل هذا عند الحديث عن علاقات الشاه عباس مع الانجليز - كانوا قد علموا بأهداف هذه الرحلة والتى منها احتكار تجارة حرير ايران عن طريق اسبانيا بواسطة أعوانهم وجواسيسهم فى اصفهان ، وعدوا هذا ضد مصالحهم التجارية ، ولهذا أصدروا أمرا الى سفنهم بالهجوم على السفن البرتغالية فى ميناء جوا والقاء القبض على روبرت شيرلى ولكن السفينة التى كانت تحمل شيرلى استطاعت الافلات من أيديهم ووصلت فى سنة ١٠٢٦ هـ ( اكتوبر ١٦١٧ م ) الى ميناء لشبونه عاصمة البرتغال .

بقى شيرلى حتى أواخر سنة ١٠٣١ هـ ( ١٦٢٢ م ) فى اسبانيا وقد حاول أثناء هذه المدة تحريض اسبانيا على الحرب ضد الدولة العثمانية ولكى يصل الى غرضه هذا فقد وعد فيليب الثالث - بناء على تعليمات من الشاه عباس - أن يحصل على موافقة الشاه عباس على إعادة ميناء جمبرون اذا استولت السفن الحربية الاسبانية على مدخل البحر الاحمر وأغلقت طريق التجارة العثمانية مع الهندس والحجاز ومصر ، وكان ملك اسبانيا يتوقع إعادة جزر البحرين أيضا فى مقابل هذا الاجراء . ولما كان روبرت شيرلى غير مستعد لاعطاء وعود فى هذا الصدد فان فيليب الثالث رفض قبول مقترحاته ولانه كان يشك أصلا فى سفارة شيرلى فقد بعث برسالة الى دون جارسيا دى سيلفا فيجورا الذى كان سفيرا له فى البلاط الايرانى انذاك وأمره أن يتحدث مع شاه ايران بخصوص مقترحات شيرلى ويخبره أنه فى حالة إعادة الحكومة الايرانية لميناء جمبرون والقلاع الساحلية للخليج على الاقل الى الحكومة الاسبانية فان ملك اسبانيا سوف يدخل

فى حرب مع الحكومة العثمانية وسوف يغلق طريق تجارة اسيا والهند فى وجه الدولة العثمانية عن هذا الطريق ، كما طلب روبرت شيرلى سفير الشاه عباس ٠ وقد كتب روبرت شيرلى عدة خطابات الى الشاه عباس عن مفاوضاته مع ملك اسبانيا اثناء اقامته فى تلك البلاد من بينها رسالة بعثها مع القس ردمتودى لاکروز سوف نتحدث عن مضمونها فى الصفحات القادمة ٠

ولما لم يحصل شيرلى على ما كان يتمناه من سفارته فى اسبانيا فانه سافر من لشبونه الى روما بالسفينة ، وفى سنة ١٠٣٢ هـ توجه من ايطاليا الى انجلترا وظل هناك ثلاث سنوات لعقد معاهدات سياسية وتجارية كما سنذكر عند شرح تاريخ العلاقات السياسية بين الشاه عباس وانجلترا ، وفى النهاية عاد الى ايران سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٧م) ٠

## سفارة دون جارسيدى سيلفا فيجورا لايران

بعد أن وعد روبرت شيرلى فى سفارته الاولى فيليب الثالث أن الشاه عباس مستعد لاعطاء احتكار تجارة الحرير الايرانى الى التجار البرتغاليين مع بعض الشروط رأى ملك اسبانيا ارسال سفير الى بلاط الشاه عباس للوقوف على حقيقة الامر ومعرفة الاوضاع التجارية الايرانية . لهذا أرسل أحد رجال اسبانيا المعروفين اسمه دون جارسيا دى سيلفا فيجورا وهو من عائلة فريا الكبيرة المعروفة على رأس بعثة كبيرة مع رسالة ودية وهدايا قيمة الى ايران .

غادر هذا السفير اسبانيا فى بداية عام ١٠٢٣ هـ (١٦١٤م ) ووصل الى جوا مركز التجارة البرتغالية فى الهند فى رمضان من نفس العام وهناك علم أن الشاه عباس استولى أيضا على جزيرة كيش ( قيس ) وقلعة جمبيرون .

قام المسئولون البرتغاليون التابعين لاسبانيا فى ميناء جوا والذين كانوا فى الباطن غير راضين عن الحكومة الاسبانية والذين لم يستطيعوا رؤية اسباني مرسل فى مهمة خطيرة بابقاء السفير الاسبانى مدة ثلاث سنوات فى الهند واختلقوا الموانع المختلفة للحيلولة دون سفره الى ايران وفى النهاية سافر دون جارسيا بسفينة صغيرة من ميناء جوا فى ٨ ربيع الاول سنة ١٠٢٦ هـ ووصل بعد خمسة اسابيع الى جزيرة هرمز وفى الجزيرة خالفه المسئولون البرتغاليون أيضا ولكنه استطاع أن يصل الى شيراز عن طريق لار وظل فى هذه المدينة فى انتظار أوامر الشاه عباس ، وبعد أربعة أشهر وصلت الامر من الشاه عباس الذى كان انذاك فى فرح أباد فى مازندران لكى يذهب الى اصفهان فتوجه من شيراز الى العاصمة اصفهان وبقى حتى ٢٣ جماد الاولى ١٠٢٧ هـ حين توجه الى قزوین بناء على أمر الشاه الذى كان قد ذهب الى هناك .

وقد كتب بييترو دلا فاله الرحالة الايطالى - الذى كان فى ايران فى ذلك الوقت وكان يرافق الشاه عباس فى تنقلاته - فى كتاب رحلته تفصيلات عن وصول دون جارسيا الى قزوین ومراسم استقبال البلاط الايرانى له ومحادثاته مع الشاه عباس وكل جزئيات سفره ورحلته ، ولما كان هذا يعد من اصدق ما يعكس الاوضاع الاجتماعية والسياسية والادارية فى ايران اثناء حكم اعظم الملوك الصفويين كما يعد من اوثق المصادر التاريخية عن ذلك العصر ، لهذا فاننا ننقل اهم ما تضمنه فى السطور القليلة التالية :

« امضى الشاه بقية اليوم فى ارسال الاحكام والرسائل المختلفة وسماع موضوعات الخطابات التى وصلت من مختلف اقاليم البلاد ، وكان اغامير (٢) يقرأها له بصوت مرتفع وكان من بينها عريضة حاكم اصفهان الذى يخبره بوصول السفير الاسبانى ، وكان هذا السفير قد

(١) ولد بييترو دلا فاله Pietro della Valle فى روما سنة ١٥٩٤ هـ ( ١٥٨٦ م ) - ودرس الادب ثم اشترك فى جيش البابا بول الخامس فى جريه ضد فينيسيا وبعد الصلح التحق بسفينة متجهه لافريقيا للقبض على القرصنة . ثم ذهب الى استانبول متوجها للقدس ثم ذهب للقاهرة ودمشق وحلب وبغداد . وهناك تزوج فتاه مسيحية اسمها ستنى معانى اصلها من ماردين ( تركيا ) ثم ذهب لايران على أمل ان يشترك مع الجيش الايرانى فى حروبه ضد العثمانيين ثم ذهب الى سواحل بحر قزوین واصفهان وشيراز وساحل الخليج حيث توقفت زوجته ستنى معانى فى مدينة ميناب ولهذا ذهب الى الهند فى سفينة انجليزية وبعد عام عاد الى البصرة ومنها الى حلب وأوروبا فوصل روما سنة ١٦٢٦ فعينه النابا ادریان الثامن مافقا له وكتب مشاهداته عن رحلته فى رسائل كان يبعثها لصدیق له اسمه ماربو سكاينو فى نابولى وقد جمعت ونشرت كوصف للدول التى زارها من مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والعادات وغيرها .

(٢) اغامير هو مبرزاً طاهر نطنزى المشهور بالامير « ابي المعالى » او اغامير كاتب الوقائع والكاتب ووزير غلمان وبنادقة الشاه عباس .

غادر أسبانيا قبل ذلك ببعض السنوات ولهذا كان البلاط الايراني ينتظر وصوله ولكن طال بقاءه في الهند وهرمز كثيرا .

وكما هي عادة الشاه فقد طلب حضور رئيس بريد اصفهان وسأله شخصيا : أين أنزلتم السفير الاسباني ؟ فأجاب أننا نستضيفه في منزل جلال المنجم ، فقال الشاه انى اشتريت هذا المنزل خصيصا لاستقبال ضيوفى الاجانب ثم التفت الى وسألنى « هل صحيح أن هذا السفير من رجال أسبانيا العظام كما يقولون ؟

فأجبت انى لا أعرفه شخصيا ، ولكننى اعرف انه من عائلة مشهورة ومعروفة جدا « فسأل الملك وهل هذه العائلة من رعايا أسبانيا أم من رعايا البرتغال ؟ فقلت : يظهر أن هذه العائلة تنتسب للدولتين ولكنها تميل أكثر الى جانب أسبانيا ولافراد هذه العائلة مراتب ومنازل رفيعة في البلاط الاسباني .

ويتحدث بيثرو في الجزء الاخر من الرسالة عن سفر الشاه عباس من مازندران الى قزوین واشتغاله بالصيد في منطقة جبل فيروز ( فيروزكوه ) ثم يتابع الحديث عن السفير الاسباني فيقول :

« حينما اخبرونى أن اغامير قد وصل ونزل بالقرب من خيمتى عزمتم على زيارته . فى اقرب فرصة لاسأله عن احوال الشاه . ولهذا ذهبت الى خيمته . فى يوم من ايام اواخر مايو ( جمادى الاولى سنة ١٠٢٧ هـ ) ووجدته فى خيمته وحيدا تقريبا . لانه كان قد أرسل حريمه وكل حاشيته قبله الى قزوین . وكانت خيمته من الخيام الجديدة التى يطلقون عليها فى ايران اسم « شروانلى » لان هذه الخيام تستعمل فى ولاية شروان الشديدة البرد والكثيرة الامطار نظرا لان الخيام العبادية بقماشها الرقيق لا تقوام البرد القارس فى هذه المناطق ، ولهذا يبطنونها من الخارج بلباد سميك ولما كانت هذه الخيام تصبغ ثقيلة جدا فهم ينصبونها فوق اقواس من الخشب لتتحمل سقفها ، »

كان اغامير يجلس مع شخصين من الايرانيين ولكنهما خرجا بعد قليل من دخولى وبقينا وحدنا وأخذنا نتحدث فى موضوعات مختلفة من بينها أنه قال ان السفير الاسبانى قادم من اصفهان لمقابلة الشاه وقد سمعت أنه غاضب على القسس البرتغاليين فى اصفهان وخاصة القس ملكيورد يزانج (١) مندوب ملك اسبانيا والرئيس الحالى للدير هناك . ووصف اغامير السفير الاسبانى بأنه خفيف العقل وأثنى على القس ملكيور بسبب صداقته التى يظهرها للشاه وقال ان هذا السفير الجديد ارسل مبعوثا الى فرح اباد ويبدو أنه يسىء . الظن بى اذ اوصاه ان يسلم رسائله للشاه شخصيا ، وقد ظل مبعوثه عدة ايام فى انتظار مقابلة الشاه وفى النهاية لم يستطع رؤيته فأعاد للسفير رسائله .

بعد هذا كتب بيترود لافاله فى رسالته الخامسة فى مايو ١٦١٩ يصف وصول السفير الاسبانى الى قزوين وترتيبات مقابلة الشاه له فقال :

« فى يوم الخميس ١٣ يونيو ١٦١٨ م (١٨ جمادى الثانى ١٠٢٧ هـ ) علم ان السفير الاسبانى الذى جاء الى ايران عن طريق الهند وجزيرة هرمز وكانوا ينتظرون وصوله منذ مدة طويلة قد غادر اصفهان واقترب من قزوين وهو ينتظر أمر الشاه لدخول المدينة وكانوا قد اعدوا منزلا للسفير فى قزوين ، فلما علمت بقدمه ارسلت على الفرر مترجمى الى هناك لكى يهنئه بالوصول وليخبره اننى سأنهب لاستقباله بنفسى .

فى اليوم التالى أمر الشاه ان يستقبلوا السفير ويدخلوه المدينة وكنت أول شخص ذهب لاستقباله على بعد ميل من المدينة وأبدت له من الاحترام ما استطعت حتى اننى ترجمت أمامه عن فرسى وهذا ليس

Père Melchior des anges

(١)

معتادا فى ايران حتى ان الايرانيين لا يترجلون عن خيولهم امام الشاه  
ايضا وبعدى بقليل وصل حسين بك كبير الامناء مع حاكم قزوين وداود  
خان شقيق امام قلى خان امير امراء فارس وقد ارتدوا ملايس فضمة  
مع صديريات من الأطلس المقصبة وعمامات محلاة بالجواهر والریش  
المختلف وسروج خيولهم ولجمها فضية وذهبية وبصحبتهم مئتان من  
الفرسان من عظماء المدينة وذلك لاستقبال السفير بناء على امر الشاه .

قال داود خان للسفير نحن جميعا عبيد الشاه وكان يقصد من  
هذا ان يظهر عظمة شاه ايران وجلاله . ثم سرنا جميعا فى اثر السفير  
اثنين اثنين . وقد سرت انا وداود خان مع مترجم السفير - الذى كان  
يرتدى الملابس الاسبانية وعارى الرأس ويسير بيننا ، وكان كبير الامناء  
والحاكم يسيران على بعد عدة اقدام امامنا .

كان السفير يتحدث طول الطريق مع داود خان ويبدى نحو أسرته  
كثيرا من الاحترام وقد اثنى كثيرا على شجاعة ابيه الله وردى خان  
ومهارته وأبدى كثيرا من التأثر على وفاته واسفه كثيرا على عدم رؤيته  
ولكننى كنت أعجب من هذا الكلام لأن الله وردى خان مع كل شجاعته  
ومهارته لا يجب ان يكون موضع اعجاب او ثناء سفير ملك اسبانيا لأنه  
كان قد استرد جزيرة البحرين أهم مركز لصيد اللؤلؤ من امير هرمز  
وفى الواقع من البرتغاليين كما استعاد ابنه امام قلى خان امير  
امراء فارس الحالى قلعة ميناء جمبرون التى كان البرتغاليون  
يحتلوها مع مائتى ميل من البحر حولها .

حتى لا اخرج عن الموضوع ، فقد كان السفير الاسبانى يدعى  
دون جارسيا دى سيلفا فيجورا وكان رجلا مسنا ابيض الشعر  
وقد تساقطت أسنانه ، ومع هذا فقد كان يبدو صحيح الجسم قويا  
ومع انه فى العادة يسافر فى محفة ( تخت رمان ) الا انه دخل قزوين  
فى ذلك اليوم ممتطيا حصانا .

كان السفير ومرافقوه يرتدون الملابس الاسبانية التي كانت تتميز بالياقات المنشأة المتعرجة الجميلة ولم يكن عدد مرافقيه يتجاوز العشرين أو الخمسة والعشرين وبعد أن أوصل أعيان ايران السفير الى منزله تركوه - كما هي العادة في ايران - دون أن يترجلوا من على ظهور خيولهم . فيما عدائى أنا لاننا مواطنان ومعنا كبير الامناء بمقتضى واجبه ، فقد رافقناه الى حجرته . وقد ذكرت للسفير اننى مواطن له تبعاً لمفهوم الايرانيين الذين يعدون جميع المسيحيين الاوربيين من أى دولة كانت مواطنين لبعضهم . وقد بقيت لدى السفير أكثر من ساعة وتحدثت معه فى كل أمر خاصة فيما يتعلق بشئون أسبانيا .

وفى يوم الاحد ٢٧ يونيو (٢٢ جمادى الثانى) سمح الشاه للسفير الاسبانى كى يتشرف بمقابلته فى احدى الحدائق الملكية وكانت تسمى حديقة الجنة وليس لها أى طريق سوى شارع واحد يمر بالقرب من القصر الملكى .

كان الشاه قد وجه الدعوة الى شخصيات مختلفة كنت من بينهم وقد حضر هذا الحفل أكثر من مائة شخص من مختلف الدول يتحدثون بلغات مختلفة وكانوا يلبسون ملابسهم الوطنية .

وقد أخبروا السفير منذ الصباح أنه يجب عليه مقابلة الشاه فأخذ فى اعداد نفسه وارتدى ملابس السفراء كما أمر مرافقيه أن يرتدوا الملابس الرسمية الاسبانية ولما كان يريد أن يعرض هدايا ملك أسبانيا على الشاه فى نفس هذا اليوم فقد اختاروا خمسمائة شاب وسيم من أبناء المدينة وأرسلوهم اليه لكى يحمل كل منهم قطعة من الهدايا مهما صغر حجمها وذلك حتى تبدو قيمة الهدايا وكثرتها .

وكانت هدايا السفير التي أحضرها معه الى قزوين كما ذكرنا تساوى نحو مائة ألف كروى أسباني . بالاضافة الى هذا فقد أحضر ثلاثمائة حمل من الفلفل من الهند كهدية تركها لرجال الشاه



فى اصفهان وكانت هداياه تضم بعض الاوانى الذهبية والفضية والبللورية  
والجواهر والاحجار الكريمة ومن بينها صندوق به ستين سلسلة مختلفة  
مخللة بالزمرد والماس وانواع الجواهر الاخرى . وقد حملها ستون  
شخصا أى أنه حسب العادة فى ايران حمل كل شخص سلسلة كذلك  
كان من بين الهدايا بعض السروج واللجم المخللة بالذهب والمساهم  
والاقواس والبنادق ذات الفتيلة والات الحرب الاخرى المرصعة وكذلك  
خنجر وسيف مرصعان بالجواهر الثمينة كان ملك اسبانيا قد تمنطق بهما  
فقط فى يوم زفاقة وضمت الهدايا بعض المبارد والادوات الاخرى التى  
تستعمل فى الحدادة والنجارة نظرا لان شاه ايران اثناء فراغه كان  
يحب هذه الاعمال اليدوية فأرسل له ملك اسبانيا هذه الادوات لاسعاده  
وكان من بين الهدايا أيضا دروع اوربييه ورماح هندية وملابس مختلفة  
وصور من بينها صورة أن النمساوية ملكة فرنسا الجديدة وصورة  
اخرى لبنت ملك اسبانيا الكبيرة التى قدمها السفير كهدية منه للشاه  
عباس .

حينما رتب عرض الهدايا حسب رغبة السفير خرج من منزله فى  
الساعة الثانية بعد الظهر وتوجه للقصر الملكى وكما كانت العادة فان  
حملة الهدايا كانوا يتقدمون السفير واحدا وكان هو يسير فى اثرهم  
وعلى هذا النحو مروا من الشرع الرئيسى فى المدينة حتى وصلوا  
الى باب قصر المشاه وقد شاهدتهم من فوق سطح منزلى والسبب فى  
اننى لم اخرج ولم اذهب للقصر الملكى اننى اعرف أن عرض الهدايا  
يستغرق وقتا طويلا والجلوس امام المشاه على الركبتين مدة طويلة  
على هذا النحو ليس امرا سهلا .

وعندما وصل السفير الى الباب الكبير للحديقة لم يكن المشاه  
قد وصل بعد ولهذا رجوا السفير أن يستريح فى مكان للجلوس مستدير  
كانوا قد أعدوه مثل العرش وفرشوه بالسجاد تحت شجرة كبيرة .  
ولا شك أن روحه وجسمه كانا فى عذاب . كانت روحه فى عذاب

لاجلاس مدة طويلة قرب طريق عام وهذا السلوك مع أشخاص فى مقامه ومنزلته غير مقبول على الاطلاق فى أوربا وكان فى عذاب جسمى لجلوس رجل مسن مثله ساعتين أثناء الصيف وفى أشد ساعات النهار حرارة يمثل هذه الملابس الاسبانية المضيقة والياقات المرتفعة المنشأة .

وإثناء جلوس هذا العجوز تحت الشجرة فى انتظار أوامر الشاه أكتب لكم بضعة أسطر عن هذه الحديقة : -

يطلق الايرانيون على هذه الحديقة اسم حديقة الجنة وفى رأى أنه من الافضل أن يطلقوا عليها اسم الحديقة البرية أو الغابة الوطنية لانه لا يوجد فى هذه الحديقة سوى أشجار الحور العالية الكثيفة التى تظللها من كل ناحية ، ولا توجد أشجار أخرى غيرها وطرقات هذه الحديقة عريضة جدا وتمتد على مدى البصر وعلى جانبى كل شارع نهيرات تتدفق فيها المياه ٠٠٠ وفى وسط الحديقة أقاموا مبنى صغيرا من عدة غرف وفى مقابل هذا المبنى بركة للمياه مربعة كبيرة وعلى أحد جوانبها المواجهة للمبنى أقاموا سقيفة تدخل فى بركة السباحة كأنها شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جوانب ويحمل السقف أربعة أعمدة فقط بحيث يصبح المكان مفتوحا ولا يحول دون سريان الهواء وتحت السقف مكان غير متسع بحيث لا يجلس الا أشخاص قليلون يستطيعون التمتع بنسيم الحديقة وهوائها العليل .

وكان الشاه يريد أن يستقبل السفير الاسبانى فى هذا المكان الصغير ، ولكن عدد المدعوين كان كبيرا ولهذا أمر ففرشوا حول حوض السباحة بالأسطة .

وبعد أن وصل الشاه الى الحديقة وذهب الى شبه الجزيرة تلك ، أدخلوا السفير مع هداياه ومر الاشخاص الذين كانوا يحملون الهدايا بالترتيب من أمام الشاه ثم لفوا من خلف الضيوف حول حوض السباحة وذهبوا للمكان الذى حدد لهم .

ولم أكن فى الحديقة أثناء عرض الهدايا ولكن الذين حضروا قالوا انه بعد وصول السفير الاسبانى نهض الشاه من مكانه وذهب لاستقباله بكثير من الترحيب والمحبة وعندما رأى السفير الشاه أدى الاحترام الواجب وقبل يده وطرف ثوبه ثم قبل رسالة ملك اسبانيا واعطاها للشاه . بعد هذا ارشد الشاه سفير اسبانيا الى السقيفة التى سبق وصفها فحمله ستة من غلمان الشاه وبعده دخل السفير العثمانى أيضا . وكان هناك حاكم جيلان وأحد كبار رجال كرستان وبعد دقيقة توجه الشاه الى هناك وكان يحمل فى يده احدى البنادق التى أحضرها السفير الاسبانى كهدية وقد طلب من دون جارسيا بيانات عنها .

غير الشاه والاشخاص الاخرين الذين ذكرتهم كان يقف مترجم السفير الاسبانى بين الشاه والسفير عارى الرأس ويقوم بترجمة كلام الاثنين وكان بقية الحاضرين - كما قلت - يجلسون حول حوض السباحة .

فى الناحية السفلى من حوض السباحة التى يدخل المدعوون من ناحيتها كانت سفرة العشاء معدة على الابسطة وكانت الاوانى الكبيرة الذهبية والفضية المملوءة بالارز تبدو من بعيد كاهرامات مصر . وكان الخدم الخاص للشاه يقفون بملابسهم المازندانية القصيرة استعدادا لتوزيع الطعام على الضيوف . وكان الانجليز أقل الضيوف عددا فى هذه الضيافة ، وقد جعلوهم فى اخر السفرة ولو لم يكن مندوب الانجليز المقيم فى ايران اكثر احتراماً من مواطنته لما وجد مكانا مناسباً لجلوسه . وكان اتباع السفير الاسبانى سواء المخدمين أو الخدم يجلسون بعد المرعايا الانجليز ، ولم يكن يفصل بينهم الا مجرى الماء الخارج من حوض السباحة . وكان المرافقون للسفير العثمانى يجلسون قبل مرافقى السفير الاسبانى وقبلهم بعض كبار العرب والاكراد الذين جاءوا من انحاء ايران المختلفة وكانوا ضيوفاً على الشاه وقبلهم كان يجلس شقيق أمير مكران الولاية التى على حدود ايران وساحل بحر عمان .

وقد أجلسنى كبير الامناء الذى نظم هذه الضيافة وأشرف على كل شىء فيها قبل شقيق امير مكران لانه اعتقد اننى لما كنت لا أمثل أية دولة ، وجئت الى ايران برغبتى ، فاننى أكثر اعزازا واحتراما من كل الاوربيين المدعويين لهذه الضيافة ، ولا يجب أن اجلس معهم فى مكان واحد . ولم يكن يجلس قبلى سوى وزير مازندران وبعض كبار رجال تلك الولاية وذلك لخدماتهم الجليلة للشاه ولتشرفهم بالحصول على خلعتة العادية وهى نصف جبة مقصبة بالذهب .

وأخذ الشاه يتحدث مع سفيرى اسبانيا وتركيا فى موضوعات مختلفة حتى الغروب ولم يتعرضوا للمسائل السياسية . وكانوا أثناء الحديث يتناولون كئوسا من الشراب أو يأكلون بعض الفاكهة . ولم يقدم لنا شىء منها وأخذ كل واحد يتحدث مع من بجانبه ، ولما أظلمت الدنيا أحضروا أولا مصابيح شمعية كبيرة وضعوها خلفنا على مسافات معينة ، ثم فرشوا أمامنا مفارش مائدة صوفية ، ثم وضعوا عليها شموعا كبيرة ومصابيح ( شمعية ) مختلفة . وكان ضوء هذه المصابيح المنعكس على صفحة الحوض يختلط مع ضوء السماء الصافية على مياه الحوض الجميل ، وتلك الاشجار الخضراء الشاهقة مما يعطى صورة جميلة تبعث على البهجة ، لا يمكننى أن أتصور أجمل منها .

بعد أن رتبتم الشموع والمصابيح بشكل معين أحضروا العشاء وكان خدم الشاه يقدمون الشراب لمن يرغب فى أباريق وكئوس من الذهب ، أو يقدمون له الماء فى أباريق كبيرة مملوءة بالثلج . وقد تم تناول العشاء بسرعة لان السفير الاسباني لم يستطع الجلوس على الارض بملابسه الضيقة أكثر من هذا مما دعاه الى الاستئذان من الشاه فى الانصراف ، وقال له انه لو بقى أطول من ذلك على هذا الوضع فسيموت . وقد سمح له الشاه بالانصراف ، وبعد ذهابه نهض أيضا

السفير العثماني من باب الادب وبقي الشاه وحده ولم يمض الا القليل حتى طلبنا الاذن أيضا وخرجنا من الحديقة ٠٠٠ ء ٠

نسيت أن أذكر أنه أثناء هذه الضيافة - كما هي العادة - لم ينقطع صوت الموسيقى وغناء المغنين ، ولكن هذا لم يمنع حديث الحاضرين لأن العادة في مثل هذه الحفلات أن العزف والغناء يكون هادئًا ٠٠٠ ء ٠

وقد قابل السفير الاسباني الشاه عباس مرتين خلال شهر بعد هذا الحفل الرسمي ، وكانت المرة الاولى صادفة إذ أن السفير كان قد خرج من منزله لزيارة صديق فالتقى بالشاه أثناء الطريق فمصطحبه الشاه معه الى إحدى الحدائق الملكية القريبة من الميدان وهناك تناول معه الشراب مدة في حضور جماعة من رجال البلاط ٠ وتحدث معه بحرارة في كثير من المسائل وبعد بضعة أيام عندما أراد الشاه استعراض هدايا حاكم مدينة شماخي ويوسف خان حاكم شروان في ميدان قزوین فقد دعى السفير الاسباني الى الميدان وتناول الحديث كل الموضوعات سوى الموضوعات السياسية ٠

وفي أواخر شهر رجب من نفس السنة علم أن الشاه ينوي الرحيل من قزوین والذهاب الى أنزليجان ، فأراد السفير الاسباني أن يطلب الاذن بمقابلته ويعرض عليه في مجلس خاص سبب مجيئه وسفارته ٠ وقد كتب بيترو دلافاله في هذا الشأن يقول : « حين علم السفير الاسباني بنية الشاه على الرحيل أثار ضجة كئى يستقبله الشاه في جلسة خاصة ولكن هذا الامر كان يبدو مستحيلًا لأن شاه ايران لم يكن يستقبل السفراء الاجانب في قصره أبداً على انفراد إذ أن استقبالهم كان دائماً في ضيافة رسمية حتى ولو كان لدى السفراء موضوعات سياسية هامة فلم يكن هناك ما يمنع من عرضها عليه في وجوه الاخرين ٠ ولكن السفير الاسباني لم يتحدث في المسائل السياسية بين الدولتين مع انه قابل الشاه ثلاث مرات ٠

ولقد سعى السفير كثيرا لعله يستطيع أن يتحدث مع الشاه في جلسة خاصة وقد بذل حسين بك كبير الامناء وأغامير وزير الغلمان جهودا كبيرة في هذا الصدد ولكنها لم تكفل بالنجاح وفي النهاية لجأ السفير الاسباني الى القس جان ثادية (١) رئيس القسس الكرمليين في اصفهان والذي كان قد جاء لمقابلة الشاه وقد الحج القس على شاه ايران حتى يقبل طلب السفير الاسباني . وقد استجاب الشاه يوم ١٩ يونيو ١٦١٨ م ( ٢٥ رجب ١٠٢٧ هـ ) لرجائه - كما سنبين فيما يمه .

ففي عصر يوم ١٩ يونيو طلب الشاه من السفير الاسباني ان يضر الى ميدان قزوين ، وحين وصل الشاه توجه مباشرة الى السفير الاسباني ، وبعد ان تحدث بضع دقائق مع الآخرين في وجود السفير اشار اليه كي يسير معه ثم سارا راكبين فرسيهما ودارا عدة دورات في الميدان ، وكان مترجم السفير وهو عارى الرأس يركب فرسه ويسير بينهما ، وكنا لا نسمع ما يدور بين الشاه والسفير ، ولكن ساروتقى وزير مازندران واسفنديار بك وهما من خاصة الشاه وكانا سيران خلفهما مباشرة قد اطلعا على موضوع المحادثات .

ولقد سمعت فيما بعد نقلا عن السفير أن فيليب الثالث شكى من الاستيلاء على البحرين مركز هيد اللؤلؤ وقلعة جمبرون ومينائها والتي استردها جيش ايران من أيدي البرتغاليين ولكن الشاه دون أن يشير الى موضوع الاستيلاء على الميناء اجاب بقوله أننا أخذنا جزيرة البحرين من أمير هرمز الذي كان منذ القدم تحت حمايتنا ويدفع الخراج لنا ، ولم يكن هذا الأمر يرتبط بالبرتغاليين رعايا ملك أسبانيا ، ولهذا فلا موجب لشكوى ملك أسبانيا أو عتابه ، وعلى عكس ما يتصوره السفير فليس للحكومة الأسبانية أية حقوق على جزيرة البحرين .

بعد هذا ترك الشاه السفير الألباني وتوجه الى قصره وبقي  
السفير وحده فى الميدان ، وقد اصطحبه كبير الأمناء حتى منزله وتفرقتنا  
نحن أيضا .

كان الشاه عباس حاد الذكاء ماهرا ، فقد كان أثناء أحاديثه  
السياسية يتكلم بحيث يرضى الجانب الآخر ، ولكنه لا يتعهد له بشيء  
يستمتع للحديث ولكنه لا يهتم له وكان لا يعقد اتفاقا ضد مصالحه أو  
منافعه ولا يمكن استنتاج نواياه مما يتظاهر به .

بعد ذلك حينما رأى السفير الألبانى أن الشاه على وشك الرحيل  
طلب مقابلته لهستأذن فى العردة الى وطنه ويتسلم الرد على رسالة  
ملك ألبانيا ، ولكن طلبه لم يقبل ، ويحث له الشاه عباس من يقول له  
أنه لما كان بعض رفاقه مرضى ، ولما كان السفر بالنسبة له صعبا متعبا  
نظرا لكبر سنه ، فمن الأفضل أن يذهب الى اصفهان ويستريح هناك  
من عناء السفر ووعده انه حينما ينتهى من حملته العسكرية ويعود الى  
اصفهان فانه سيهيه له ما يرضيه . وكانت هذه الرسالة من الدهاء بحيث  
لم يجد السفير الألبانى مقرا من قبولها لأن الشاه كان قد طلب من  
السفير عدة مرات أن يرافقه الى آذربيجان ولكن السفير تذرع بمرض  
مرافقيه وشيخوخته لرفض طلب الشاه .

ومن البديهي أن الشاه لم يسمح للسفير الألبانى بالعودة لاحد  
اسباب الثلاثة التالية :

١ - أراد أن يرد على سوء تصرف السفير لرفضه الدعوة لمرافقته له  
فى السفر الى آذربيجان .

٢ - أراد كعادته أن يبقى السفير فى ايران بعض الوقت لانه كثيرا  
ما ذكر أن السفراء اذا أنهموا مهامهم بسرعة وعادوا الى بلادهم فيجب أن  
يسموا سعاء بريد لا سفراء .

٣ - ربما أراد أن يبقى السفير فى ايران حتى تعرف نتيجة حربه مع

السُلطان العثماني كي يتمكن من اتخاذ اجراء بتطويق بتوثيق علاقات  
الصداقة مع ملك اسبانيا أو قطعها .

دلى أية حال فان الشاه غادر تزوين دون أن يتقابل السفير الذى  
اضطر للتوجه الى أصفهان .

### الاستيلاء على ميناء جمبرون

قبل أن نستطرد في الحديث عن سفارة دون جارسيا دى سيلفا ، نتحدث  
عن ميناء جمبرون وأحواله السياسية في ذلك الوقت .

كان ميناء جمبرون عبارة عن قرية صغيرة على ساحل مضيق هرمز  
يبعد عن جزيرة هرمز نحو فرسخين ، ولم يتفق الرحالة الاوربيون على صحة  
اسم هذا الميناء فمن جمبرون الي كمبرون بضم الجيم والكانب وفتحها الي  
كمبرو أو الاكتفاء باطلاق اسم « البندر » عليها أو حتى البندل .

عندما استولى البرتغاليون على جزيرة هرمز وجعلوا أمير تلك الجزيرة  
تحت حمايتهم ، واستولوا أيضا على ميناء جمبرون الصغير بحجة أنه ضمن  
ممتلكات أمير هرمز مع مائتى ميل من المياه المحيطة به ولما كانت سواحل  
الجزيرة لا يوجد بها ملجأ مناسب لسفنهم الحربية للصغيرة فقد جعلوا  
ميناء جمبرون مرسى لمثل هذه السفن كما بنوا قلعة هناك في بداية حكم  
الشاه عباس لتتولى حراسة سفنهم والمحافظة عليها والتي كان يوجد منها  
بصفة مستمرة نحو من ٢٥ الى ٣٠ سفينة مسلحة وكان رجال المراقبة  
في جزيرة هرمز عندما يرون سفينة أجنبية في البحر يخبرون سفنهم  
باطلاق المدافع حتى تخرج هذه السفن من ميناء جمبرون لتحصيل رسوم  
العبور في المضيق والرسوم التجارية الاخرى .

وبعد استيلاء البرتغاليين على البحرين وسوء معاملتهم للتجار  
الاييرانيين وأهالى جمبرون وكل الموانى والجزر المحيطة بهم صمم الشاه  
عباس على القضاء على نفوذهم في سواحل الخليج قدر الامكان . وكلف الله  
وردى خان أمير أمراء فارس لتنفيذ هذا الاجراء . وقد أرسل حاكم فارس  
بدوره ابنه أمام قلى خان والذي كان حاكما على لار للاستيلاء على ميناء  
جمبرون وذلك سنة ١٠٢٢ هـ . ولكنه لم يتمكن من فتح القلعة في ذلك العام



وفي العام التالي وبعد وفاة أبيه ( ١٤ ربيع الثاني سنة ١٠٢٢ هـ ) وحينما أصبح مكانه أميرا للامراء تمكن من الاستيلاء على قلعة جمبرون وخرابها وأنشأ بدلا منها قلعة حصينة على نمط القلاع التي كانت تبني آنذاك في أوروبا على مسافة ٣٠٠ قدم من القلعة السابقة بعيدا عن البحر .

منذ ذلك الحين خرج ميناء جمبرون من أيدي البرتغاليين وخضع للسيطرة الإيرانية وفوض أمام تلي خان أحد قواده لحكومة هذا الميناء وإدارته .

وعندما وصل دون جارسيا دي سيلفا نيجورا سفير أسبانيا الى ايران كان حاكم جمبرون اسمه تاسم بك وكان هذا الميناء يتكون من نحو مائتي منزل وقد ارتقى ميناء جمبرون كثيرا بسد أن استولى الشاه عباس على جزيرة هرمز وسمى الميناء منذ ذلك الوقت باسم بندر عباس وأصبح مركز تجارة الانجليز والهولنديين كما سنبين ذلك فيما بعد .

بعد أن توجه الشاه عباس من قزوين الى آذربيجان كما سبق أن ذكرنا اضطر دون جارسيا سفير أسبانيا للذهاب الى اصفهان بناء على أوامره وأقام هناك في انتظار انتهاء الحرب الإيرانية العثمانية وعودة للشاه عباس الى عاصمته اصفهان .

ولكن الشاه عباس بعد ان انتهى من الحرب مع العثمانيين وتصالح معهم عاد الى قزوين ومنها الى فرح آباد في مازندران ( ٢٨ ذى القعدة ١٠٢٧ هـ ) ولم يعد الى عاصمته حتى الثالث من شهر رجب في العام التالي ( ١٠٢٨ هـ ) .

وقد وصلت بعض الرسائل من ملك أسبانيا عن طريق مندوبية في الهند الى دون جارسيا وذلك خلال المدة التي قضها الشاه في نرح آباد (١) مازندران وقد تضمنت هذه الرسائل أن روبرت شيرلي سفير الشاه عباس الى ملك أسبانيا قد اقترح عليه اقتراحا خلاصته أن الحكومة الاسبانية اذا أرسلت بعض السفن الحربية الى مدخل البحر الاحمر وأغلقت طريق التجارة مع الهند في وجه الجزيرة العربية ومصر وبقية الدول التابعة للعثمانيين فان شيرلي سيطلب من الشاه عباس أن يبذل مساعدات أكثر في المسائل التجارية

(١) فرح آباد كان اسمها طاحونه ( المترجم ) .

والسياسية للبرتغاليين الاسبان في جزيرة هرمز والهند وربما استقرضى الشاه عباس حتى يصرف النظر عن ميناء جمبرون وأيضا يعيده مرة ثانية للحكومة الاسبانية . ورأى ملك أسبانيا أن يطالب باعادة جزيرة البحرين كشرط لتبول هذا الاقتراح ولكن روبرت شيرلي ذكر أنه لا يمكنه التفاوض في هذا الامر على أية حال فان ملك أسبانيا لايثق في كلام روبرت شيرلي مع أنه كاثوليكي المذهب ويطلب من القس ملكيور ديزانج المندوب المقيم لاسبانيا في ايران أن يتفاوض مع الشاه عباس مباشرة بشأن مقترحات سفيره ويبلغ الحكومة الاسبانية عن مدى صحتها حتى يمكن للحكومة الاسبانية أن تعقد اتفاقا مع روبرت شيرلي بشأن ارسال سفن حربية للبحر الاحمر بشرط أن تعيد الحكومة الايرانية الى أسبانيا ميناء جمبرون على الاقل .

وقد أرسل دون جارسيا هذه الرسائل من اصفهان الى قزوين حيث كان يقيم القس ملكيور آنذاك فحملها القس وتوجه بها الى فرح اباد لمقابلة الشاه ولكن الشاه عباس قال له أنه لا حاجة به الى السفن الحربية الاسبانية نظرا لأنه كان قد تصالح مع الحكومة العثمانية كما أبلغه عن طريق السفير أيضا أن الاراضي التي استولى عليها أرض ايرانية ولن يعيد شبروا واحدا منها للبرتغاليين .

ويجب أن نذكر هنا أنه قبل أن تصل رسائل ملك أسبانيا الى سفيره دون جارسيا فان روبرت شيرلي كان قد قام بإرسال عدة رسائل باللغة الاجنبية وبواسطة مبعوث خاص عن طريق حلب الى القس جان تاديه رئيس القسس للكرمليين في اصفهان ورجاه أن يترجمها للشاه عباس ولكن هذه الرسائل وصلت الى القس في اصفهان بينما كان الشاه وقتذاك في أردبيل وكانوا يقولون أنه سيتوجه منها الى اصفهان ولهذا اضطر القس الى حملها معه الى اصفهان ولكن الشاه توجه الى مازندران خلافا لما كان شائعا وحينما طلب منه القس جان تاديه تعليمات بشأن رسائل روبرت شيرلي رد عليه بأن يبقيها معه حتى يعود هو الى اصفهان ويعرضها عليه ، ولهذا بقيت رسائل روبرت شيرلي مدة في اصفهان دون أن تقرأ . ولهذا استطاع سفير أسبانيا في ايران أن يطلع على مقترحات روبرت شيرلي قبل أن يطلع عليها الشاه وذلك عن طريق الرسائل التي وصلت من الهند . في أواسط سنة ١٠٢٨ هـ عاد الشاه عباس من مازندران الى اصفهان

وبعد بثلاثة أيام وصل سفراء الهند والعثمانيين وحكومة هوسكو الذين كانوا قد التقوا قبل هذا مع الشاه في أردبيل وقزوین . وقد كتب بيترودولاماليه - الذى كان آنذاك فى اصفهان - يصف وصول السفراء وترتيبات استقبالهم بالتفصيل . ولما كان يمكننا من هذا الوصف الوقوف على مراسم البلاط الايرانى وترتيبات استقبال السفراء الاجانب فى ذلك العصر ، فاننا ننقل هنا خلاصة الاجزاء الهامة التى كتبها :

فى صباح يوم الاربعاء ١٩ يونيو ١٦١٩ م ( ٦ رجب ١٠٢٨ هـ ) وصل الى اصفهان سفراء الدول الثلاث : الهند وهوسكو والعثمانيين بكثير من الحفاوة ، وكانت حكومة هوسكو قد بعثت بسفيرين الى بلاط الشاه عباس ، وقد توفى أحدهما فى قزوین ووصل الآخر مع سكرتيره الى اصفهان ، وفى يوم وصول السفراء أعلن الشاه لاهل اصفهان أنه سيستقبلهم شخصيا ، ويجب على أهل المدينة أيضا أن يستقبلوهم ويرحبوا بهم ، كما طلب من سفيري الدولتين الاخرين ومما سفير أسبانيا ومندوب انجلترا وكانا يقيمان قبله فى اصفهان أن يلحقا به خارج المدينة ليكونا فى استقبال السفراء الثلاثة .

وكان الشاه قد أعد قبل هذا نحو ٦٠ ألفا من حملة البنادق من أهل اصفهان والمناطق المحيطة بها وأمرهم أن يأتوا الى المدينة فى يوم معين وهم على أحسن صورة ممكنة وقد حضروا من مختلف الجهات فى جماعات وقد ارتدوا الملابس الملونة البهيجة وعلى رؤسهم الممائم المزينة بالريش الجميل وكان لكل جماعة قائدها الخاص ، وكانت تسير على أصوات الموسيقى من طبل وأبواق والآلات موسيقية حربية أخرى معروفة فقط فى ايران . كما كان لكل جماعة علمها الخاص بها وحربة مربوط فى نهايتها أشرطه عريضة وبعض الشرائط الرقيقة الملونة . وقد اصطف هؤلاء الجنود البالغ عددهم ستين ألفا فى صفين من أمام القصر الملكى الواقع فى ميدان اصفهان حتى قرية دولت آباد التى كان بها السفراء وتقع على بعد ١٢ الف قدم من المدينة وكان كل منهم يحمل بنحقيه وضعها واقفة على قاعدتها بجانبه .

فى صباح هذا اليوم تصاعدت أصوات الطبول والابواق والآلات الموسيقية الاخرى التى تصم الاذان ، وكان الجنود يخرجون من صفوفهم فى جماعات من ثمانية أو عشرة جنود ويرقصون كما هى العادة فى ايران وكانت

كل جماعة تتعب من الرقص تعود الى مكانها لتحل محلها جماعة أخرى تتابع الرقص وتعطى سلاحها للآخرين حتى تنتهى من رقصها وقد لاحظت أن الايرانيين ميالون للرقص كثيرا فهم عندهم يسمعون صوت الموسيقى ويساهمون جماعة ترقص يفتدون سيطرتهم على أنفسهم شيئا فشيئا حتى أكثرهم وقارا وانزانا فانهم يشتركون في أماكنهم بالرقص بتحريك أيديهم وأقدامهم وعيونهم وحواجبهم ورؤسهم \*

على أية حال فان الطريق كله من دولت آباد حتى اصفهان ويبلغ نحو أربعة كيلو مترات استمر فيه الرقص والنساء والموسيقى من الصباح حتى المساء وانشغل الناس بالرقص والحركة والتصفيق وكان يسمع بين لحظة وأخرى صيحات « اطال الله بقاء الشاه عباس ونصره » \*

وكان يقف أمام قصر الشاه وعلى طول الميدان صفان من الغلمان الحسنى الصورة الى جانب الصفيين من حملة البنادق وكانوا يحملون أقداحا ذهبية للشراب وبعضهم يحمل أنية الماء المثلج وكانوا يسقون الناس من هذا أو ذلك \*

وكان الشاه عباس قد أمر رجاله المعروفين وأعيان البلاط كى يخرجوا الى دولت آباد لاستقبال السفراء فتوجهوا الى هناك وسط صفوف الجند وسار خلفهم تابعوهم ومرافقوهم وكانوا يلبسون ملابس فاخرة من الحرير وعمائم محلاة بالجواهر النفيسة والريش الجميل ويركبون خيولا أصيلة أجمتها فضية أو ذهبية وكان الازدحام شديدا حتى يخيل اليك أن كل أهل اصفهان ركبوا الخيول وخرجوا للاستقبال \*

ولم يكتف الشاه بهذا بل أمر ببقية الناس من غير المسلمين من فرنجة ومجوس وأرمن ويهود كى يخرجوا للاشتراك فى الاستقبال خاصة اليهود الذين كان قد أكد عليهم وقد خرجوا من المدينة فى جماعات وكانوا يغنون أغانى خاصة ويقرأون أدعية ويحملون شيئا ملفونا فى قماش يقال أنه التوراة مع شمع مضاء ، كما كان المجوس مع نسائهم وبناتهم يغنون ويرقصون فى الحوارى ، وكان يقف فى وسط حملة البنادق سبعمائة شخص من مسيحيي جلفسا كما كان يقف ثلاثمائة فارس بأسلحتهم الكاملة وملابسهم الجميلة فى مكان اخر عين لهم من قبل \*

بالإضافة الى هذا أمر الشاه أن تشترك جماعة من نحو عشرين الى خمسة وعشرين سيدة من نساء الحرم في استقبال السفراء ، وهذا الامر من بين التشریفات الخاصة التي تحدث مع السفراء فوق العادة فقط وقد سار هؤلاء النسوة راكبات خيولهن مكشوفة وجوههن وفي كامل نظامهن لاستقبال السفراء ، وكما قلت كان معروفا أنهن من نساء الحرم ، ولكنى على يقين أنهم غير ذلك لان نساء الحرم وحتى جوارى الشاه لا يستطيع أى رجل حتى سوى الشاه شخصا وأغوات قصوره رؤيتهن، ويستطيع المفربون أيضا مثل الاب أو الاخ الذهاب لرؤيتهن في قصر الملك .

حينما سمع السفير الهندي أن الشاه سيخرج لاستقباله في قرية دولت آباد انتظر هناك طويلا ، ولكن الشاه - الذى كان في رأسه فكرة أخرى - اكتفى بإرسال الاعيان وكبار رجال الدولة وبقي الشاه في اصفهان حتى اضطر السفير الهندي في النهاية الى التوجه للمدينة واضطر سفيرا العثمانيين والروس الى متابعته في السير . ومن الاشخاص الذين كلفهم الشاه بالذهاب لاستقبال السفراء كان السفير الانجليزى الذى لم يكن يهتم بالسلوك والتقاليد الدبلوماسية والملكية ، فقد ذهب الى دولت آباد كذلك أرسل الشاه عباس سبعة خيول بالجمة وسروج ذهبية خصيصا للسفير الاسباني وطلب منه الخروج من المدينة ليكونا معا في استقبال السفراء ورؤيتهم . وقد أطاع هذا الكهل المتكبر وخرج برفقة حاكم المدينة ولما كان لا يريد أن يرافق بقية السفراء ترفعا منه وتكبيرا ، فقد كان دائم البحث عن الشاه . ولكن الشاه كان على العكس يريد أن يرى السفير الهندي الذى من أجله أقيمت كل هذه الاستقبالات . ولهذا فقد غادر المدينة عن طريق آخر وحينما وصل الاشخاص الذين كانوا يتقدمون موكب السفير الهندي الى مشارف المدينة التقوا بالشاه في مكان على مقربة منها فادى مراسم الاستقبال وبعد ساعة ونصف من وصول الآخرين للمدينة اصطحب الشاه سفير الهند وحده الى القصر الملكى ، وقد غضب السفير الاسباني حين علم أن الشاه لم ير السفراء الآخرين بل حتى لم يستقبلهم وأخذ يشكو قائلا أن مقامه أرفع من أن يخرج ليستقبل تاجرا ، وكان يقصد بالتاجر سفير الهند ، ذلك أن أكثر رجال الهند آنذاك كانوا تجارا محترفين ولكنه كان مخطئا اذ أن هذا السفير الهندي كان من أقارب ملك الهند وكان أحد أهم ثلاثة رجال في بلاطه ، وكان هؤلاء الثلاثة بالترتيب

هم : خان الخانين ، وكان يلي الشاه في علو المرتبة ، نُم أمير الامراء ،  
والثالث خان العالم ، وهذا الشخص الذي أرسله السلطان سليم الملقب نور  
الدين جهانكير كسفير الى الشاه عباس كان خان العالم أى الشخص الثالث  
في الهند بعد السلطان .

على أية حال لم يكد سفير أسبانيا يعود في غاية الضيق والغضب الى  
منزله مع مراقبيه حتى ارسل الشاه في اثره حسين بك كبير الامناء وطلب منه  
أن يذهب الى القصر الملكي لان كل السفراء هناك فاضطر دون جارسيا لارتداء  
ملابسه من جديد والذهاب الى القصر مع مرافقية ، وكان هناك حسين بك  
قورجى وداود خان شقيق أمام قلى خان أمير أمراء فارس وقرجغاي خان  
قائد الجيش الايراني وكذلك كل الوزراء واصطحب تيمور آغا ورئيس أغوات  
القصر السفير الى الداخل وكان في القاعة الكبرى السفير العثماني وسفير  
الهند وشقيق شريف مكة وسفير الازبك والروس ومدوب انجلترا . وبعد  
دقائق دخل الشاه من باب خاص مع اثنين من الخدم وحيا السفراء واختار  
مكانا لكل واحد وأجلس سفيرى الهند واسبانيا على مقربة منه كما سمح  
لمرافقى السفير الاسباني بالدخول . ولما كان السفير الاسباني لا يستطيع  
الجلوس على الارض ، فقد طلب أن يحضروا له كرسيًا قصيرا .

في هذا المجلس قام كل سفير بتقديم رسائل من قبل ملكه ومن بينهم  
السفير الاسباني الذى قدم رسالة كانت قد وصلته آنذاك من الملك فيليب  
الثالث بواسطة قس برتغالى اسمه برنار أزفيدو (١) وقد أعطى الشاه  
الرسالة الى القس جان تاديه رئيس القسس الكرمليين في أصفهان كى  
يترجمها ولم تكن هذه الرسالة تتضمن غير المجاملات الرسمية ، ثم شرب  
الشاه مع السفراء وبعد ساعة استأذن السفير الاسباني وعاد ثم تفرق  
الباقون بعد ذلك .

وفي مغرب ذلك اليوم دعا الشاه السفراء ومرافقيهم لمشاهدة أضواء السوق  
واصطحبهم جميعا الى احدى القهاوى، وكانت القهاوى آنذاك واسعة كبيرة نظيفة  
ومفتوحة وفي تلك الليلة زينت كل الاسواق والقهاوى والدكاكين بالمصابيح  
حيث علقت في أسقفها مصابيح بدت كأنها النجوم في السماء ، ولما كانت

للقهاوى مسقوفة وفي وسط أفنائها توجد أحواض كبيرة ، لهذا كانت الارض أيضا قتلا كالماء التي ملأتها النجوم من انعكاس مصابيح الاسقف والمصابيح الاخرى التي وضعت حول الاحواض .

كما أقيمت أمام كل قهوة أقواس نصر فرشت تحتها البسط المختلفة لجلوس المترددين على القهوة والمتفرجين ، وقد جلس الشاه تحت أحد هذه الاقواس ، وأذن للسفير الاسباني بالجلوس على كرسى في الناحية الاخرى المواجهة له وجلس السفير العثماني على يساره وتحت قوس آخر جلس سفراء موسكو ومرافقوهم وجلس مندوب انجلترا ورجاله تحت قوس نصر أبعد قليلا وجلس الآخرون من قسس وضيوف الشاه ورجال الدولة جماعات جماعات في أقواس نصر أخرى وجلس سفير الهند - الذى وصل متأخرا بضع دقائق - في مواجهة الشاه .

بعد هذا قام غلمان على قدر كبير من الجمال من جورجيا واصفهان ممن يعملون عادة في مثل هذه القهاوى لخدمة الرواد والرقص بأداء رقصات جورجية وايرانية وهندية وتاتارية وهم يلبسون ملابس نسائية ويغنون أيضا على أنغام الموسيقى .

في هذه الاثناء أحضروا مقارن مائده صغيرة وضعوها أمام الشاه والسفراء رقدموها لهم العشاء وقد أكل الشاه قليلا ولكن السفراء لم يتناولوا شيئا من الطعام أما لشبعهم وأما لانهم لم يروا من المناسب أن يتناولوا العشاء على هذا النحو ، كما أنهم لم يشربوا القهوة التي وضعها امامهم غلمان القهاوى الحسان الوجوه واكتفوا بشرب الخمر وقد شرب الشاه نخب كل واحد من ملوكهم . وبعد انتهاء الطعام وغسل الايدي من الابريق ذات الطشوت الذهبية جفوها بالمناديل التي كان يحملها الخدم في وسطهم نهضوا وخرجوا من القهوة وتوجه الشاه مع السفراء والمرافقين الى السوق واصطحبهم لمشاهدة دارسك النقود الذهبية والفضية ومنازل القوامل ( الخانات ) ، وكان يتوقف في الطريق للشرب أو مشاهدة بعض الدكاكين . وكان وقوفه دقائق أمام دكان مك بك رئيس تجار طرابزون الذى كان أكبر دكان في السوق ثم أمام دكان الكساندر شونوندى الفينيس الذى كان مملوا بالصور والرايا والبضائع الايطالية المختلفة . وقد تحدث معه الشاه بعض الوقت في تواضع وعرض صورة ولوحاته التي كان أغلبها للملوك

ومشاهير ايطاليا على السفير الهندي ورجاه أن يأخذ منها ما يريد وألا يتقيد بالثمن لأنه شخصيا سوف يرضى التاجر الفينيسى ، ولكن السفير الهندي أبى تمنعا وتكبيرا ولم يأخذ شيئا ، كما توقف الشاه أمام دكان خواجه نظر أحد تجار جلغا الارمن وبعض دكاكين الارمن الآخرين وأخذ من دكان أحدهم زجاجة خمرا استحسناها ثم اصل جولته •

كان الشاه طيلة هذه المدة يضحك ويهزح مع السفراء خاصة سفيري أسبانيا والهند وكان السفير الاسباني رجلا زينا موقرا وكان الشاه يخاطبه بلقب « بابا » وكان هو بدوره يراعى الاحترام الكامل للشاه • أما سفير الهند فكان على العكس من ذلك دائم الضحك يتحدث بأحدث لطيفة ويسلك سلوكا وديا جدا مع الشاه ، فمثلا كان أحيانا يضربه على ظهره وأحيانا يتكىء على كتفه كمن يريد أن يسر اليه شيئا في أذنه وأحيانا يخاطب الشاه ضاحكا بلقب العجوز مع أن شعر رأس السفير ووجهه كان أبيض لكبر سنه • وكان حديث السفير الهندي وسلوكه في الظاهرينمان عن قربه من الشاه ولكنها في الواقع تدل على خفته وعدم معرفته بالمراسم والسلوك الملكي ، ولعله كان يرتكب هذه الحركات عمدا لكي يتفادى تكبر الشاه الطبيعي وعدم اعتناؤه بأحد •

بعد مدة من التجول في السوق شعر السفير الاسباني بالارهاق والنوم فاستأذن الشاه وذهب الى منزله وتبعه جماعة من المدعويين مثل القس جان تادية وبقية القسس • وبعد هذا بقليل عاد الشاه الى القصر الملكي دون أن يحس به أحد وظل الباقيون حتى طلوع الصباح يتجولون ويشربون •

وفي يوم الجمعة ٥ يوليو ( ٢٢ رجب ) أقيمت احتفالات عيد نثر الماء أو رش الماء ولم أكن قد شاهدت احتفاله حتى هذا اليوم • ففي هذا اليوم أرتدى جميع الناس ومن مختلف الطبقات وحتى الشاه نفسه ودون أى اعتبار لراكزهم ارتدوا ملابس قصيرة على طريقة أهل مازندران • وحتى لانتسوخ عمائمهم من الماء أو الوحل فقد ارتدوا بدلا منها قبعات وشمروا أكمامهم حتى سواعدهم • وتوجهوا الى شاطئ النهر حيث حضر الشاه وبمجرد أن أذن لهم أخذوا ينثرون الماء على بعضهم باوانى التي كانت معهم وهم يغنون ويرقصون ويلعبون ويضحكون وأحيانا بسبب الغضب



الانفعال أو لاسباب أخرى كان البعض يلقي بالآنية ويأخذون في نثر الماء بأيديهم أو يلقون بمنافسيهم في النهر أو الاحواض ، وغالبا ما ينتهي هذا العيـد ببعض الفرقى .

ويتم الاحتفال بعيد نثر الماء هذا على شاطئ زاینده رود في نهاية شارع جهارباغ ( الحدائق الاربع ) في مواجهة جسر الله وردى خان الجميل ، ولهذا السبب ذهب الشاه الى هناك في الصباح الباكر وظل طول النهار في إحدى الغرف التي تحت الجسر يشاهد الاحتفال وقبل أن تنتهي الاحتفالات ببعض الوقت ويكف الناس عن نثر الماء بعضهم على بعض دعى الشاه السفراء الى غرفته تحت الجسر ، ولما كان الوقت ضيقا فقد سمح للناس بالانصراف بعد وصولهم بقليل وأخذ يتناول الشراب أثناء حديثه مع السفراء .

في هذا المجلس أفضى الشاه عزمه على فتح قندهار ، وأثناء حديثه مع سفير أسبانيا أشار الى سفير الهند وقال له متمدا ، هل ترى هذا الرجل ، ان لم يعد ملكه الشاه سليم قندهار الى فسوف يرى ماذا سأصنع به . وكان الشاه عباس بهذا الكلام يريد أن يبلغ سفيرى أسبانيا وتركيا بالاتطع بلادهما في الاراضى الايرانية لانه في نفس اليوم أبدى كثيرا من العطف على السفير الاسبانى الذى شكره قائلا : « أننى سعيد بالمحبة التى يبديها لى صاحب الجلالة لانها في الواقع احترام لملك أسبانيا » فالتفت للشاه الى رئيس القسس الكرمليين الذى كان حاضرا وقال له « بالله هلا قلت له أن احترامى له ليس لاجل ملك أسبانيا بل هو احترام لشخصه لأنه ضيفى » .

بعد هذا أذن الشاه للسفراء جميعا بالانصراف فيما عدا مندوبى انجلترا الذين استبقاهم وأبدى لهم كثيرا من المحبة والاحترام ووعدهم بأن يترك لهم أحد موانى جنوب ايران مثل ميناء جمبرون الذى استرده من البرتغاليين ويقع أمام جزيرة هرمز أو مكانا آخر في جزيرة قشم التى تمتاز عن هرمز بوجود الماء العذب بها وقد سمعت الشاه يكرر لهم القول بأنهم اذا نشطوا في شراء الحرير الايرانى ونقله الى أوروبا عن طريق البحر فان يرسل شيئا منه عن طريق العثمانيين البرى .

في اليوم التالى - كما كتب دون جارميا وكما ذكر بيترو دلافاليه أيضا - قام الشاه بدعوة السفراء الى ميدان المدينة لمشاهدة صراع الحيوانات

كالثيران والكباشي . وفي اليوم التالي أرسل بعض المربي والطوى للسفير  
الاسباني وبعد ليلتين من هذا ذذب مع جميع السفراء الى قرية عباس آباد  
التي كانت على مقربة من قرية « خرابات » - كما يذكر دون جارسيا -  
وتوجه الى منزل أمام قلى خان أمير أمراء فارس . ولما كان قد سماع في  
أصفهان في ذلك الوقت أن الامير تاج الدين أمير صيدا وجماعة من أهل لبنان  
قد ثاروا ضد السلطان المثماني واستولوا على بيروت وأن ملوك فرنسا  
وأسبانيا وجمهورية فينيسيا في حرب مع الاتراك ، فقد وجه الشاه بعض  
أسئلة للسفراء عن هذه الامور ولكن أحدا منهم لم يكن لديه اطلاع  
كامل على هذه الاحداث .

وفي منزل أمام قلى خان جلس الشاه ومرافقوه فوق ( مهتابى خانه )  
قمرية وأخذوا في تناول الشراب وكان سفير الهند مدمنا تدخين « البايب »  
ويبدو أن رائحة دخانة كانت تضايق الشاه ، لهذا نراه ينهض فجأة من  
مكانه بدون عمامته ويذهب الى ناحية أخرى ، وأثناء سيره يأخذ عمامة أمام  
قلى خان من على رأسه ويتوسدها وينام في أحد الاركان ، ويأمر بإعطاء  
عمامته لامام قلى خان . وبعد أن انتظر السفراء بعض الوقت ويثسوا من أن  
يستيقظ الشاه عادوا الى منازلهم .

وفي الليلة التالية دعا الشاه السفراء للعشاء في قصر على قابو ( الباب  
العالى ) ولكنه لم يحضر وبعد فترة انصرف الضيوف .

وفي يوم الجمعة ٢٠ شعبان من نفس العام ( ٢ أغسطس ) وقبل أن  
يغادر أصفهان للنزهة في المناطق الجبلية القريبة ، استدعى السفراء مغرب  
ذلك اليوم للقائه في ميدان « نقش جهان » وسمح لسفراء أسبانيا وموسكو  
والبابا بالعودة لبلادهم ثم اصطحب دون جارسيا سفير أسبانيا الى ناحية  
مظلمة من الميدان ونزل من على حصانه وجلس على الارض وسمح للسفير  
بالجلوس أمامه واستدعى كذلك القس جان تاديه رئيس القسس الكرملين  
واثنين من عظماء الاسبان الذين كانوا يرافقون السفير ليكونوا شهودا على  
محدثاته مع السفير . ولم يكن من الايرانيين سوى ساروتقى الوزير  
وقرجاى خان القائد وحسين بك كبير الأمناء وبعض أشخاص من المقربين  
للساه وطلب الشاه من القس جان تاديه أن يترجم محادثاته مع السفير ،

ثم قال اذا كان لديه شيء يود قوله فلأذكره . فقال للسفير ليس لدى شيء سوى أنني أرجو أن يقوم جلالة الشاه شخصيا بوضع كل المسيحيين المقيمين في إيران مثل البرتغاليين والاسبان والايطاليين تحت رعايته وحمايته ويسمح لهم باقامة كنائس لهم كما هو الحال في اصفهان . فقال الشاه : أن هذا الطلب لا يحتاج الى رجاء لانه شخصيا يرضى المسيحيين كما أنه لايعارض اقامة الكنائس . والرجاء الثاني للسفير هو أن ينظر الشاه نظره صداقة الى جيرانه البرتغاليين في هرمز والابحصى أو يؤيد اللصوص والقراصنة كالانجليز وأمثالهم الذين يعدون أعداء للبرتغال .

ولما كان الشاه لايريد من السفير أن يذم الانجليز فقد قطع كلامه قائلا : د اذا كانت علاقتي اليوم قد وهنت بالبرتغاليين في هرمز فذلك تقصيرهم لانهم سيسئون للمسلمين ويأسرونهم ويسجنونهم دون ذنب أو سبب كما أنهم يمنعونهم من التردد على ايران ويجبرونهم على الدخول في المسيحية ولا شك أنه يجب عليهم أن يكونوا عن هذه الاعمال القبيحة كما أن عليهم ألا يتدخلوا في شئون الانجليز ، .

ثم عرض السفير موضوع ميناء جمبرون وجزيرة البحرين ، فأجاب الشاه أننا أخذنا جزيرة البحرين من أميرهمزولم تكن متعلقة بالبرتغاليين، واذا كان للبرتغاليين قيل هذا عمل في جزيرة البحرين مع أمير هرمز المسلم فسيكون لهم معنا ونحن مسلمون أيضا نفس العمل وبهذا لم يختلف الامر بالنسبة لهم ولا أظن أن فائدة شاه ايران لجاورته أسبانيا ستكون أقل من فائدته لجاورته لامير هرمز . أما فيما يتعلق بميناء جمبرون فيجب أن نقول صراحة أن هذا الميناء يقع على الاراضي الايرانية ويخرج كلية عن نفوذ حكومتي البرتغال وهرمز واستيلائي على هذا الميناء ليس فيه اعتداء على حقوق أحد .

على أية حال فان للشاه أخبر السفير صراحة أنه لن يرد شيئا مما استولى عليه ، كما اشتكى من أن ملوك الفرنج غالبا ماوعدهم ولكنهم لم يوفوا بوعدهم ، وقال أنني الى الآن قد استوليت من الاتراك على قلاع يزيد عددها على عدد أيام السنة أى أكثر من ٣٦٥ قلعة . بينما ملوك أوروبا المسيحيين لم يستطيعوا الاستيلاء على منزل أو مخزن بل حتى على حظيرة

ماعز ، واذا استمروا معي على هذا المنوال فلا مفر أمامي من الاستيلاء على بيت المقدس ، وعمل مايجب عمله .

ثم سمح الشاه للسفير بالعودة بكل احترام قائلا أنه سيرسل معه سفيرا يحمل هدايا قيمة ، سيرسل معه أيضا الرد على رسالة ملك أسبانيا، ثم أمر وزيره أن يعد الرد على رسائل فيليب الثالث . ثم كلف أحد رجال بلاطه (١) بالذهاب الى أسبانيا كسفير مع دون جارسيا وسلمه هدايا تقدر قيمتها بنحو تسعة الاف تومان . ولم يسافر هذا السفير مع دون جارسيا بل ظل في اصفهان حتى وصل دون جارسيا الى جزيرة هرمز ( ١٣ ذى القعدة ١٠٢٨ هـ - ١٩ أكتوبر ١٦١٩ م ) ، ثم بعث اليه برسالة يسأله عن حركة الرياح الموسمية حتى يلحق به في الجزيرة في الوقت المناسب ويسافرا معا الى الهند ، ولكن يتضح من كتاب رحلة دون جارسيا والمراجع الاخرى أن هذا السفير لم يسافر ابدا الى أسبانيا .

---

(١) كتب دون جارسيا أن اسم هذا السفير كان « كايا سلطان » ويمكن أن نرجح أن اسمه ربما كان كيسا سلطان .

## مقدمات الاستيلاء على جزيرة هرمز

### تقطع علاقات الصداقة مع أسبانيا :

كما سبق أن ذكرنا فقد كان الطريق الوحيد لتصدير البضائع الإيرانية الى الدول الأوروبية هو الطريق عبر النولة العثمانية أو أملاكها ، وذلك حتى عهد الشاه عباس الكبير ، ومع أن طريق الخليج البحرى قد فتح للتجارة ظاهريا منذ استقرار البرتغاليين في جزيرة هرمز .

إلا أنه لم تعد منه فائدة على التجارة الإيرانية لان المسئولين البرتغاليين احتكروا شراء البضائع الإيرانية وتجاريتها .

وكان الشاه عباس طيلة المدة التي حارب فيها الدولة العثمانية يملك طريق الصداقة والسلم مع الحكومة الإسبانية وموظفيها البرتغاليين لعله يستطيع أن يوحد معها في حربه ضد العثمانيين، ويستفيد من القوات البحرية الإسبانية التي كانت تولى منافس في ذلك الوقت للاطاحة بأعدائه . وكان يظهر موافقته على بيع الحرير وبقية الحاصلات الإيرانية لهم . ولكن البرتغاليين احتكروا تجارة الخليج لانفسهم ولم يسمحوا لاحد غيرهم بنقل البضائع الى الهند وأوربا وأسأوا الى التجار الإيرانيين ورعايا ايران في موانئ الخليج ، لهذا فان الشاه عباس كان يبطن لهم الحقد وكان ينتهز الفرصة ليكف أيديهم عن السواحل الإيرانية ويفتح طريق الخليج أمام تجارة ايران وبقية الدول .

لهذا فقد قام الشاه عباس بالاستيلاء على جزيرة البحرين التي كانت تخضع لامير هرمز . وفي الواقع كانت في حوزة البرتغاليين وذلك سنة ١٠١٠ هـ ثم ظل يحرر سواحل جنوب ايران من سيطرة ونفوذ البرتغاليين . وفي عام ١٠٢٢ هـ استولى على ميناء جمبرون الذي كان البرتغاليون قد استولوا عليه وبنوا فيه قلعة للمحافظة على جزيرة هرمز .

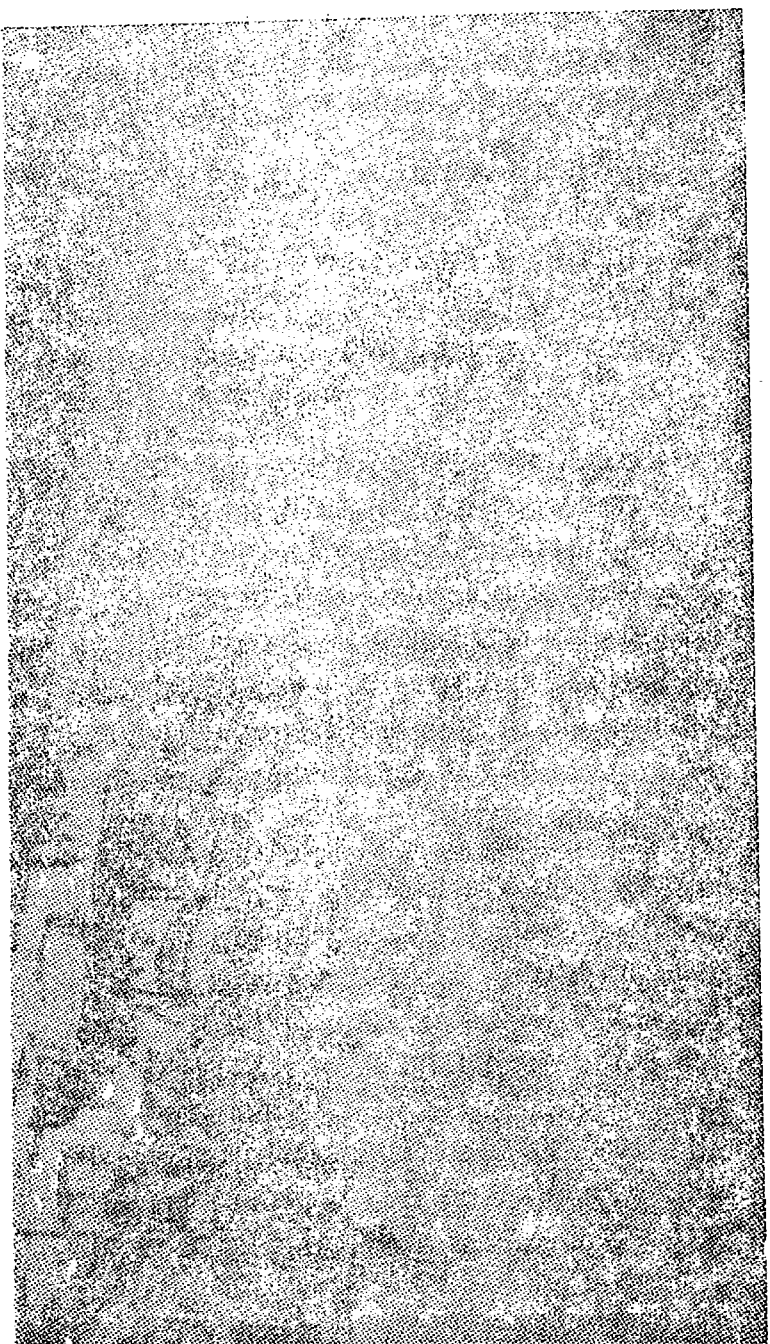
بعد ذلك عندما أسس التجار الانجليز شركة الهند الشرقية في الهند وأرسلوا بعض المندوبين الى أصفهان للتجارة مع ايران وشراء الحرير فان الشاه عباس أبدى كثيرا من العطف والمساعدة لمندوبي هذه الشركة نكاية في البرتغاليين ، بل أنه - كما سنذكر في باب العلاقات الإيرانية الانجليزية - عقد اتفاقا مع مندوب الشركة على أن يبيع كل انتاج ايران من الحرير في

الجنوب لشركة الهند الشرقية الانجليزية فقط ، والا يرسل شيئا الى أوربا  
عن طريق العثمانيين .

كان عنف البرتغاليين وظلمهم في سواحل وجزر الخليج قد ولدا حتدا  
شديدا ضدهم على طول الساحل الجنوبي لايران ، حتى أن الايرانيين كانوا  
لايمدون السفن التجارية البرتغالية بالمؤن في الموانى الايرانية خاصة أهالى  
بعض الموانى مثل نخيلو وريك الذير، قاسوا الكثير من ظلمهم ، وكانوا يكونون  
لهم عداوة خاصة واضحة . لهذا فان الشاه عباس رغم محبته لكل الاوربيين،  
كان يعد البرتغاليين أعداء ايران لهذا السبب . وهذا الامر يمكن ادراكه  
بوضوح مما كتبه الرحالة بيترو دلافاليه الذى يقول :

« . . . كان الشاه عباس يمنح رعاياه المسيحيين قروضا لكي يعمروا  
أملاكهم أو لأمور أخرى ، وكان يشترط عليهم الدخول في الاسلام اذا لم يؤدوا  
قروضهم في مواعيدها ولكن عندما أرسلت جماعة الارمن بعض النقوسود  
البرتغالية للشاه عباس سدادا لقروضهم أدرك للشاه أنهم أخذوا هذه  
الاموال من البرتغاليين فامتنع عن تسلمها وقال اذا كان هؤلاء الارامنة يتركون  
مذهبهم من أجل المال ويدخلون في مذهب الاوربيين الذين يخنّفون معهم فيه  
فلماذا لايدخلون الاسلام ؟ ليس من الصواب أن يصبح رعايا رعاياى مرتزقة  
للدول الاجنبية خاصة البرتغال التى تجاوز مستعمراتها ايران التى نظراليها  
بعين الشك والريبه ، لانهم في هذه الحال سوف يتعاونون مع أعداء ايران  
ووجودهم على هذا النحو في ايران يعد خطرا وضرا » .

وقد كان البرتغاليون مضطربين من وجود الانجليز في المحيط الهندى  
والبحار الشرقية ، ولهذا كانوا يمنعون مرور سفن الدول المختلفة في مياه  
الخليج لكي تبقى تجارة ايران والخليج في أيديهم . ولهذا كان على أية سفينة  
تريد الدخول للخليج أن تحصل على تصريح من قائد إحدى القلاع البرتغالية  
في هذه المنطقة ، وكانت شروط هذه التصاريح صعبة ولا يمكن تحملها .  
وكان البرتغاليون يسيئون جدا لموظفى شركة الهند الشرقية الانجليزية في  
مناطق نفوذهم حتى أنهم كانوا لايتورعون عن قتلهم مثلما حدث سنة  
١٠٢٧ هـ ، عندما كان ادوارد كونوك(١) مندوب شركة الهند الشرقية  
الانجليزية متوجها من اصفهان الى هرمز لاستلام البضائع من السفن



## دیدان نقش جهان اصفهان

با منظره عمارت عالی قاپو و مسجد شیخ لطف الله و سر در بازاری و قصر به  
از سفرنامه دکتر نیلوس دوروین « هلندی

الانجليزية فسموه مع بعض مرانقية ولهذا غضب موظفو شركة الهند الشرقية من اعتداءاتهم وكانوا ينتهزون الفرصة حتى يكفوا أيديهم عن مياه الهند والخليج .

كان التنافس التجارى بين الانجليز والبرتغاليين يزداد يوما بعد يوم في ايران - كما سبق أن ذكرنا - وكان للشاه عباس يتقرب الى مندوبى شركة الهند الشرقية لانه كان يعد البرتغاليين أعداء له . ولكنه ظل يحتفظ بعلاقات الصداقة مع فيليب الثالث ويمتنع عن اظهار عداوته له طيلة المدة التي كان يرى فيها أن البرتغاليين أقوى قوة فيبحارالشرق، كما كان يطمح في معونته في الحرب بين ايران والعثمانيين .

في الثلاث سنوات ١٠٢١ ، ١٠٢٤ هـ ( ١٦١٢ - ١٦١٥ م ) هزمت بعض السفن الانجليزية عددا من السفن البرتغالية على مقربة من ميناء سورت وقد أدى هذا الحادث الى تقليل أهمية وهيبة أسبانيا والبرتغال في الشرق وأظهر ضعفها ، وبعد ٣ سنوات عقد الشاه عباس صلحا مع العثمانيين فلم يعد بحاجة الى مساعدات أسبانيا ، كما اتضح له ضعف قواتها البحرية في الشرق ، ولهذا أقدم على قطع صداقته بملك أسبانيا واخراج البرتغاليين من سواحل وجزر ايران ، ولهذا لم يرد على رسائل فيليب الثالث ردودا مناسبة وأعاد سفيره يائسا .

بعد عودة دون جارسيا توترت العلاقات بين الشاه عباس وبين الحكومة الاسبانية أوائل شوال ١٠٢٨ هـ وصلت ثلاث رسائل الى جان تاديه القس الكرملى المقيم في أصفهان اثنتان منهما من أسبانيا وواحدة من دون جارسيا . وكانت الرسائل ن الاسبانيان قد وصلت الى الحاكم البرتغالى لهرمز وهو دون لويس دى صوصا فأرسلهما بدوره مع أحد الجنود الى اصفهان ظنا منه أن دون جارسيا كان مازال هناك . فلما وصلت هاتان الرسائلتان الى السفير أثناء الطريق بين اصفهان وشيراز ارفقهما مع خطاب منه الى القس جان تاديه رجاء فيه أن يعرضها على الشاه . وقد عرض القس هاتين الرسائلتين وكانت احدهما من فيليب الثالث والثانية من روبرت شيرلى سفير ايران الى اسبانيا ، وكان هذا يوم الثالث من شوال في ميدان



« نقش جهان » في اصفهان ، وطلب من الشاه أن يأذن له بترجمتهما ، وكان ملك أسبانيا قد ذكر في رسالته أنه مستعد للدخول في حرب مع السلطان العثماني في البحر الاحمر واغلاق طريق التجارة في وجه الاتراك وأنه أعد خمس سفن أسبانية ضخمة لهذا الغرض وأنه ارسل « رديميتو دي لاکروز\* » القس الكرملی الذي كان قد ذهب مع روبرت شیرلی الى أسبانيا مع هذه السفن الى ايران حتى يعتقد مع الشاه عباس الاتفاقيات اللازمة في هذا الشأن .

أما فيما يتعلق بالحرير فقد ذكر أنه سيسمح للتجار الإيرانيين من مسلمين ومسيحيين الذين يجلبون حريرهم الى جزيرة هرمز ولا يتمكنون من بيعه هناك أن يحملون الى جوا مركز التجارة البرتغالية في الهند ، بل انهم أن أرادوا فممكنهم نقله الى ليشبونونه عاصمة البرتغال وبدون دفع الرسوم الجمركية أو أية رسوم أخرى خلافا لما كانت عليه العادة من قبل ولكنهم سيمنعون اذا أرادوا نقله الى بولة أخرى وسيدفعون في هرمز وجوا وليشبونونه نصف الضرائب عن اقامتهم لمدة أربع سنوات ، أما اذا زادت اقامتهم عن هذه المدة فستحصل منهم الضرائب كاملة . واذا لم يبيعوا حريرهم في جوا ونقلوه الى البرتغال فانهم سيعفون من دفع الرسوم والضرائب ، ولكن عليهم أن يشتروا بثلاثة أرباع الحرير الذي يبيعونه في أسبانيا بضائع أسبانية ويشتروا بالربع الآخر بضائع من جوا أو هرمز ، كما سيسمح لهم في حالة عدم رغبتهم في شراء بضائع من الاراضي الاسبانية باستبدال ثمن حريرهم من العملة الاسبانية الى العملة الإيرانية أو أية عملة أخرى في ميناء جوا الهندي أو في جزيرة هرمز وعليهم أن يدفعوا نفس الرسوم الجمركية التي يدفعها رعايا أسبانيا والبرتغال على البضائع التي يشترونها في أسبانيا من موانئ ليشبونونه وجوا وجزيرة هرمز . كما يمكنهم اختيار مندوبين لهم في لشبونونه من الإيرانيين أو الارمن البرتغاليين لكي يكونوا حكما لهم في الخلافات التجارية والمعاملات التي تحدث مع الرعايا الاسبان ولكنه غير مسموح لهم بتعيين مندوبين من جنسيات أخرى . وستختار الحكومة الاسبانية ثلاثة من المسئولين الرسميين ليفصلوا في خلافاتهم مع التجار البرتغاليين والاسبان أو سائر الناس بالعدل والانصاف ولكن اذا لجأ التجار الإيرانيون الى الدعوة للدين الاسلامي في الاراضي الاسبانية أو مستعمراتها أو أهانوا المقدسات المسيحية فانهم سيلقون جزاءهم ، \*

Pere Redeweto de La Cruz

وفي متابلي - إذا طالب ملك أسبانيا من الشاه عباس أن يهيد ميناء  
جهديرون مرة اخرى الى دولتي البرتغالية في هرمز وان يهدم التلاع  
التي انشأها هناك ، ويعيد جزر البديز الى أمير هرمز .

أما في الرسالة الخامسة التي أرسلها السفير دون جارسيا الى القس  
جان تاديه فتم ذكر أنه إذا لم يرضخ الشاه عباس بإعادة ميناء جهديرون  
والبحرين ما يجب عليه أن يجر على هذا الطالب ، ولكن عايه ( جان تاديه)  
أن يبذل مساهمة لكي يذلي الشاه مرانز ايران في وجه الدول الاوربية خاصة  
رعايا انجلترا القراصنة وأن يهدلي حرية التجارة للبرتغاليين كما كان  
في الماضي .

وكان روبرت شيرلي قد كتب في رسالته للشاه عباس يقول أن فيليب  
الثالث ملك أسبانيا مستعد بصفته الحربية لانغلاق طريق البحر الاحمر في  
وجه السفن العثمانية وسيدخل السرب ضد العثمانيين في أقرب وقت بمساعدة  
الاسبان وبقيّة ملوك أوروبا . كما أكد على ضرورة ادخاع الشاه عن عقد اية  
اتفاقيات مع منغربي شركة الهند الشرقية والرعايا الانجليز وذلك حفاظا على  
الصداقة الاسبانية الإيرانية ، كما كان تد وعده عند سفره الى أوروبا ولحين  
وصول تأكيدات من الشاه في هذا الشأن لأن السلطان العثماني وملك انجلترا  
قد اتحدا معا ولن يتحاربا أبدا .

وقد كتب روبرت شيرلي « . . . لما كانت صداقة أسبانيا تفوق الحد  
فيجب أن يظهر الشاه بارضاء ملك أسبانيا ، وأنا أرى هذا لصالح الشاه  
ويجب عليه أن يخرج المجموعة الانجليزية من عاصمته ، وإذا كنت من أصل  
انجليزي الا أنني أقول أن صالح شاه ايران وناؤدته تأتي من ملك أسبانيا ،  
ذلك لأنه ذهب كل عام لقتال العثمانيين وهذا القتال مفيد جدا للشاه  
ولصالحه في حين ترطدت الصداقة بين الانجليز والسلطان العثماني ، ولم  
تنشب الحرب بينهم ابدا ولن يسدروا طريق البحر الاحمر ( ١ ) » .

نضب الشاه عباس حين ادلع على مضمون رسالة فيليب الثالث ،  
وكما سبق أن قال لسفيره تال لسفيره جان تاديه أنه لز يرد شديرا واحدا من

---

(١) من مجموعة مراسلات الشاه عباس في المكتبة الوطنية بنابولي .

الأرض التي استعادها وأنه إذا أراد فانه سيأخذ جزيرة هرمز أيضا في هجوم واحد .

أما فيما يتعلق بتجارة الحرير فقد ضحك الشاه للشروط والضوابط التي ذكرها ملك أسبانيا في رسالته وقال أن موضوع الحرير موضوع تجارى وسوف نبيعه لمن يدفع ثمننا أكثر .»

وقد ازداد غضب الشاه عباس لما جاء في رسالتي فيليب الثالث ودون جارسيا من أن الشاه عباس اذا لم يتفق مع البرتغاليين في هرمز - فان علاقات الصداقة ستضعف ، ولن تصبح حكومة أسبانيا مسئولة اذا ما أقدم البرتغاليون على عمل يتعارض مع الصداقة بين البلدين وكما كانت عادة الشاه فقد أخذ يسير بين الحاضرين ثم يجلس في مكانه عدة مرات ويكرر القسم بالله والدين الاسلامي أن يظهر بالسيف جزيرة هرمز من وجود البرتغاليين . وبلغ من شدة غضبه أن مزق رسالتي ملك أسبانيا وسفيره دون جارسيا . وحين أخبره القس جان تاديه أن لديه علبة مملوءة برسائل ملك أسبانيا لم يعرضها عليه ، قال له ساخرا : « لا أهمية لها ولا تتعب نفسك ومزقها كلها لأنه لا يوجد في هذه العلبة غير الكذب (١) » .

ولكى يظهر الشاه عباس عزمه على الاستيلاء على جزيرة هرمز ، فقد استدعى أحرجاله الذين ولدوا في تلك الجزيرة ولديه اطلاق تام على شئونها لكي يحضر في نفس هذا المجلس وطلب منه بيانات عن تعداد سكان جزيرة هرمز ومذهب أمير الجزيرة ورعاياه وعدد الشيعة والسنة والرعايا البرتغاليين .

من ذلك الوقت أظهر الشاه عباس حقه الدفين تجاه البرتغاليين في هرمز ، حتى أنه في يوم من الايام - وأمام مندوب شركة الهند الشرقية وفي حضور عدة قسس برتغاليين ورؤيس القسس الكرمليين - أشار الى أحد

(١) ذكر بقبرو دلافاليه في كتاب رحلته أن شروط ملك أسبانيا فيما يتعلق بالحرير تبعث على الضحك حقا لأن شاه ايران كان يريد فتح طريق التجارة الايرانية أمام كل دول أوروبا وأنه كان يريد بيع الحرير الايراني في ايران نفسها حتى يحصل على أموال تلك الدول فيزيد من ثروة بلاده أما من الناحية السياسية فكان قد تصالح مع السلطان العثماني ولم يعد هناك ما يؤرقه من ناحية حذره الغربية واتحاده مع ملك أسبانيا لم يعد له أهمية .

المدافع في ركن من أركان ميدان نقش جهان في أصفهان وقال « من المعروف ان الجيش الايراني استولى على هذا المدفع من البرتغاليين في ميناء جمبرون ، ولكن هذا ليس صحيحا اذ أن جنودى حصلوا عليه من احدى السفن البرتغالية التي تادها القدر الى قرب الساحل ، ثم أخذ يقص كيف تمكن الشجعان من الجنود الايرانيين من الاستيلاء على السفينة اذ علقوا سيوفهم في رقابهم ونزلوا في البحر وسبحوا حتى وصلوا للسفينة وأخذوها . وفي نهاية حديثه قال باحتقار « اننى أعرف هؤلاء البرتغاليين جيدا وأعرف كيف أتعامل معهم » . وبهذا الحديث أفهم القسس البرتغاليين الذين كانوا يكتبون لحكام هرمز أنه يذرى الحرب مع البرتغاليين . وعندما تحدث مندوب الشركة الانجليزية عن المدافع المدمرة للقلاع التي كانت قد ابتكرت حديثا آنذاك في أوروبا . قال الشاه « اننى عادة لا أصحب معى مدفعية في حروبى لان غالبية جيشى من الفرسان واذا أرادوا اصطحاب مثل هذه المدافع الثقيلة فانها ستعوق سرعة حركتهم في حين أن السبب الرئيسى لانتصارى على العثمانيين هو سرعة حركة الجيش القزلباشى ، وفي رأبى أنه من الافضل للاستيلاء على قلاع الاعداء صب هذه المدافع قرب مواقع الحرب . وكان الشاه عباس يرمى من وراء هذا الى اخافة البرتغاليين لانهم كانوا يعتقدون أن الاستيلاء على قلعة هرمز لا يمكن الا باستعمال مدفعية ثقيلة . ولما لم يكن لدى الشاه عباس أية سفن حربية كما أن السفن الانجليزية لاتستطيع الاقتراب من الساحل بسبب عدم كفاءة الميناء ، فان نقل المدافع من ايران الى جزيرة هرمز يصبح أمرا صعبا ولكن الشاه عباس أخبرهم أنه يمكن نقل معدات صب المدافع الى الجزيرة وصنعها هناك (١) .

---

(١) رحلة بيترو دلافاليه ، ج ٥ ص ١٢ - ١٤ .

## مقدمات الحرب الإيرانية ضد البرتغاليين في جزيرة هرمز

لقد أرعبت تهديدات الشاه عباس وعدائه الواضح للبرتغاليين في جزيرة هرمز ، ولما كان قد أشيع أن الشاه سيذهب آنذاك الى شيراز للاعداد لهذه الحرب ، فقد أخذوا يعدون وسائل الدفاع وأخذوا في اشاعة أخبار كاذبة لتخويف الشاه عباس ، من ذلك أنهم في غرة محرم ١٠٢٩ هـ أشاعوا في اصفهان أن الكونت رودوندو(١) نائب الملك في الهند قد أبحر من جوا على رأس قوة بحرية ضخمة متوجها الى هرمز لكي يحارب السفن الانجليزية في مياه ايران ، واذا اضطر فانه سيستولى على سواحل ايران أيضا . ولكن هذا الخبر لم يكن له أساس من الصحة ولكن البرتغاليين في هرمز أشاعوه لتخويف شاه ايران والسفن الانجليزية التي كانت في ميناء جاسك الايراني . وبدلا من أن يستفيدوا من هذه الاشاعة فانهم اضيروا لان هذا الخبر المكذوب لم يصل الى السفن الانجليزية التي غادرت ميناء جاسك متوجهة الى الهند قبل وصول هذه الاشاعة لها . وبدلا من أن تخيف الشاه عباس زاحته كراهية وحقدا ، فأمر أمام قلى خان أمير أمراء فارس أن يرسل على الفور خمسة عشر ألف جندي الى ساحل الخليج وأن يستولى على كل السفن والقوارب البرتغالية وينتظر أوامره وقد احدث تجمع الجنود الايرانيين على الساحل خوفا واضطرابا في جزيرة هرمز ، ولكن الايرانيين لم يهجموا على الجزيرة بل هجموا على مكان قرب رأس الخيمة على ساحل عمان كان تحت نفوذ أمير هرمز ويعد من مراكز التجارة البرتغالية ، وذلك بمساعدة جماعة من العرب واخرجوا البرتغاليين من هناك ، وفي نفس الوقت قامت قوة من الجيش الايراني بمحاصرة القلعة البرتغالية في جزيرة قشم مما أدى الى تهديد هرمز بالعطش لان ميساه الشرب في جزيرة هرمز تنقل اليها من جزيرة قشم .

وفي هذا الوقت أيضا وصل الى اصفهان خبر بأن البرتغاليين في هرمز أقاموا سورا حول المدينة للمحافظة عليها وأنهم يسدون الحواري التي تقع في أطراف المدينة حتى يمكنهم الدفاع عنها اذا هاجمهم جيش ايران ، وكان هذا الخبر يدل على مدى خوف البرتغاليين واضطرابهم مما أدى الى اصرار الشاه عباس على احتلال تلك الجزيرة .

قبل أن يغادر دون جارسيا سفير أسبانيا جزيرة هرمز متوجها الى الهند كتب رسالة ثانية للشاه عباس يشكو من سلوك الانجليز ويعتد لعناية الشاه بهم ، وقد وصلت هذه الرسالة في ربيع الاول ١٠٢٩ هـ الى الشاه عن طريق القس جان تاديه . وقد رد الشاه على هذا صراحة قائلا للقس « أن الانجليز مؤدبون أحسنت تربيتهم ، لم يسلكوا أبدا ضد رغبتى وقد قدموا هذه البلاد من قبل ملكهم وهم ضيوفى فكيف يمكن أن أطردهم من بلادى ان ايران مفتوحة لكل شخص ويسافر اليها اناس من كل دولة ، ومع أننى فى حرب مع الاتراك الا أننى لا أغلق طريق ايران فى وجه التجار العثمانيين . والانجليز الذين يأتون الى ايران يمدون فى الاراضى والبحار التى تحت سيطرة رجال ملك أسبانيا . ولو كان رجالا فليمنح مجيئهم . لقد ظل ملك أسبانيا مدة طويلة يعدنى أنه سيدخل الحرب ضد السلطان العثمانى ولكنه لم يف بهذا الوعد أبدا ولن يفى به ، وعلى هذا فأى منة له على . واذا اتصالت اليوم مع الحكومة العثمانية فالتقصير هنا يرجع الى ملوك أوربا لانه اذا هب ملوكمم فحرب الاتراك فاننى أعسحكم أن أنقض معاهدة الصلح وأقود الجيش مرة أخرى الى الاراضى العثمانية . أما فيما يتعلق بالجزء الثانى من رسالة دون جارسيا التى ذكر فيها أنه ينتظر بكل قلق وصول سفير الشاه عباس لكى يسافرا معا الى أسبانيا ، فقال الشاه أن سفيره قد غادر اصفهان من مدة وسيصل الى هرمز عما قريب ، ثم أخذ يد القس جان تاديه فى يده بشدة وقال له : « عدنى أن تكتب ماقلت لك الى بابا روما وملوك الفرنج (١) » .

فى يوم ١٣ رجب ١٠٢٩ هـ ( ١٦ يونيو ١٦٢٠ م ) وصلت الى ميناء هرمز أربع سفن من السفن الاسبانية الخمسة التى كان فيايب الثالث قد نكرها فى رسالته للشاه عباس لتتعلق طريق التجارة العثمانية فى البحر الاحمر بينما غرقت الخامسة فى الطريق ، وكما أسرنا من قبل كان فيليب الثالث قد أبقى روبرت شيرلى سفير الشاه عباس فى أسبانيا بينما أعاد القس ريديميتودلاكروز الذى كان قد رافقه الى أسبانيا مع السفن التى وصلت الى هرمز وذلك كى يعقد مع الشاه عباس اتفاقا بشأن الحرب ضد الدولة العثمانية واحتكار تجارة الحرير الايرانى لرعايا البرتغال . وكان لدى قائد

(١) مجموعة مراسلات الشاه عباس فى المكتبة الوطنية بنابولى ، ورحلة بيترو دلا فاله ، ج ٤ ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

الاسطول واسمه روى فريبيرا دى اندرادا تطيمات بأن يوصل القس الى ايران ثم ينتظر نتيجة اتصالاته . فاذا وافق الشاه عباس على عقد اتفاقية سياسية وتجارية تتفق والمصالح الاسبانية ذهب القائد الاسبانى لتنفيذ مهمته في البحر الاحمر ، واذا امتنع الشاه عباس فعليه أن يستعيد مينا، جمبرون وجزر البحرين وقشم بالقوة وبمساعدة القوات البحرية البرتغالية في الهند وهرمز ويقضى على أهل مينا، نخيلو الذين يكون الحقد للبرتغاليين والذين اضطروهم لتترك الجزيرة العربية والالتجاء الى الاراضى الايرانية . كما كان قد أصدر اليه الاوامر أن يبنى قلعة في جزيرة قشم يضع فيها مجموعة من الجنود البرتغاليين بحيث لا يتمكن الايرانيون من الاستيلاء على الجزيرة بعد هذا بسهولة ويحرموا جزيرة من مياه الشرب .

استطاع روى فرييرا دى اندرادا أن يستولى على ثلاث سفن انجليزية مسلحة تسليحا كاملا ومحملة بالبضائع في خليج عدن . ولما كانت احدى سفنه قد غرقت في الطريق فقد وصل الى مينا، هرمز مع سبع سفن مسلحة ولكن القس ردمتودلاكروز كان قد توفي على سواحل غينيا قبل وصوله الى ايران ، وكان المسئولون في شركة الهند الشرقية الانجليزية قد اذاعوا خبر موته في اصفهان قبل وصول السفن الاسبانية الى مينا، هرمز ولا يعرف كيف علموا بخبر وفاته .

بعد وصول السنن الاسبانية الى هرمز كتب حاكم الجزيرة وبعض موظفيها البرتغاليين رسائل الى القس جان تاديه رئيس القسس الكرملين في اصفهان وأرسلوها الى اصفهان مع مبحوث خاص حاملا للرسائل التي كان من المفروض أن يسلمها القس المتوفى الى الشاه عباس ودون جارسيا سفير اسبانيا ورجوه أن يبدي رأيه في الاجراء الذى يجب عليهم أن يسلكوه أما حريا وأما سلما لأن لديه اطلاعا كافيا عن الاوضاع في ايران . ولما كان البرقة البيون آنذاك قد حرضوا بعض الاعراب وأثاروهم ضد ايران كما أخذوا في القتل والنهب في بعض موانئ جنوب ايران ، لهذا لم يكن لديهم أمل في استقرار السلام ، كما أن روى فريبيرا قائد الاسطول الاسبانى الذى

كان يعرف بتهوره واقدامه كان يفضل الحرب على السلام ، ولكن حاكم جزيرة هرمز وبعض المسئولين بها كانوا يرون أن الحرب تضر التجارة ولهذا يجب الحفاظ على السلم وتجنب الحرب \*

قبل وصول خبر مجيء السفن الاسبانية والرسائل المذكورة الى القس جان تاديه كان البلاط الايراني قد استطاع الوقوف على مقدار القسوات الاسبانية في هرمز وعدد الجنود الذين وصلوا مع السفن عن طريق حاكم جمبرون وأرسل الوزراء الايرانيون هذه الاخبار مباشرة الى الشاه عباس الذي كان في فرح أباد \*

وكتب القس جان تاديه في رده على الرسائل التي وصلته من هرمز أنه يعتقد - كما ذكر هذا مرارا - أن الشاه عباس لن يرد ماسبق أن استولى عليه من البرتغاليين ، كما أنه لا يوافق على احتكار التجارة ، بل أنه طلب منهم أن يعفوه من الاجابة على مثل هذه الموضوعات وأن ينفذوا أوامر ملك اسبانيا على النحو الذي يروونه ضروريا ، ولكن بعد فترة عاد المسئولون البرتغاليون للتابعون لاسبانيا في هرمز بالكتابة اليه ورجوه أن يذهب من اصفهان الى مازندران ويتفاوض مع الشاه عباس في شأن العلاقات بين الدولتين ، فاضطر القس الى مغادرة اصفهان متوجها الى مازندران ، لملاقاة للشاه ، ولكنه علم - أثناء الطريق - أن الشاه ذهب الى خراسان ، فعاد الى اصفهان \*

### معركة بين السفن الانجليزية والبرتغالية في جاسك :

في الثاني من صفر ١٠٣٠ هـ ( ٢٧ سبتمبر ١٦٢٠ م ) وصلت أربع سفن انجليزية وسفينتان برتغاليتان - كانتا قد وقعتا في أسر الانجليز - الى ميناء جاسك ، ولكن روى فريبرا قائد الاسطول الاسباني البرتغالي كان قد علم بابحارها فتوجه على رأس أربع سفن مسلحة من هرمز الى جاسك والقى هـ اسية هناك ، فلما وصلت السفن الانجليزية الى ميناء جاسك بدأت في القتال مع السفن الاسبانية واستمرت المعركة بضعة أيام انتهت بهزيمة السفن الاسبانية ، وقد بدأ الانجليز بانزال ماكانت تحمله إحدى السفن البرتغالية الاسيرة من بضائع ميناء جاسك ثم أضرموا فيها النيران ثم أخذوا في اطلاق المدافع على السفن البرتغالية حتى بلغ مجموع ما أطلقوه



عليها ثمانية الاف طلقة ، كما ساعدتهم الرياح التي أبعدت السفن البرتغالية عن الساحل مما سهل عليهم الاقتراب منه في اليوم الاول للمعركة ويفرغوا مامعهم من بظلمات على الشاطئ، ومنها خمسين صرة من المال أبعدها عن خطر العدو والقتال . ومع ما أظهره روى فريبيرا من شجاعة في الحرب وتمكنه من تحرير إحدى السفن البرتغالية التي كانت في أسر الانجليز الا أنه لم يتمكن من كسب المعركة واضطر للهرب الي هرمز بعد أن تحمل خسائر فادحة . وحينما وجدت السفن الانجليزية الميدان خاليا من الاعداء حملت باطشنان ما كانت قد اشترته من حرير كثير على السفن ثم توجهت الى الهند .

### هجوم البرتغاليين على جزيرة قشم :

حينما هزم فريبيرا من الاسطول الانجليزي صمم على احتلال جزيرة قشم حتى ينفذ جزيرة هرمز من قلة الماء ، ولهذا فقد احتل في رجب ١٠٣٠ هـ - جزءا من هذه الجزيرة القريب من هرمز وأقام فيه قلعة ضعيفة غير محكمة، وعندما علم الشاه عباس بهذا الامر أرسل أحد القسس من جماعة سان اغوسطين البرتغالية المقيمين في اصفهان اسمه القس نيكولاس بيرييه كسفير الي هرمز ( وذلك في ١١ شعبان ١٠٣٠ هـ ) وأبلغ حاكم تلك الجزيرة أنه اذا كان بين البرتغاليين والانجليز حساب فليسووه في عرض البحر ، لان الاعتداء على حدود ايران يتنافى مع الصداقة بينها وبين الدولتين . واذا كان لديهم عتاب مع ايران فليس مستحبا أن يدخلوا في حرب دون مقدمات لانهم لو اشتكوا للشاه عباس فانه - كما يعلمون - لن يتوان عن أرضائهم ومع أنهم قد بدأوا هذه الحرب براحة بال ، لكن عليهم أن يعلموا أنه قادر على استرداد جزيرة هرمز ودفعهم لنجم على عملهم .

كان القسس البرتغاليون من جماعة سان اغوسطين المقيمين في اصفهان يرغبون - من أعماق قلوبهم - أن تقوم الحرب بين ايران وأسبانيا ، ولهذا فقد أوصوا القس نيكولاس كي يحرض المسئولين في هرمز على الحرب غافلين أن هذا الامر سيؤدى الي ضررهم . وفي نفس الوقت قطنى البرتغاليين على « طالب بك » أحد رجال ايران وهو في الطريق بينها كان موقدا كسفير الي التجارية والسياسية ، كما أخذ روى مزيبرا في قتل الايرانيين والاغارة على ملك اللكن بالهند ، معتقدين أن سفارته ستؤدى الي الاضرار بمصالحهم المدن والقرى الساحلية واحراقها أو نهبها كما أسر التجار الايرانيين للذين

كانوا يقومون بالتجارة في الخليج واحتفظ بهم كرهائن وكان يعتقد أنه سيرهب الشاه عباس بمثل هذه الاعمال .

### اتحاد ايران وانجلترا ضد الاسبان والبرتغاليين في جزيرة هرمز

في أواخر سنة ١٠٢٩ هـ اقترح الشاه عباس على شركة الهند الشرقية الانجليزية أن تتحد معه للقضاء على القوات الاسبانية والبرتغالية في الخليج ، واستمرت مفاوضاته مع مندوبى الشركة مايقرب من عام . ومع أن المسئولين في شركة الهند الشرقية كان قد أصابهم ضرر بالغ مع البرتغاليين في التجارة الا أنهم كانوا يرون صعوبة قبول اقتراح الشاه عباس لأن الحكومة الانجليزية في ذلك الوقت كانت قد أتمت علاقات ودية مع ملك أسبانيا من ناحية ، كما أن هجوم السفن التجارية للشركة على القلاع والاستحكامات العسكرية البرتغالية لم يكن أسرا سهلا من الناحية العسكرية . ولكنهم في النهاية لم يجدوا مفرًا من قبول اقتراح الشاه عباس، لأن أمام قلى خان أمير أمراء فارس كان قد أخطر مندوبى الشركة أنهم ان لم يساعدوا شاه ايران في حربه ضد البرتغاليين فانهم سيفقدون كل مالهم من حرير في ايران ، كما ستنتهى كل الامتيازات التى كانوا قد حصلوا عليها، أما اذا اتحدوا مع ايران فانها ستدفع لهم خسائرهم في الحرب ، كما ستتهى لهم كل ماسيحتاجونه من أسلحة ومؤونة وغيرها أثناء الحرب .

في أول محرم ١٠٣١ هـ (١٦ نوفمبر ١٦٢١ م) عقد مدير شركة الهند الشرقية اجتماعا برياسة توماس روستيل(١) في سولى(٢) على مقربة من ميناء سورت على ساحل الهند وقرروا أن تتوجه خمس سفن وأربعة زوارق كبيرة بدون شراع الى الخليج للتصدى للسفن البرتغالية واذا التفت بسفن روى فريبرا الحربية فعليها أن تدخل الحرب ضدها .

في نفس الوقت أرسل الشاه عباس أمرا الى أمام قلى خان أمير أمراء فارس لكى يحارب الترتغاليين ، ولكى يجد الذريعة لهذه الحرب ، فقد أوعز الى قنبر بك خان لار أن يدعى ملكية جزيرة هرمز وأن يعد الجزيرة تابعة لخارج لاركما كانت قبل حملة البوكيرك عليها ورد الحاكم البرتغالى لجزيرة هرمز ردا شديدا على هذا الادعاء وكان هذا ذريعة للحرب .

(١) Thomas Rostell (٢) Soualy

توجه أمام قلى خان بجيش كبير من شيراز الى لار وقام في البداية بارسال أحد قواده الشجعان واسمه شاهقلى بك وثلاثة آلاف من الجنود الايرانيين والعرب للاستيلاء على جزيرة قشم ، كما منع وصول وخروج السفن والقوارب من هرمز الى السواحل الايرانية والعكس ، ثم ذهب مع قائده امام قلى بك من لار الى جمبرون وحين بلغه أن السفن الانجليزية وصلت من الهند الى ميناء جاسك أرسل مبعوثا الى ادوارد موفوكس (٣) مندوب انجلترا المقيم في ايران والذي كان آنذاك موجودا في ميناب وأخبره أنه سيذهب اليه لعقد اتفاقية اتحاد بينهما .

في يوم ١١ صفر ١٠٣١ هـ (٢٦ ديسمبر ١٦٢١ م ) اصدر ادوارد مونوكس أمرا للسفن الانجليزية بأن تتوجه من ميناء جاسك الى ميناء كوهستك الذى يقع جنوب ميناب . وفي اليوم التالي ذهب بنفسه مع جماعة من مندوبى انجلترا الى كوهستك لكي يتحدث مع قواد السفن عن المساعدات التى ستقدمها سفن الشركة للجيش الايرانى .

ولم يكن قواد سفن شركة الهند الشرقية يميلون أساسا للحرب ، ولكن مندوب الشركة المقيم في ايران أرضاهم وبعد المفاوضات التى أجريت بينهم في السفينة جوناس تمت الموافقة على مايلى :

- ١ - اذا انتصرت الحكومة الايرانية على البرتغاليين في هرمز بمساعدة السفن الانجليزية فان غنائم الحرب يجب أن تقسم بالتساوى بين الطرفين .
- ٢ - يجب أن تسلم قلعة هرمز بكل مدافعها وذخائرها الحربية الى اللى الانجليز واذا شاءت الحكومة الايرانية فيمكنها اقامة قلعة أخرى على نفقتها .
- ٣ - يجب أن تقسم ايرادات ( جمرك الجزيرة ) بعد هذا بالتساوى بين الحكومة الايرانية وشركة الهند الشرقية الانجليزية . كما تعفى البضائع الانجليزية بعد ذلك من الرسوم الجركية وكل الرسوم الاخرى .

#### Edword monox (٣)

(٤) أسماء السفن وقوادها هم : السفينة لندن والسفينة بلا شرع Shilling تحت قيادة الكابتن Blithe والسفن Lion, Dolphin, Whale, Jousas والسفن Richard, Robert, Rose تحت قيادة الكابتن Weddel

٤ - بعد الحرب يسلم الاسرى المسيحيون لانجلترا والمسلمون لايران .  
٥ - تتحمل الحكومة الايرانية نصف نفقات السفن والمؤن وأجور العاملين عليها وخسائر الحرب ، كما أن عليها أن تعد البارود والمواد الحربية اللازمة للسفن .

وقد وصل أمام قلى خان يوم ٢٤ صفر ١٠٣١ هـ ( ٨ يناير ١٦٢٢ م ) الى ميناء ميناب ومعه قائده أمام قلى بك وبدأ على الفور في المحادثات مع مندوب الشركة لعقد المعاهدة الحربية . وقد ووفق على المسادة الاولى دون تغيير . أما فيما يتعلق بالمسادة الثانية فاتفق على أن يستولى الطرفان على قلعة جزيرة هرمز الى أن يتلقى أمام قلى خان تعليمات من الشاه عباس . أما المسادة الثالثة فقد أُنفقا على أن يعفى من الجمارك كل ما يصل باسم الشاه عباس وخان فارس . أما البضائع التي تصل للتجار فعلى الشركة أن تدفع الرسوم الجهركية لايران نظرا لان الشركة تحقق مزوراثها أرباحا طائلة .

كما قبل أمام قلى خان المادة الرابعة بشرط أن يتعهد الحليف الانجليزي بتسليم روى فريبرا قائد السفن البرتغالية وسيمون دى ميلو (١) حاكم جزيرة هرمز اذا طلبت الحكومة الايرانية هذا ، كما اتفق الطرفان على ألا يجبرا أحدا من الاسرى أو المسجونين على تغيير دينه أو مذهبه ، وكذلك اتفقا على تحمل نفقات اعداد البارود والمواد الحربية الاخرى بالتساوى بينهما .

## الأسنيلاء على القلعة البرتغالية في قشم

بعد عقد المصاهدة توجه أمام قلى خان الهى ميناء جمبرون وأقلمت السفن الانجليزية في السادس من ربيع الاول ( ١٩ يناير ) وعليها « قائده» أمام قلى بك متوجهة الى هرمز وصلت في التاسع من نفس الشهر الى الجزيرة .

كان الاسطول البرتغالى في جزيرة هرمز يتكون من خمس سفن حربية وسفینتين صغرتين وكثير من الزوارق الشراعية الصغيرة والكبيرة \* ومن بين هذه السفن سفینتان كبيرتان كل منهما مجهزة بثلاثين مدفعا وثلاثمائة مقاتل، كانت قد وصلت قبل هذا ببعض الوقت من مستعمرة جوا في الهند بقيادة سيمون دى ميلو وذلك لمساعدة روى فريبيرا وكان سيمون دى ميلو هذا في ذاك الوقت يتولى حكم جزيرة هرمز بأمر من نائب الملك في الهند بعد وفاة حاكمها فرانثيسكو دى صوصا \*

وكان قادة السفن الانجليزية يعتقدون أن الحرب ستنتشب بينهم وبين القوات البحرية في جزيرة هرمز ولكن على العكس من هذا ، فقد تجنب البرتغاليون الحرب ، ولما انقضت عدة أيام على هذا الوضع توجهت السفن الانجليزية الى جزيرة قشم \*

كانت قلعة قشم في هذه الاثناء قد حوصرت بواسطة شاهقلى بك وجنوده من ناحية البر ولم يكن قد بقى أمام المدافعين عن الجزيرة وهم نحو مائتى برتغالى ومائتين وخمسين عربيا سوى الفرار عن طريق البحر، وكان روى فريبيرا - خلافا لرأيه - قد أنزل بعض المدافع من سفنه الى القلعة وأخذ في الدفاع عنها \* كما أرسل شخصا الى « أمام قلى خان » وطلب للصلح وأبدى استعداداه لتحمل جميع نفقات الحرب التي كانت ايران قد أنفقتها حتى ذلك الوقت \* ولكن خان شيراز لم يستطع قبول عرضه لانه لم تكن لديه تعليمات من الشاه عباس \*

وقد وصلت السفن الانجليزية تحت جنح الظلام الى جوار أسوار القلعة على ساحل قشم ، واستطاعت أن تنزل بعض مدفيعتها الى البر دون أن تصاب بأية اضرار من العدو ، ثم أخذت تطلق قنابلها على القلعة

البرتغالية لمدة ثلاثة أيام \* وبمجرد أن انهار جزء من سور القلعة وضاق الحصار على البرتغاليين من البر والبحر أضطر روى فريبيرا الى التسليم وأبدى استعدادة لتترك القلعة للأمواد الايرانيين والانجليز بشرط ألا يتعرضوا للبرتغاليين ويسمحوا لهم بالذهاب الى جزيرة هرمز حاملين أسلحتهم وأموالهم \* ويؤمنوا الجنود الايرانيين الذين انضموا للبرتغاليين أثناء الحرب \*

وقد قبلت هذه الشروط ولكنها لم تنفذ تماما لان الجنود الايرانيين الذين أسروا بعد الاستيلاء على القلعة أعدموا بتهمة الخيانة والانضمام للاعداء \* كما أخذت أموال البرتغاليين وأسلحتهم قبل نقلهم الى جزيرة هرمز \*

وقد حمل الانجليز روى فريبيرا وبعض قادة جيشه الى سفنهم وتحفظوا عليهم ، وعاملوهم باحترام وحب ، وكان هدفهم أن يرسلوهم الى ميناء جوا أو أى مكان آخر بعيد عن هرمز \* أما العرب الذين كانوا يتعاونون مع البرتغاليين في جزيرة قشم وكان رئيسهم يلقب بالامير زين الدين محمد ، فقد قام صهره حاكم مغستان بقتلهم بناء على أوامر أمام قلى بك قائد الجيش الايراني \*

وقد قتل في حرب قشم ثلاثة من الجنود الانجليز وجرح شخصان ، وقد كان من بين القتلى البحار والمكتشف الانجليزى الشهير ويليام بافين(١) المعروف باكتشافاته القطبية \*

بعد الاستيلاء على قلعة قشم تولت جماعة من الجيش الايراني مع أربعة من الانجليز الحفاظ على القلعة وتوجهت السفن الانجليزية من قشم الى ميناء جمبرون لكي تستكمل تجهيزها وتستعد للهجوم على جزيرة هرمز ، كما أرسلو روى فريبيرا ومراقبيه الى ميناء سورت مركز تجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية فى الهند \*

---

William Baffin(١)

## وصف جزيرة هرمز في ذلك العصر :

كتب مختلف السياح في كتبهم الكثير عن وضع جزيرة هرمز الطبيعي وبنساء المدينة وقلعتها وطريقة حياة البرتغاليين وبقية سكان تلك الجزيرة . وأغلب ماكتبوه متشابه لا يختلف كثيرا . ونكتفى هنا بنقل خلاصة ماكتبه دون جارسيا دي سيلفا فيجورا سفير اسبانيا اذ يقول :

« جزيرة هرمز على شكل مثلث تقريبا ويسمىها العرب جرون وأطول ضلعها ناحية الشرق والشمال الشرقي ويمتد من دير نوتردام دي لاسبرانيس (١) حتى الرأس المقام عليها قلعة جزيرة هرمز . وهي أقرب نقطة للساحل الايرانى والذليج الآخر وهو أقصر يمتد من الدير أى من الجنوب الشرقي الى الجنوب الغربي عند رأس كارو ثم يمتد من هناك ناحية الغرب والشمال الغربي ويمثل قاعدة المثلث وأقصر أضلع الجزيرة هو الممتد من رأس كارو الى الضلع والذى يطل على مغستان أى ساحل ايران في الجانب الشمالى الغربى للجزيرة ، ويبعد عن الساحل بنحو فرسخ ونصف ( ٩ كيلو مترات ) ومساحة الجزيرة كلها نحو ١٤٤ كيلو مترا مربعا .

ويوجد في جزيرة هرمز جبال بيضاء وأخرى حمراء يستخرجون منها الملح بكثرة وأرض الجزيرة غير صالحة للزراعة ولكن يرى في بعض أنحائها بضع سحيرات ولا يوجد بها من الاشجار المثمرة الا بعض النخيل .

وعلى السفوح الجنوبية والشرقية للجبال بعض مجارى للانهار ولكن ماءها من الملوحة بحيث انها عندما تجف في الصيف تترك كتلا من الملح ، وبغير هذه الانهار فان الماء نادر في الجزيرة ، كما أن الآبار لاتصلح للشرب للملوحتها ، ولكن كلما ابتعد البئر عن الجبال كلما قلت ملوحته .

وقد أقيم دير سانت لوتشيا(٢) بين دير نوتردام دي لاسبرانيس ومدينة هرمز ويحيط به بعض المنازل التى يلجأ اليها بعض سكان الجزيرة عندما يشتد الحر بها لان هذه المنازل وكل المنازل القريبة من الساحل مصنوعة من التصب ومغطاة بسعف النخيل .

ويوجد منخفض واسع بين المدينة وسلسلة الجبال يبتدىء من دير سانت لوتشيا وقد حفروا في هذا المنخفض آبارا للياه تتجمع فيها مياه

Notre-Dame de L' Esperance (١)

Santa Lucia (٢)

الامطار ، ثم يفلتون فوهاتها بعد ذلك • أما باقى هذا المنخفض  
فتشغله المسابر التى عادة ماتخرج اليها النساء بعد العصر للزيارة  
وتوزيع الصدقات والنزهة أيضا •

ويتبع خلف الجبال فى الجزء الجنوبي الغربى والجنوبى للجزيرة قسم  
يسمى توران ، باغ ( حديقة توران ) وهو أصغر من الجزء الآخر للجزيرة  
ولكنه يمتاز عنه بأنه كانت تشغله عمارات ملوك هرمز القدماء لوجود بئرين  
للمياه العذبة به • ولكن هذه العمارات كثيرة ولكن لوجود بعض المنازل  
الصغيرة المصنوعة من البوص وسعف النخيل حولها ، فقد تحول هذا  
الجزء من الجزيرة الى قرية صغيرة •

أما فى ناحية رأس كارو فقد أقيمت بعض المنازل كما أقام قسس فرقة  
سان أتوسطين بعض المنازل البسيطة وحوضا جميلا للسباحة وبعض  
خزانات الماء لتخزين مياه الامطار •

وتعد قلعة هرمز من آثار البوكيرك ، ومع أنها فى عهده لم تكن تزيد  
عن برجين فقط ، الا أن الحكام البرتغاليين من بعده أكملوا بناءها وأقاموا  
له تمثالا هناك •

وتبتدى مدينة هرمز بالميدان الواقع فى الفضاء المواجه للقلعة • وفى  
الجزء الاول بعض المنازل العالية التى يمتلكها أثرياء البرتغاليين • ويقع  
فى هذا الحى كنيسة المسيحيين ومسجد المسلمين ، ومع أن المسجد خرب  
الا أنه لا يخلو من مظاهر النظمة • وفى هذا الجزء من المدينة يوجد برج اسمه  
القرآن أعلى من كل عمائر المدينة •

ومنذ مدة قام بعض المسئولين البرتغاليين المتطرسين بهدم جزء من  
مسجد المسلمين المجاور للقلعة غير مقدرين أن هذا العمل سيترك حقا  
وضغينة فى قلوب الناس بل أنه سوف يثير عداوة الايرانيين المتعصبين بل أن مثل  
هذه الاعمال كانت سبب عداوة الايرانيين لهم حتى أنهم استولوا على كل  
ممتلكات البرتغاليين على السواحل الايرانية •

وأغلب منازل هرمز تتكون من ثلاثة أو أربعة أدوار والحوارى ضيقة حتى  
أن سير شخصين متجاورين يكون بصعوبة • وهم يبنون المنازل عالية  
والحوارى ضيقة حتى يكثر الظل ولا تؤذى الشمس السائرين فى هذه الطرقات •



ولكثير من هذه المنازل ملائف للهواء ولهذا السبب تجود المنازل اعلى من المعتاد ، وبعض منازل المدينة مبنية من الحجر والآجر ، وبعضها الآخر مبنى من البوص وسعف النخيل وتوجد بعض الدكاكين المبنية بالآجر وبعضها تحت خيام وينام أغلب الناس فوق السطوح (١) ، ويرتدى بعض السكان جلبابا من القطن وبعضهم يبيشون شبه عرايا .

ويتراوح عدد منازل هرمز بين الفين وخمسمائة وثلاثة الاف منزل ، ولا يحيط بالكثير منها جدرانق أو أفنية (٢) . ويتحدث الناس سواء منهم المسلم أو غير المسلم باللغة الفارسية ويقوم في هرمز عدد كبير من الهنود جاء أغلبهم من ولايات السند وبمباى وعدد سكان المدينة نحو أربعين ألفا يعمل أغلبهم في التجارة بين ايران والبلاد العربية كما توجد نحو مائة أسره يهودية أغلبهم فقراء .

ولايتجاوز عدد البرتغاليين المقيمين في هرمز مائتى أسرة غير الجنود الذين تزوجوا هناك ويتاجرون في البضائع الهندية التى يبيعونها في ايران والبصرة . ولما كان حاكم هرمز البرتغالى يريد أن يحتكر كل تجارة هرمز لنفسه لهذا فان التجار البرتغاليين لا يحصلون على أرباح كثيرة . ويتمتع الحاكم بنفوذ وصلاحيات غير محدودة ، وكان يعيش كالمملك . ويوجد كثير من العبيد والجارى في منازل هرمز ٠٠٠ ، .

### احتلال جزيرة هرمز

#### بواسطة القوات البرية والبحرية لايران وانجلترا

في يوم ٢٧ ربيع الاول ١٠٣١ هـ ( ٩ فبراير ١٦٢٢ م ) غادرت السفن الانجليزية ميناء جمبرون يرافقتها مائتا زورق ايرانى وألقت مراسيها أمام جزيرة هرمز وكان القادة الايرانيون الذين كلفهم امام قلى خازن بالاستيلاء على جزيرة هرمز هم على قلى بك ، وبولاد بك وشاة قلى بك وشارق على محمد

(١) ينام أغلب سكان طهران ومدن المناطق الحارة في ايران وكذلك العراق فوق الاسطح في الصيف فرارا من الحرارة داخل المنازل (المترجم) .  
(٢) كانت أغلب المنازل في ايران والعراق عبارة عن دور أو دورين تحيط بها حديقة وفناء ولكن بدأت تفام العمارات فيسكنها المضطرون خاصة بعد ادخال اجهزة التكييف التى تغنى عن النوم في الهواء الطلق .

سلطان وعلى بك • وكان القائد الاخير هو حاكم ميناء جمبرون كما عسكر عدد كبير من القوادح جنودهم في ميناء جمبرون •

في يوم ٢٨ ربيع الاول انزلت سفينتان انجليزيتان ثلاثة الاف جندي ايراني بقيادة امام قلى خان على ساحل جزيرة هرمز وأخذوا على الفور في بناء استحكامات لمواقعهم ، ثم استولوا بسهولة على المدينة وأخذوا في ضرب قلعة هرمز بالمنفعية •

أخذ البرتغاليون الذين تركوا المدينة واحتتموا بالقلعة في الدفاع عن أنفسهم حتى أنهم خرجوا مرة من القلعة وهاجموا على التوات ايرانية فقتلوا منها نحو ثلثمائة شخص ولكن المنفعية ايرانية استطاعت في هذه الاثناء أن تهدم أحد أبراج القلعة واستمر القتال بين الجانبين •

وفي يوم ١٢ ربيع الثاني ( ٢٤ فبراير ) هجمت السفن البريطانية على سفن روى فرييرا المكونة من ٥ سفن كبيرة وعشرين سفينة شراعية ، ولأن السفن البرتغالية لم تتحرك ، فقد أضرموا النار في سفينة القيادة المسماة سان بدرو (١) وكانت حمولتها ١٥٩٠ طنا ، وقد اضطر البرتغاليون الى قطع حبال السفينة وتركها للرياح حتى لا تسرى منها النار الى بقية سفنهم • وقد وقعت هذه السفينة في أيدي مجموعة من الجنود ايرانيين على مقربة من جزيرة لارك واستولوا على حمولتها التي كانت من المدافع والاسلحة والمهمات الحربية •

وفي يوم ٤ جماد ( ١٧ مارس ) تمكن الجنود ايرانيون من هدم جزء كبير من القلعة بالبارود ثم هجموا من هناك على المحاصرين ، ولكن البرتغاليين دافعوا بجرولة ودارت معركة شديدة وبعد ٩ ساعات من القتال العموي انهزم البرتغاليون ولجأوا الى داخل القلعة ، وفي نفس الوقت أشعل الجنود ايرانيون النار في مدينة هرمز بناء على أوامر امام قلى خان •

بعد تفهقر البرتغاليين هجمت مجموعة من الجنود ايرانيين على أبراج القلعة وسورها لاحتلالها ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق هدفهم بسبب المقاومة الشديدة للبرتغاليين بل أن جماعة منهم قتلت (٢) • وحينما رأى شاه قلى

San Pedro

(١)

(٢) يقدر السير توماس هيربرت الذي جاء بعد هذه المعركة بأربع

سنوات الى ايران عدد القتلى ايرانيين بالف قتيل وقد يكون مبالغا •

بك القائد الايراني هذا الوضع اندفع مع نحره ، اثنتين من خيرة جنوده وسط نيران المدافع والبنادق ووصلوا الى أحد الابراج واستولوا عليها ولكنه لم يستطع الاحتفاظ به أكثر من نصف ساعة لثقله من كانوا معه واضطر للتقهقر .

وفي العاشر من جمادى الاول تمكنت السفن الانجليزية من اغراق سفينتين أخريين من السفن البرتغالية . واضطر البرتغاليون المحاصرون بعد بضعة أيام الى اللجوء الى الصلح بعد أن نفذت مؤنذهم وتغشت بينهم بعض الامراض . وفي الخامس عشر من جمادى الاولى أرسلوا شخصين الى معسكر ايران لطلب الصلح أبديا استعداد البرتغاليين لدفع مائتي ألف تومان نقدا . ومائة وأربعين ألف أكو برتغالي الى الحكومة الايرانية اذا فك الجيش الايراني الحصار عن القلعة ، وكان عرضهم الخفى من طلب الصلح هو كسب الوقت لعل المساعدات تصلهم من الهند . وقد أدرك أمام قلى خان هدفهم ولم يقبل عرضهم ومقترحاتهم وقال أنهم اذا دفعوا خمسمائة ألف تومان نقدا ومائتي ألف تومان كخراج سنوى فانه سيخرج جنوده من الجزيرة .

قلما يئس البرتغاليون من الايرانيين التجاؤا الى الانجليز على أساس أنهم مسيحيون وأن الدولتين على دين واحد ، وأن ملكى البلدين تربطهما الصداقة والعلاقات الودية . وأبدوا استعدادهم لتعويض شركة الهند الشرقية الانجليزية عن كل الخسائر التى كانت قد لحقت بها قبل هذا ، ولكن الانجليز لم يقبلوا الصلح أما خوفا من الايرانيين أو للحد القديم بين الانجليز والبرتغاليين .

وفي ١٨ جمادى الاولى استطاع الانجليز نسف جزء كبير آخر من حائط القلعة بالبارود وحدثت فتحة كبيرة تؤدى الى داخلها ، ومع هذا استطاع البرتغاليون الصمود رغم ماكانوا يعانونه من قلة الماء والطعام وانتشار الامراض المختلفة بينهم ، ومنعوا دخول الايرانيين الى القلعة .

وفي الثانى من جمادى الثانية ( ١٤ ابريل ) ظهرت قرب هرمز سفينة عليها جماعة من العرب كانت قادمة لمساعدة البرتغاليين ، وحين أحست بالخطر أخذت فى العوده ولكن القوات الايرانية تمكنت من أسرها وطرَبوا أعناق ثمانين عربيا كانوا عليها . .

بعد ثلاثة أيام أخرى تمكنت القوات الايرانية والانجليزية من تحطيم جزء آخر من سور القلعة ، وفى اليوم القالى تمكنت مجموعة من الجنود

الاييرانيين من الاستيلاء على أحد الأبراج . وفي هذه الأثناء جاء اثنان من المحاصرين في القلعة وأطلعوا القواد الأيرانيين على ضعف العدو وصعوبة وضع الجنود البرتغاليين بسبب قلة الماء والمؤن وكثرة القتلى والمرضى فزاد هذا من جرأة الأيرانيين ودفعهم في السابع من ذلك الشهر الى الاستيلاء على السور الخارجي للقلعة ودفع عدوهم الى داخل مبنى القلعة . وفي النهاية وفي التاسع من الشهر لجأ البرتغاليون الى القادة الانجليز وأبدوا استعدادهم للتسليم بشرط الحفاظ على أرواحهم وأن تحملهم جميعا السفن البريطانية الى مسقط أو الهند ، وقيل القائد الانجليزي هذه الشروط فسلم البرتغاليون القلعة في اليوم الحادي عشر من جمادى الثاني ( ٢٣ ابريل ) وأنزل العلم البرتغالي الى الأبد بعد أن ظل يرفرف على قلعة البوكيرك نحو قرن من الزمن .

كان عدد الجنود الأيرانيين في حرب جزيرة هرمز نحو ٤٠ أو ٥٠ ألفا قتل منهم أو جرح أكثر من ألف شخص ، بينما لم يتجاوز عدد القتلى من الانجليز عشرين شخصا .

بعد تسليم القلعة حملت السفن الانجليزية البرتغاليين الذين كانوا في الجزيرة مع نساءهم وأطفالهم وبيبلغ عددهم نحو ثلاثة الاف شخص الى مسقط والموانئ الساحلية لعمان ، ولكن ماتت جماعة منهم نتيجة لامراض مختلفة . كما سلم المدافعون المسلمون عن القلعة من عرب وإيرانيين الى القائد الأيراني ، وتحفظ الجانبان الأيراني والانجليزي على الغنائم من أسلحة ومؤن واموال نقدية كانت تبلغ نحو مليوني أكو اسباني ، بينما أخذ الجنود الأيرانيون والانجليز في نهب المدينة (١) ، وقد وقعت أكثر الغنائم في أيدي الأيرانيين ، كما اضطر الجنود الانجليز لبيع نصيبهم بثمن بخس لعدم وجود من يشتريه منهم ، وبلغ ماحصلوا عليه نحو عشرين ألف جنيه استرليني .

استولى أمام قلى خان على قلعة هرمز خلافا للمعاهدة التي كان قد وقعها مع مندوبي شركة الهند الشرقية وترك لهم نصف مدينة هرمز فقط (٢) .

(١) جاء في تاريخ القسس الكرمليين أن الأيرانيين قتلوا نحو ستين أو سبعين برتغاليا وقيدوا من بقى في سلاسل طافوا بهم أنحاء ايران ، ج ١ ص ٢١٢ .

(٢) كتب بيترو دلا فاليه أن أمام قلى خان أعد الاتفاقية باللغة

وكان عدد المدافع في القلعة ٥٠ مدفعا كبيرا من البرونز على عجل وأربعة مدافع برونزية صغيرة وخمسة عشر قاذفا وبعض المجانيق ونحو مائة وخمسين عربة مدفع صغيرة وكبيرة يقال أنها قسمت بالتساوي بين الجانبين . وقد حمل الإيرانيين نصيبهم الى ميناء جمبرون ولار وشيراز بل وحتى الى اصفهان وبغداد ومن بينها خمسين عربة مدفع كبير وصغير كانت موجودة في ميدان نقش جهان حتى عصر الشاه سليمان وآخر العصر الصفوي (١) .

وكان من بين الغنائم الإيرانية ناقوسان حصلوا عليهما من كنيسة هرمز ، وكانت نساء البرتغاليين في هرمز قد تبرعن يوما الى الكنيسة سنة ١٦٠٩ م ( ١٠١٧ هـ ) ، وكان منقوشا عليهما عبارة « أدعوا لنا نحن النساء رحم الله أعتابكم » . ويجوارها نقشوا كلمة المسيح بخط أكبر . كما كان بين الغنائم ساعة كبيرة حملوها الى اصفهان ونصبوها على باب سوق القيصرية (٢) .

وقد أسر ملك هرمز وكان اسمه محمود شاه مع وزيره ومستوفيه والرئيس نور الدين قاضي الجزيرة فأرسلهم أمام قلتي خان الى شيراز وعند بداية الحصار عرض ملك هرمز على البرتغاليين أن يترك لهم كل أمواله بشرط أن ينقلوه الى مسقط أو مستنمرتهم في جوا (٣) ، كما عرض الرئيس نور الدين نفس الشرط مقابل دفع نصف مليون أكورولكن البرتغاليين لم

الفارسية فقط ، وطبقا لما كان يريد وعندما استولى على القلعة اعترض مندوبو شركة الهند الشرقية بان هذا خلاف للاتفاقية فذكر الخان أنه طبقا للاتفاقية ليس لهم الا نصف المدينة ولما ترجموا الاتفاقية بواسطة مترجم اتضح لهم صحتها ، ج ٦ ص ٢٠٤ .

(١) انتهت الدولة الصفوية سنة ١١٤٨ هـ ( المترجم ) .  
(٢) سوق القيصرية لازالت مستعملة للان في العراق وغيرها وتطلق على سوق القماش وربما كانت مشتقة من القصار أي الخياط ( المترجم ) .  
(٣) كتب بيترو دلا فاله « أن ملك هرمز عند بداية الحرب كان يريد أن يرسل كل النساء والصناع والتجار وأمثالهم مع كل الاموال والثروات والسفن الى مسقط أو أي مكان بعيد حتى يكونوا في امان من حملة الانجليز والإيرانيين ، وبذلك يقلل من عدد سكان القلعة ويقلل من استهلاك الماء والأغذية كما يؤدي هذا الى يأس الاعداء الذين يقاقلون على أساسه في الغنائم والاموال ولكن القادة البرتغاليين لم يوافقوا على رأيه هذا . ج ٦ ص ٣٤ ، ٣٥ .

يقبلوا ، وبعد ان سلم البرتغاليون القلعة لم يحملوهم معهم وتركوهم للاعداء ، وتوفى وزير ملك هرمز قبل أن يصل الى شيراز . أما المستوفى فقد قتلته أمام قلى خان فى شيراز ، وكتب المؤرخون والسياح أن هذين للشخصين كانا على اطلاع كامل على الاموال والثروات التى كانت فى هرمز ، ولهذا قتلها خان فارس حتى لايعرف الشاه عباس منهما الرقم الحقيقى للفنائم التى استولى عليها أمام قلى خان (١) .

أما ملك هرمز فقد احتفظ به أمام قلى خان فى مدينة شيراز وخصص له راتباً شهرياً .

بعد الاستيلاء على جزيرة هرمز ، أراد الشاه عباس أن يجعل ميناء جمبرون مركزاً للتجارة فى الخليج ، ولهذا لم يهتم بتعمير مدينة هرمز فحل الخراب بها بعد أن كانت تعد من أجمل ( مدن الشرق ) واشتهرت فى العالم بثروتها وتجاريتها ، حتى أن الجنود الانجليز والاييرانيين نهبوا أبواب ونوافذ العمارات بل حتى أخشاب الاسقف ولم تبني بها سوى قلعة جديدة بجوار القلعة البرتغالية بناء على أوامر أمام قلى خان ، وعين أحد تسواد القزلباشية اسمه ولدخان سلطان لحكم للجزيرة وتولى المحافظة عليها وعلى قلعتها مع مائتين من الجنود .

أقامت للحكومة الايرانية قلعة جديدة فى ميناء جمبرون غير القلعة التى كانت قد شيدها بهيدا عن الساحل وجعلت هذا الميناء مرافاً للسفن الانجليزية والهولندية القادمة من الهند الى ايران وغيرت اسم الميناء الى بنسدر عباس .

بعد هذا أراد الشاه عباس الاستيلاء على كل السواحل على الجانب الايرانى لبحر عمان الى ماوراء رأس جاسك ولكن أمير جاسك قاوم ولم يقبل الا أن يصبح تابعاً لشاه ايران ويدفع له الخراج وقد قبل شاه ايران هذا العرض ، وظل أمير جاسك يرسل الخراج كل عام الى خزانه الشاه عباس حتى آخر عمره (٢) .

(١) هناك مؤلفات كثيرة عن حصار هرمز واحتلالها للعديد من السياح مثل مونوكس وروى فريبرا وتافرنيه وبيترو دلا فاله وغيرهم ولكن أكملها من تأليف فارياسوزا البرتغالى .  
(٢) نلاحظ أن هذه المناطق لم تكن خاضعة للحكومة المركزية منذ زمن بعيد بل كانت تتمتع باستقلال ذاتى .

بعد فتح هرمز تفتشت الأمراض المختلفة بين الملاحين الانجليز ، وتوفى  
عندد منهم ولهذا رأت السفن الانجليزية ضرورة مغادرة سواحل هرمز  
والمودة الى الهند ، متوجهت الى ميناء سورت .

يتضح من كتب التاريخ أن الانجليز لم يحصلوا على فائدة ذات قيمة  
من حرب هرمز وكان اشتراكهم في الحرب الإيرانية البرتغالية بسبب المنافسة  
التجارية فقط ، وحفظ مصالحهم في تجارة حرير ايران . ولم يكن لها  
أى سبب سياسى لانه عندهما اتحد المسؤلون في شركة الهند الشرقية  
الانجليزية مع ايران ضد البرتغاليين في هرمز كانت الحكومتان الانجليزية  
والاسبانية في حالة صداقة وسلام .

ولهذا فعندما علم ملك أسبانيا بهذه الحادثة ، احتج بشدة على  
الحكومة الانجليزية وكادت الحكومة البريطانية أن تدين شركة الهند  
الشرقية بسبب هذا الاجراء المفرد الخاطيء ، وتعد موظفى تلك الشركة ضمن  
القراصنة ، ولكن الشركة جاهدت من أجل تبرئة مسئوليتها وموظفيها ،  
وذهب مونوكس مندوب الشركة وقائد السفن الانجليزية الى انجلترا وقدم  
أدلة كثيرة على براءته وعدم تورطه ، وفي النهاية قدمت الشركة عشرة الاف  
جنيه الى جيمس الاول ملك انجلترا وعشرة آلاف جنيه أخرى الى قائد  
البحرية الانجليزية ، وحصلت على أمر بالعفو العام عن الأشخاص الذين  
اشتركوا في تلك المعركة ، وحصلت على تصريح بأن تستولى على كل  
مايحصل عليه منسوبوها من بحار المشرق .

## العلاقات الإيرانية البرتغالية

### بعد الاستيلاء على هرمز

ذكر الفونسو دي البوكيرك القائد البحرى البرتغالى المشهور أن المراكز الرئيسية للعلاقات التجارية في آسيا والهند هي ثلاث نقاط : أحداها مضيق مالاكا ، والثانى مضيق عدن ، والثالث هو مضيق هرمز ، وهو أهمها ، وبالاستيلاء على هذه المضائق الثلاثة عدت الحكومة البرتغالية نفسها مالكة للعالم كلها . وكان يقصد من هذا أنه بامتلاك هذه الأماكن الثلاثة تصير تجارة الهند وإيران وتل دول آسيا تحت تصرف البرتغاليين وفي احتكارهم ، ولكن البرتغاليين فقدوا هرمز بسبب سوء سلوكهم وخشونتهم وسياساتهم الخاطئة في إدارة مستعمراتهم ، وفي أثرها فقدوا بقية مستعمراتهم ومراكزهم التجارية بالتدريج .

بعد سقوط جزيرة هرمز جعل البرتغاليون ميناء مسقط على ساحل عمان مركزا لتجارتهم ، وشيدوا هناك عدة قلاع ، ولكن مسقط كانت دائما عرضة لهجمات العرب الممانيين ، ولهذا كان للبرتغاليون دائما في عذاب وخطر ، ثم استولوا بعد فترة على ميناء البصرة ، وأقاموا هناك مركزا تجاريا ودارا للعلم وظلوا هناك الى حوالى عام ١٠٥٠ هـ ( ١٦٤٠ م ) ينافسون انجلترا .

وقد حاول البرتغاليون عدة مرات الهجوم على جزيرة هرمز واعادتها ، من ذلك مرة سنة ١٠٣٣ هـ ( ١٦٢٤ م ) ، ومرة أخرى عامى ١٠٣٩ و ١٠٤٠ هـ ( ١٦٤٠ م ) حين أرسلوا سفنهم الى سواحل إيران خاصة الى ميناء جاسك وجزيرة هرمز ، وحاصروها عدة مرات ، ولكن مساعيهم فشلت ولم يتحقق هدفهم .

بعد أن استولى الشاه عباس على جزيرة هرمز ، أرد أن يستولى أيضا على ميناء مسقط ويكف أيدي البرتغاليين عنه ، ولهذا أرسل جيشا الى هناك ، واستولى على سحار وخور فكان على الساحل العماني ، ولكن رؤى فريديرا القائد البرتغالى الذى كان قد هرب من أسر الانجليز وصل مع بضعة



سفن لمساعدة القوات البحرية البرتغالية ، بل وقام البرتغاليون - كما سبق أن ذكرنا - ببعض الهجمات على موانئ جاسك وجمبرون وبعض المناطق الساحلية الأخرى . ولخوف الإيرانيين من أن يقطع الأعداء صلتهم بالوطن الأم ، فقد انسحبوا من المناطق التي كانوا قد استولوا عليها في ساحل عمان .

في عام ١٠٣٤ هـ ( ١٦٢٥ م ) - أي بعد ثلاث سنوات من سقوط هرمز ، وعندما يئس البرتغاليون من استردادها - لجأوا إلى مصادقة الشاه عباس وصرخوا النظر رسميا عما كان في أيديهم من سواحل الخليج الفارسي ، وبدلا من ذلك أخذوا موافقة من الشاه بإقامة قلعة ومركز تجاري في ميناء كنج (١) ، ومزاولة صيد اللؤلؤ في البحرين . وطبقا للاتفاقية بين الجانبين تقرر إعفاء البضائع البرتغالية في هذا الميناء من الرسوم والجمارك ، ابتداء من ذلك التاريخ . كما يحصلون على نصف إيراد ميناء كنج . وكان الشاه عباس يهدف من وراء ترضية البرتغاليين وعقد هذه الاتفاقية معهم إلى هدف سياسي وهو أن يظل صديقا للدولتين الإسبانية والبرتغالية حتى يمكنه عند اللزم الاستعانة بسفنهم ضد التجار الانجليز والهولنديين الذين كان نفوذهم قد ازداد في الخليج .

وقد ظلت مواد هذه الاتفاقية نافذة طيلة بقاء السيطرة البرتغالية على مسقط ، ولكن الحكومة الإيرانية رفضت العمل بمقتضاها منذ ١٠٦٠ هـ ( ١٦٥٠ م ) ، أثناء حكم الشاه عباس الثاني حينما خرجت مسقط من تحت سيطرتهم (٢) ، وخاصة فيما يتعلق بالرسوم الجمركية من ميناء كنج والتي لم تدفع للبرتغاليين منها الا مبلغا ضئيلا لا يتجاوز عشرة آلاف تومان .

(١) كنج بضم الكاف : كان ميناء في الشمال الشرقي لميناء لنجه وهو اليوم قرية ساحلية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها ألفي شخص ، وكانت بقايا جدران القلعة البرتغالية مازالت موجودة إلى نحو خمسين سنة مضت .  
(٢) في أواخر ١٠٥٩ هـ استطاع العرب الذين هاجموا مسقط عدة مرات محاصرة تلك المدينة وعجز البرتغاليون عن الدفاع عنها ودخلها العرب واستولوا على قلعة المدينة ومركز التجارة البرتغالي فيها ، وفي ٢٠ محرم ١٠٦٠ هـ ٢٣ يناير ١٦٥٠ م ، سلم الحاكم البرتغالي لمسقط ، وكان نائب الملك في الهند قد أرسل عدة سفن لمساعدة البرتغاليين في مسقط ، ولكن السفن وصلت متأخرة ، وكان البرتغاليين قد غادروا ساحل عمان وفقدوا قلاعهم في شبه الجزيرة العربية أيضا . ( الخليج الفارسي - سيرأرنولد ويلسون ) .

وفي النهاية أرسل نائب الملك في الهند سفيرا الى الشاه عباس الثاني واتفقت الدولتان على أن تدمج إيران كل عام مبلغ خمسة عشر ألف أكو (حوالي ٣٠ ألف تومان) الى البرتغاليين تحت عنوان دخل جمرك ميناء كنج في مقابل تفضي البرتغاليين نهائيا عن كل حقوقهم على سواحل الخليج ولما لم ترد أية إشارة الى صيد اللؤلؤ حول جزر البحرين ، فقد ادعى البرتغاليون أن صيد اللؤلؤ في تلك النواحي من حقوقهم وليس لاحد حق صيد اللؤلؤ حول البحرين دون إذن خاص منهم (١) .

في ذلك الوقت كان نفوذ الشركات التجارية الانجليزية والهولندية في بحر المشرق يزداد وينمو وأخذت قوة البرتغاليين على مدى القرن الحادي عشر تضمحل من السند وملوك مالاكا وسرنديب ( سيلان ) والسواحل الهندية ورأس الرجاء في جنوب أفريقيا . وقد استولى الهولنديون على جزء من مستعمراتهم وقصد الجزء الثاني بسبب عداوة العرب والوطنيين والهنود لهم . وفي النهاية فقدوا ميناء كنج - المكان الوحيد الذي كان قد تبقى لسفنهم في الخليج (٢) .

(١) في عام ١٠٤١ هـ ( ١٦٣١ م ) أدرك ملك أسبانيا مدى الخسارة التي لحقت من جراء ضياع البحرين من أيديهم ، ولهذا أمر نائبه في الهند بالعمل قسدر استطاعته لاستعادة هذه الجزيرة حتى لو أمكنه أرضاء حاكم الجزيرة الايراني بتسليم الجزيرة عن طريق الرشوة .  
(٢) كتب الرحلة شاردان الذي كان في إيران سنة ١٠٨٦ هـ (١٦٧٥م) في أحداث تلك السنة : « وصل مبعوث خاص من ميناء كنج ، وذكر أن بعض السفن البرتغالية وصلت للميناء وصادرت ثلاث سفن هندية ، وعليها تلتزم حاج ايراني ، وكثير من البضائع وكان هدفهم أرغام الحكومة الايرانية على دفع نصف إيرادات جمرك ذلك الميناء عن عامين ببناء علي اتفاقية سنة ١٠٣٤ هـ . وقد أرسل الشاه ميرزا شفيح الخازندار الي ذلك الميناء وأصدر اليه تعليمات بأن يدفع لهم ١٠ ألف أكو عن العام السابق و ١٥ عن ذلك العام ، فاذا لم يقبلوا قام بتخريب الميناء ونقل أهله الي المواني الاخرى ، وقبل وصول ميرزا شفيح كان حاكم الميناء الايراني قد تصالح من البرتغاليين ودفع لهم مبلغا من المال فاطلقوا سراح السفن والحجاج . ولما نزلوا جميعا وأفرغت البضائع من السفن قال لهم الحاكم أنه لن يدفع لهم أية أموال أخرى دون إذن من الشاه رغم ما أعلنوه من تهديد ووعيد فلما وصل ميرزا شفيح قال لهم أن من الأفضل لهم أن يرسلوا مندوبا عنهم الي الشاه في اصفهان لحل هذه الخلافات .

ومن أهم أسباب زوال قوة البرتغاليين ونفوذهم في المشرق سوء سلوكهم وتقسوة طباعهم مع شعوب الشرق • وثانياً الخلاف بين المسئولين البرتغاليين وبنفادهم بعضهم لبعض • ولما كانت الشؤون التجارية الإسبانية والبرتغالية محتكرة للدولة ، فانها لم تستطع الصمود أو منافسة التجارة الحرة للشركات الانجليزية والهولندية •

وقد استقطاع الاسبان والبرتغاليون الحفاظ على نفوذهم واستعمارهم بعض الوقت مستندين الى قوتهم العسكرية ، ولكن لنقص المسئولين الذين يمكنهم ادارة هذه المستعمرات بالحكمة والسياسة فقد ضعف نفوذهم ثم انتهى •

### ، وراجع هذا الفصل

- ١ - كتاب رحلة ماركو بولو marcoPolo للتاجر البندقي .
- ٢ - كتاب رحلة بيترو دافاليه الايطالي ، ٨ أجزاء طبعة روين Rouen ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م ، وهو الذي زار ايران سنة ١٠٢٥ هـ .
- ٣ - مقدمة شارل شيفر Charles Schefer لكتاب ووضع ايران في عام (١٦٦٠ م) Estat de la Perse en 1660 تأليف رفاييل دي مانس Raphael du mans دلبسح باريس ١٨٩٠ م .
- ٤ - دون جوان ايران Don Juan of Persia ترجمة المستشرق الانجليزى لوسترانج مع مقدمة سيردينس روس ، سنة ١٩٢٦ م .
- ٥ - الخليج الفارسي ، تأليف سيرارنولد ويلسون ، طبعة اكسفورد ١٩٢٨ م . ترجمة للفارسية محمد سعيدى .
- ٦ - رحلة الاخوان ثيرلي The Three Brothers / طبع لندن ١٨٢٥ م . وترجمتها للفارسية .
- ٧ - الشاه عباس تأليف لوسين لويس بلان Lucien-Louis Bellan باريس ١٩٣٢ م .
- ٨ - رحلة شاردان Charden الفرنسى ، ١٠ مجلدات طبع باريس ١٨١٩ م .
- ٩ - رحلة جان بايتيست تفارينه Jean-Bapteste Tavernier في جزئين ، طبع باريس ١٦٩٢ م ( ١١٠٣ هـ ) .
- ١٠ - رحلة دون جارسيا دى سيلفا فيجورا في ايران والهند والتي استغرقت من ١٦١٤ - ١٦٢٤ م .
- ١١ - عالم آراى عباسى - اسكندر بك تركمان طبع طهران سنة ١٣١٤ هـ .
- ١٢ - منتظم ناصرى - تأليف محمد حسن خان صنيع الدولة .
- ١٣ - رحلة سيرتوماس هربرت Sir Thormas Herber لندن ١٦٧٧ م .

- ١٤ - حالة الدولة الفارسية *Etat du Rayaunede Perse* تأليف Sanson القس المبشر المسيحي الذي جاء ايران سنة ١٦٨٣ م .
- ١٥ - مراسلات الشاه عباس محفوظة في المكتبة الوطنية في نابولي جمعها القس جان تاديه .
- ١٦ - رحلة انطونيو دى جوفيا طبع روين سنة ١٩٤٦ م .
- ١٧ - تاريخ القسس الكرملين في ايران ، لندن ، ١٩٣٩ ، في مجلدين .
- ١٨ - رحلة ماندلسلو *J.A. mandelslo* الترجمة الفرنسية طبع باريس ، ١٦٧٩ م .



# الفصل الثاني

العلاقات الايرانية الانجليزية





## العلاقات الإيرانية الإنجليزية في العصر الصفوي

### بداية العلاقات الإيرانية الإنجليزية

بينما سيطرت الحكومتان البرتغالية والاسبانية على أعالي البحار وقوت مستعمراتها في أفريقيا وآسيا سعى التجار الانجليز لفتح طريق الى آسيا عن طريق بحار شمال أوروبا ففي ٩٦٠ هـ (١٥٥٣م) سافر أحد الانجليز اسمه ريتشارد شانسلر للسياحة قاصدا أراضي لابوني (١) في اسكندنافيا فالقت الرياح بسفينته في ميناء أرخانجاسك وقد أسس شركة في موسكو باسم شركة مسكو باذن من ايفان المرعب قيصر روسيا . وبعد وفاته سنة ٩٦٤ هـ أصبح انطوني جينكينسن (٢) - أحدمعاونيه ومرافقيه - رئيسا عاما لسفن الشركة وقد كلف مع اثنين من الاعضاء الانجليز بفتح طريق للتجارة بين روسيا ودول وسط آسيا عن طريق بحر الخزر ويبدو أنه كلف بمهمة سياسية في بخارى من قبل القيصر الروسي .

بعد عودة جينكينسن من هذه الرحلة صممت شركة مسكو على ارساله الى ايران لعله يستطيع اقامة علاقات اقتصادية مع ولايات شمال ايران الواقعة على ساحل بحر الخزر والتي كانت مركز تجهيز الحرير ليناكس في هذا التجار البرتغاليين الذين يحتكرون تجارة الحرير الإيراني والذي يحملونه الى أوروبا عن طريق الخليج وجنوب أفريقيا . وقد استطاع جينكينسن أن يحصل من ايفان المرعب قيصر روسيا ( ٩٤٠ - ٩٩٢ هـ / ١٥٣٣ - ١٥٨٤ م) ومن اليزابيث ملكة إنجلترا ( ٩٤٠ - ١٠١٢ هـ / ١٥٣٣ - ١٦٠٣ م ) على صفة السفارة وجاء الى ايران سنة ٩٦٩ هـ .

وقد حمل جينكينسن معه خطابا من ملكة إنجلترا الى الشباه طهاسب الاول مضمون جزء منه ما يلي :

« من اليزابيث ملكة إنجلترا المؤيدة بالتأييد الالهي الى الامير العالي القوي الصفوي الكبير ملك ملوك ايران وشعب مادوبارث وجرجان وكرمان

Archa ngelsk  
Jenkinson

(٢)

Laponie

(١)

(٣)

ومرو والقبائل على شاطئ دجله وكل الشعوب التي تقطن ما بين بحر الخزر  
والخليج الفارسي أبعث وافر السلام وأمانى السعادة والاقبال .

من رحمة الله التي لاتحد أن أصبحت الامتان الايرانية والانجليزية  
صديقتين عن طريق المراسلة رغم المسافة التي تفصل بينهما من بحار  
وأرض وفتحنا أبواب التراسل والمكاتبة في سبيل حفظ المصالح الانسانية  
ومنافع الطرفين ، ولهذا فان تابعنا العزيز الوفي أنطوني جينكينسن الذي  
يحمل هذه الرسالة باذننا ومرامنا ويعون الله ينوي السفر من بلادنا الى  
ايران وباقى المناطق التابعة لنفوذكم . ولما كان هدفه اقامة علاقات تجارية  
مع رعاياكم وبقية التجار الذين يعملون في بلدكم بالتجارة . لهذا أردت أن  
أطلب من جلالتم أن تفضلوا باصدار تصاريح المرور اللازمة له ولرافقيه  
والتسهيلات الاخرى حتى لا يواجهوا أية مشاكل في تنقلاتهم أو اقامتهم  
في ايران . . . . .

كتب في انجلترا بمدينة لندن الكبيرة فى الخامس والعشرين من أبريل  
سنة ١٥٢٣ والسنة الثالثة للكننا .

وصل جينكينسن الى ميناء دربند في القفقاز الذى كان آنذاك ضمن  
الاراضى الايرانية ومن هناك توجه الى قزوین عاصمة الشاه طهماسب الذى  
استقبله واطلع على مضمون خطاب الملكة اليزابيث وعرف الغرض من مهمته .  
ولما لم يكن جينكينسن يعرف العادات والتقاليد الايرانية فانه لم يستطع  
أن يحقق هدفه كما كان يريد وعاد الى مسكو دون عقد أى اتفاق بين ايران  
وروسيا أو انجلترا لتشجيع التجارة بينها .

كتب أحد الساسة الانجليز في هذا الشأن يقول « حينما التقى  
جينكينسن بالشاه طهماسب الاول في قزوین قدم اليه رسالة ملكة انجلترا ،  
مطلباً منه ان يفتح لنا بصدافتكم » (١) ثم أذن له بالعودة  
ويقول جينكينسن في كتاب رحلته « بعد أن عدت من ملاقاته الشاه قام أحد  
خدم القصر ومعهم مبلور بالتراب وسار خلفى حتى باب مقر الملك وكان  
ينشر التراب على مواضع اقدامى ليتطهرها » .

(١) كان الاوربيون قد بدأوا الاتصال بأبيه الشاه اسماعيل لمهاجمة  
العثمانيين من الجانبين وقد وافقهم على هذا ولكن توفي قبل تنفيذ الاتفاق ،  
وكان طهماسب متعصبا ضد المسيحيين .

تقضى جينينسن شتاء ٩٧٠ هـ في موسكو ثم عاد الى ايران ومعه شخصان آخران هما توماس الكوك (١) وريتشارد شنى (٢) أرسلتهما شركة موسكو . ولم يوفق هذه المرة أيضا لان عبد الله خان والى شروان الذى عامله في رحلته الاولى بمحبة وصداقة امتنع عن حمايته ومساعدته هو ومرافقيه هذه المرة لان أحد المسلمين كان قد قتل على يد أحد الرعايا الروس ونتيجة لهذا قتل توماس الكوك في أثناء الطريق .

وبعد ست سنوات أى في ذى الحجة سنة ٩٧٤ هـ جاءت هيئة أخرى من شركة موسكو برياسة آرثر ادوارد (٣) وريتشارد ويلز (٤) ولكن جماعة من أعضاء هذه الهيئة ماتوا قبل أن يصلوا الى قزوين فاستقبل الشاه طهمااسب من تبقى منهم بمحبة وأبدى ميله لارتداء الأقمشة اللندنية وأصدر أمرا أعفى بموجبه موظفى شركة موسكو من الرسوم الجمركية ورسوم الحراسة في الطرق ومنح التجار حق التجول في ايران بحرية تامة ومزاولة التجارة .

وجاء في أحد الوثائق السياسية الانجليزية عن أول لقاء بين آرثر ادواردز والشاه طهمااسب الاول :

في أول مرة عندما دخل مع مترجمه للاقاة الشاه الصفوى وقف بعيدا عن العرش الذى جلس عليه الملك وأحاط به جمع من عظماء وجنود ايران . وطلب منه الشاه أن يقترب من العرش ثم سأله من أى دولة جاء ؟ فأجاب من انجلترا . فاستفسر الشاه من العظماء الذين كانوا يقفون بجواره عن أيهم يعرف شيئا عن هذه الدولة ، وحين رأى ادواردز أن أحدا منهم لا يعرف شيئا عن بلده ذكر اسمها باللغة الايطالية وهو « انجلترا » وأنداك ذكر أحد الحاضرين اسم مدينة لندن التى تشتهر عن غيرها من مدن انجلترا في الدول المسيحية ، فقال ادواردز للشاه أن لندن هى عاصمة انجلترا كما كانت تبريز قبل ذلك عاصمة لايران . فأخذ الشاه يسأل عن كثير من الأشياء في انجلترا وأبدى دهشته من وجود جزيرة بهذا الثراء وتلك القوة في بلاد الفرنج . وبينما كان ادواردز يتحدث عن قوة انجلترا وثروتها ورؤايج تجارتها وقوانينها وأدابها وعاداتها كان الشاه طهمااسب يكرر قول « بارك الله ،

Richard Chenie (٢)  
Richard Wills (٤)

Thomas Alcock (١)  
Arthur Edwards (٣)

متعجبا • ثم سأل الشاه السفير عن السبب وراء مجيئه الى ايران • وعندما رد عليه بأنه جاء لعقد صفقات تجارية • استفسر منه عن أنواع البضائع التي يطلبونها • فقال السفير للشاه : « أن في بلدكم كثيرا من التجار البنديين يذهبون كل عام من ايران الى لندن والبنديقية ( فينيسيا ) والمدن العثمانية وحلب وطرابلس والشام ويعودون الى ايران مع أحمال من البضائع » فسأله الشاه ماهذه البضائع ؟ فأجابه ادواردز : « انها من الجوخ اللطيف الرقيق والاقمشة الصوفية وما شابه ذلك • فسأله الشاه وأنت عن أى طريق تريد أن تحضر هذه البضائع الى ايران ؟ فرد عليه : « عن طريق موسكو ( روسيا ) لأنه أقل خطورة وأقصر من الطريق الذى يسلكه تجار البنديقية من انجلترا ثم الدولة العثمانية فايران •

وقد طلب ادواردز من الشاه فى هذا اللقاء أن يعطى للتجار الانجليز اذنا بالتجارة فى ايران حتى يمكنهم التنقل فى كل انحاء البلاد بحرية تامة وفى أمن على أرواحهم وأموالهم وقال أن التجار الانجليز سوف يقدمون للايرانيين بضائع أحسن وأرخص •

وقد استمر الحديث بين الشاه وادواردز نحو ساعتين حصل فى نهايتها سفير انجلترا على ما كان يريد من امتيازات تجارية من الشاه طهاسب ، وكتبت كل هذه الشروط على ورق أحمر مذهب وختمها كاتب الشاه الخاص بختمه وتوقيع وقال هذا الكاتب الخاص الذى كان يدعى قسوج خليفه للسفيران أن كتابة وختم مثل هذه الوثيقة من قبل الشاه تعد تفضلا ومنة عظيمة منه • أما بقية الشروط التجارية فقد اتفق على أن تكتب فى وثيقة أخرى تسلم الي لورنس شابمان أحد أعضاء البعثة •

وكانت مواد الوثيقة الثانية التى تتعلق بالتجار الانجليز وسلمت الي لورنس شابمان على النحو التالى :

١ - للتجار الانجليز الحرية فى السفر حسب رغبتهم سواء الى جيلان أو أى مكان آخر من أملاك شياه ايران •

٢ - اذا حدث وتعرضت إحدى سفنهم للغرق فى بحر الخزر فان رعايا ايران سوف يهبون لمساعدة الغرقى وينقذون أموالهم وأرواحهم اذا طلبوا المساعدة •

- ٣ - اذا توفي أحد التجار في مدينة إيرانية فان حكام إيران مكلفون بالمحافظة على أمواله . وعليهم تسليمها للتاجر الآخر الذى يطالب بها .
- ٤ - للتجار الانجليز حرية اختيار الجمالين الذين يعملون معهم ، وليس لأى من القزلباشية حق مضايقتهم ، ويصبح الجمالون مسئولين عن أموال التجارة والجمال والخيول التى تسلم لهم .
- ٥ - ليس للجمالين حق مطالبتهم الا بما هو متعارف عليه من أجر .
- ٦ - اذا شاء أحد التجار أثناء سفره الإقامة في أحد الاماكن فيمكنه الاحتفاظ ببيضائه ويسرح العاملين معه .
- ٧ - يمكن لتجار تهيئة المنازل والاطعمة اللازمة ومرافقيهم في أية مدينة أو قرية .
- ٨ - يحق للتجار الانجليز شراء أو بناء المنازل اللازمة لعملهم ، ولا يحق لأى شخص منعهم أو الاضرار بهم .

وبهذه الامتيازات التى منحها الشاه طهاسب الاول كان يرجى أن تزدهر التجارة عن طريق روسيا الى إيران وتؤدي الى كساد سوق البرتغاليين مع الهند الشرقية وإيران . لان التجار الانجليز كان يمكنهم المجيء الى إيران مرة واحدة على الاقل كل سنة عن طريق روسيا . أما ذهب البرتغاليين عن طريق البحر من هرمز الى الهند وجنوب أفريقيا الى أوربا ثم العودة للهند وإيران فلم يكن متاحا قبل عامين .

## العلاقات الإيرانية الانجليزية

### في عصر الشاه عباس الأول

بعد وفاة التماه طهماسب قطعت العلاقات بين ايران والسودل الأوروبية نتيجة للانقلابات والخلافات على خليفته ، وكذلك بسبب المشكلات الداخلية والخارجية المختلفة التي حدثت حتى تولية الشاه عباس ، بل وحتى السنوات الأولى من حكمه . واذا كان قد جاء الى ايران سفراء أو مبعوثون فانهم لم يحصلوا على نتيجة من وراء مهامهم في ايران ، كما حدث في عصر الشاه محمد خدابنده والد الشاه عباس ، اذ جاء آرثر ادواردز مع بعثة من شركة موسكو وقدم اليه رسالة من الملكة اليزابيث ( ٩٨٧ هـ ١٥٧٩ م ) ولكنه لم يحصل على نتيجة تذكر من بعثته هذه .

بعد ان ثبت للشاه عباس أساس حكمه وانتصر على اعدائه في الداخل والخارج وذاعت شهرته في كل دول أوروبا ازدهرت العلاقات بين ايران وأوروبا مرة أخرى وجاء كثير من السياح والسفراء من كل دولة لعقد معاهدات سياسية أو اقامة علاقات تجارية مع ايران .

### وصول الاخوين شيرلي الى ايران

في السنوات الاخيرة من القرن السادس عشر الميلادي أي في السنوات ١٠٠٧ - ١٠٠٨ هـ ( ١٥٩٨ - ١٥٩٩ م ) وصلت الى ايران جماعة من خمسة وعشرين انجليزيا برئاسة شخص اسمه السير أنطوني شيرلي وكان برفقته أخوه الأصغر روبرت شيرلي .

وقد ولد السير أنطوني شيرلي في ويستون بانجلترا سنة ١٥٦٨ م ( ٩٧٥ هـ ) ، وهو ينحدر من أسرة معروفة ومشهورة . وبعد أن أنهى دراسته في جامعة أكسفورد انخرط في الجيش واشترك في الحرب التي كانت قد نشبت بين أسبانيا وهولندا في أواخر القرن السادس عشر واشتهر بشجاعته ، ثم التحق بخدمة كونت اسكس أحد عظماء انجلترا وقاد له حملة عسكرية على الجزر التابعة لاسبانيا في أمريكا ، وبعد سنتين كلفه الكونت بالذهاب

الى ايطاليا لمساعدة سزار دى استته (١) دوق فيرارا الذى كان على خلاف مع البابا كليمنت الثامن بسبب الدوقية في فيرارا ولكن البابا كان قد استولى على فيرارا قبل وصول أنطونى شيرلى فأصبحت مهمته بلا فائدة ، فطلب منه كونت اسكس الذهاب الى ايران ليحرض الشاه عباس على محاربة الدولة العثمانية والاتحاد مع الدول المسيحية الاوربية والحصول منه على امتيازات خاصة للتجار الانجليز .

وقد كتب أحد مرافقى شيرلى واسمه جورج مانوارينج (٢) عن الهدف من وراء مهمة شيرلى فقال :

« عندما كنا في مدينة البندقية ( فينيسيا ) تعرفنا على تاجر ايراني كان قد أرسله الشاه عباس الى هناك لشراء الجوخ الانجليزى والاقمشة الصوفية والكتانية وما الى ذلك . وقد أشاد هذا التاجر بهيبة ملكة وجلاله مما جعل السير أنطونى يتعلق بايران ، ولكنه لم يفكر في السفر ، ولكن سائحا اسمه أنجلو كان قد وصل حديثا من ايران جاء لزيارة السير أنطونى وتحدث عن عظمة شاه ايران وشجاعته وهيبته ومحبته للاوربيين مما جعل السير أنطونى يصمم على السفر الى ايران .

تحرك السير أنطونى يوم ١٧ شوال ١٠٠٦ هـ ( ٢٤ مايو ١٥٩٨ م ) مع مرافقية من ميناء فينيسيا صوب الاراضى العثمانية وكان من بين مرافقيه أخوه روبرت شيرلى وباول (٣) الذى حصل فيما بعد على لقب فارس من جيمس الاول ملك انجلترا وشخصان آخران أحدهما جان هوارد وجسان بارت (٤) وأحد رجال المدفعية الذى كان يمتاز بمهارة في صب المدافع وصنعها .

وقد غادر أنطونى شيرلى ومرافقوه السفينة في ميناء الاسكندرونه أحد الموانى للعثمانية ، وذهبوا الى حلب بعد أن تحملوا كثيرا من المشاق والمتاعب وبعد البقاء فيها بعض الوقت توجه لى بغداد عن طريق صحراء الشام ، ومن هناك الى ايران ولما كان الشاه عباس في قزوین في ذلك الوقت فقد توجه الى هناك . وكتب جورج مانوارينج يصف وصولهم الى قزوین وترتيبات استقبال الشاه للبعثة الانجليزية فقال :

|                          |     |              |     |
|--------------------------|-----|--------------|-----|
| George Manworing         | (٢) | Sesard' este | (١) |
| Bawel                    |     |              | (٣) |
| Jahn Howard & Jahn Parot |     |              | (٤) |

« على مقربة من قزوين أرسل السير أنطوني اثنين من مرافقيه هما انجلو وجان هوارد وقبل وصوله بأبعة أيام الى هناك حتى يعدا له منزلا ويعودا لاستقباله وارشاده الى المدينة وأوصاهما بتكتم وصوله قدر الامكان لأنه لم يكن يحمل مايناسب من الهدايا والتشريفات، اذ كان كل شيء قد فقد منهم بسبب طول الرحلة والسفر ، ولكنها لم يتمكننا من ذلك لأن حاكم قزوين وناظر الشاه أرسلا اليها شخصا يسألا نهما عن اسم وصفات السير أنطوني شيرلى وسبب مجيئه ، فاضطر هذان المرافقان الى اقشاء السر ولكنها أخفيا يوم وصول الوفد مما أغضب الحاكم والناظر بل وأهل المدينة لأنهم جميعا كانوا يرغبون في استقبالنا على الطريقة المتبعة في ايران انذاك .

دخلنا قزوين أثناء الليل ، وفي اليوم التالي جاء ناظر الشاه مع جمع من عظماء المدينة الى منزلنا وأبدى كثيرا من الحب والعطف نحو السير أنطوني، ثم وضع أمامه عشرين جنيها ذهبيا وقال له « أرجو أن تتقبل هذه الهدية المتواضعة من ملكي وولي نعمتي الذي يحارب التاتار الآن لأنك قادم من سفر طويل وأنت غريب في بلدنا ومن الممكن ألا تستطيع القيام بحاجتك على الوجه الاكمل ، ولما كنت أعجز عن القيام بواجب الضيافة كما يجب فانني أرجو المعذرة ٠٠٠ » ثم أضاف أنه سيفتح مثل هذا المبلغ كل يرم لنفقات السير أنطوني اليومية وقال : « أننى أقدم هذا المبلغ من مالى ولاشك أن الشاه عندما يعود من سفره سوف يقدم ثلاثة أضعاف هذا المبلغ « ولكن السير أنطوني شيرلى امتنع عن قبول هذا المبلغ وأبعده بقدمه وقال « أيها الاخ الايراني الكريم ، اعلم أننى لم ات الى ملككم للسؤال ، ولكن شجاعته وشهرته هي التي أحضرتنى الى هنا وأريد أن احظى برؤيته وتقبيله بيده واقبم يوحى فداء له في جروبه. ٠٠٠ » .

أثر كلام سير أنطوني في الناظر تأثيرا شديدا حتى أنه ارتد بضغ خطوات للخلف وأخذ يحنى رأسه بضغ مرات للتعظيم وقال : « أرجو أن تصفح عنى فالآن أدركت أنك أمير عظيم ٠٠٠ ، وبعد المجاملات المعتسادة استأذن من السير أنطوني وخرج مع رفاقه .

بعد هذا جاء حاكم قزوين أيضا لزيارة السير أنطوني وقال أنه لن يتوانى عن تقديم أية خدمة وعاد بعد المجاملات المعتادة أيضا . وفي هذه الليلة أرسلنا الى سير أنطوني من الهدايا ما أدى الى التعجب . ثم كنا يتنافسان



في الاحتفاء بنا ، وبعد خمسة أو ستة أيام وكنا قد أصبحنا ذوى ملابس فاخرة وخيول ممتازة استضاف الناظر السير أنطوني ورفاقه في القصر الملكي وقبل السير أنطوني دعوته ، وحين توجهنا الى هناك جاء الناظر مع أربعين شخصا من اعيان المدينة لاستقبالنا في منتصف الطريق على خيولهم واستقبلونا استقبالا ملكيا . وحين وصلنا الى باب الديوان الملكي المزين بالجواهر الثمينة قال الناظر للسير أنطوني : « جرت العادة على أن يقبل عتبة هذا الباب كل شخص يدخل منه وهذه العادة خاصة بالنسبة للاجانب الذين يأتون الى ايران . فاجابه السير أنطوني : أننى أحترم هذه العادة احتراما للنشاه وحنى رأسه هو وأخوه روبرت، شيرلى احتراما ولكن للجميع قبلوا عتبة باب للديوان . »

كان القصر من الداخل في غاية الجمال والجلال ، وقد علقت على الجدران أفمشة محلاة بالذهب وفرشت الارض ببسط جميلة ، ولن أصف ألوان الطعام واكتفى بالقول أن أغلبها كانت من الأرز وقد صنعوا كلا منها بلون ، كانت إحدى فرق الموسيقى الملكية تعزف أثناء هذه الضيافة ، كما كان لنا في منزلنا فرقة خاصة للعزف كما كانت هناك عشر راقصات جميلات بملابسهن الغالية يرقصن على الطريقة الايرانية طوال الضيافة . ولما ان لنا أن ننصرف ودعنا جمع من اعيان المدينة . . . »

بعد بضعة أيام وصل رسول من بلاد التركستان يحمل أمرا من النشاه عباس كتبه بخط يده وقد قرأه أحد كبار رجال قزوين على أهل المدينة وقد حضرنا جميعا للاستماع اليه . وكان مضمونه : « يجب أن يمنتقبل ضيوفنا الفرنج استقبالا كاملا وأن يعد لهم ما يحتاجون اليه من خيل أو خدم وغيرها . وكل من يخالف هذا الامر فانه سيعرض روحه للخطر . واذا أساء أحد الى أقل رفاقهم فان رأسه سوف تقطع لامحالة . وبمجرد أن قرىء أمر النشاه تسام الحاضرون جميعا بتقبيله . »

بعد هذا كتب وصفا لمراسم وصول النشاه عباس لقزوين واستعدادت استقباله للسير أنطوني شيرلى خلاصته ما يلي :

« قبل وصول النشاه عباس الى قزوين ببضعة أيام أرسل رسولا للناظر امره كى يعطينا خيولا ممتازة لكى نخرج مع الحاكم لمنتقبله عى بعد أربعة فراسخ من المدينة وكانت ملابسنا على النحو التالي :

كان السير أنطوني يرتدى ملابس غالية موشاة بالذهب ويلحق وسطه سيفاً قيمة عمده نحو ألف جنيه وكان مزينا بالماس واللؤلؤ ، وكان يضع على رأسه عمامة قيمتها نحو عشرين جنيها ، ويلبس حذاء مزينا بالياقوت واللؤلؤ ، وبعده كان أخوه روبرت شيرلي يلبس ملابس موشاة وعلى رأسه عمامه فاخرة أما مترجم سير أنطوني وهو « انجلو » فكان يلبس ملابس حريرية بيضاء وكان أربعة منا يلبسون جبباً حريرية وأربعة بلبسون جبباً من القطيفة الحمراء مع قمصان حريرية وأربعة آخرون جبباً صوفية وقمصانا من الشافته والأربعة الباقون يلبسون جبباً صفراء مع قمصان من الحرير الايراني .

على هذا النحو أسرعنا لمقابلة شاه ايران وكان السير أنطوني وأخوه يسيران جنباً الى جنب ، وكان الناظر يسير على يمينهم والحاكم على يسارهم وكان الباقون يركبون خلفهم اثنين اثنين ، وكنت أنا أسير أمام السير أنطوني وأحمل في يدي عصا من الفضة لأن السير أنطوني كان قد جعلني رئيس فرائشيه لأن الرجال العظام في ايران كانوا يسرون ومعهم رؤساء فرائشيه .

وما كنا نبتعد عن المدينة نحو نصف فرسخ حتى ظهر لنا موكب الشاه وكان في المقدمة نحو عشرة آلاف جندي مسلح ومن خلفهم جماعة من حملة الابواق الموسيقية ينفخون في ابواقهم فيبعثون أصواتاً غريبة ، وبعدهم يأتي الطبالون وكانت طبولهم من الصفر (١) ومحمولة على الجمال . ثم ستة من حملة الاعلام واثنى عشر غلاماً في يد كل منهم حربة وبعد مسافة طويلة ظهر الشاه الذي كان يسير بمفرده وفي يده حربة وفي كتفه قوس وفي وسطه سيف وخنجر ، وكان قصير القامة ولكنه قوى وقمحي اللون . وبعد الشاه كان يركب قواد الجيش وبعدهم أصحاب المناصب العسكرية واثنى عشر فارساً .

وعندما اقترب منا الشاه نزل السير أنطوني وشقيقه عن فرسيهما وتقدما لتقبيل قدمه فالتقى الشاه نظرة مشوبة بالغرور اليهما وتطلع الينا ودون

---

(١) الصفر هو النحاس وخاصة الاصفر منه وصانعه هو الصفار ، ومازالت هذه الطبول موجودة للآن وتشاهد في بعض القرى عند الاحتفال بقدم شهر رمضان في مصر ( المترجم ) .

أن يتكلم مع السير أنطوني أمر قواده أن يجعلوا له مكانا في المعسكر الملكي .  
ثم حث فرسه وابتعد عنا ثم سار السير أنطوني وأخوه مع القائد والناظر .  
وبعد ساعة عاد الشاه راکضا كانت تركض خلفه ست عشرة سيدة على  
خيل ممتازة وعندما وصل الى السير أنطوني أطلقت النسوة أصواتنا خاصة  
جعلتنا في حيرة ( يبدو أنها زغاريد ) ثم توقف الجميع وتقدم الشاه ثم قبل  
السير أنطوني وشقيقه وأخذ يد السير أنطوني ثم أقسم أن يجعل السير  
أنطوني كأخيه دائما وأنه منذ الآن سيخاطبه بلقب الاخ ، وتوجه الشاه  
صوب المدينة وقد جعل السير أنطوني عن يمينه .

تراحم جمع غفير من الاهالي خارج قزوين ومر الشاه من بينهم ،  
وكانوا أثناء مروره ينحنون ويقبلون الأرض ، وقبل دخولنا المدينة كان  
الشاه قد أعلن فيها أن أى جندي يدخلها ستقطع رقبتة فيما عدا من كان أصله  
من أهلها ، وكان يهدف من وراء هذا ألا يتسبب الجند في مضايقة الناس  
أو ابدانهم ، تم سمح للجنود جميعا بالعودة لوطانهم .

حين وصلنا للمدينة عبرنا كثيرا من الازقة ودخلنا إحدى العمارات  
الخاصة بالشاه وقد اصطحب الشاه السير أنطوني الى إحدى القاعات  
الفخمة المزينة حيث عرض السير أنطوني على الشاه أسباب سفره الى  
ايران ، ومصاعب الطريق وسوء معاملة المسئولين العثمانيين له ولرفاقه .  
وكان الشاه ينصت باهتمام الى حديثه حتى انتهى منه فقال له : « ياخي  
أننى أسف كثيرا للاحداث السيئة التي حدثت لكم في الطريق ولكنى  
سعيد لأنكم وصلتتم بالسلامة الى بلاطى ، وأقدامكم فوق أعيننا (١) ، . . .

ثم أقيم مجلس طرب استمر ساعتين في سرور وسعادة وفي نهاية المجلس  
طلب الشاه من السير أنطوني أن يشاهده من النافذة وهو يلعب بالصولجان ،  
وكان أمام القصر ميدان واسع جميل كانوا قد أعدوه لسباق الخيل فذهب  
الشاه الى هناك وركب فرسه . وعندما ركب نفخت الابواق ودقت الطبول  
أيضا . وقد لعب الشاه مع أحد عشر شخصا وكان هذا اللعب بالصولجان  
يشبه لعبنا في انجلترا الى حد كبير .

وقد سعد الشاه عباس الذى كان يريد دائما أن يتحد ملوك أوروبا  
ضد السلطان العثماني بقدم الاخوين شيرلى واستقبلهم بحفاوة بالغة ،

---

(١) تعبير ايراني للاعراب عن الترحيب الشديد بالضيف أو العزيز .

وبعد أن استضافتهما مدة في قزوین اصطحبهم جميعا معه عن طريق مدينة كاشان الى اصفهان التي أختيرت في ذلك العام عاصمة لایران ، وكان يعامل الاخين بمحبة كأنهما أخويه ، وقد كتب أحد مرافقی شیرلی شرحا مفصلا عن محبة حفاوة الشاه عباس للاخين شیرلی خلاصة جزء منه هي :

« ليس في ايران كراسى ، وكنا نجلس في ايران على البسط ، ولما كنت لا استطيع الجلوس على ركبتي فقد جلست القرفصاء ، فذكر السفير العثماني الذي كان حاضرا المجلس أن الانجليز عادة يجلسون على كراسى وأن جلوسهم على الارض صعب عليهم ، فنهض الشاه عباس على الفسور وانتقل الى قاعة أخرى وأمر أحد الغلماء باحضار منضدة من التي يضعون عليها زجاجات الشراب ، ثم أمر فوضعوا فوقها سجادة ثم أمرني بالجلوس عليها وبعد ذلك طلب الشراب وشرب نخب سلامتي وقال أنه يفضل نعل حذاء أى مسيحي على أكبر رجل عثمانى(١) » . وفي مساء ذلك اليوم دعانا بعد تناول العشاء للتجول معه في سوق قزوین .

في وسط مدينة قزوین مكان يسمى البازار وهو ثلاثة أمثال سوق لندن، وكانت كل الدكاكين قد زينت وأضيئت بناء على تعليمات من الملك ، وكانوا قد أقاموا في وسط السوق منصة كبيرة تقوم على ستة أعمدة وفرشوها بالبسط الثمينة المقصبة ووضعوا هناك كرسيًا فضيا مزينا بالفيرروز والياقوت والماس الكبير لكي يجلس عليه الشاه فأشار الملك الى أنطوني شیرلی كي يجلس على هذا الكرسي فركع أنطوني شیرلی واعتذر قائلا أن الاتكاء على أماكن العظام من سوء الادب ولكن الشاه لم يفتنع وأقسم برأس « على المرتضى(٢) » كي يطيعه وقال أن أى ايراني يبدي الكراهية للجلوس مكان الشاه تقطع رقبتة مهما كان عزيزا ، ثم أخذ أنطوني شیرلی وأجلسه على الكرسي ثم أمر باحضار كرسي آخر لروبرت شیرلی . أما نحن جميعا فقد جلسنا متربعين على البسط .»

بعد هذا أحضروا موائد صغيرة للطعام بينما كانت تقرع الطبول

---

(١) هكذا بلغ عداء للشاه عباس للاتراك العثمانيين لأنهم سنة .  
(٢) هو الرضا بن موسى الكاظم المحفون مع الخليفة هارون الرشيد في قصر حميد بن تحطبه الطمائي في ضواحي مدينة طوس للتقديمه والذي تحول قبره الى مزار من أكبر مزارات الشيعة صارت مدينة مشهد اليوم ( المترجم )

والدقوف ، وبعد ذلك دخلت المطربات الى المجلس وكن عشرين امرأة يلبسن ملابس عالية جميلة ، وكن يغنين وهن يرتصن على أنغام الموسيقى ، وبعد أن انتهى هذا الحفل أخذ الشاه يد السير أنطوني شيرلي وأخذ يسيران يدا في السوق والازقة بينما الراقصات تتقدمنهما وهن يرتصن ويغنين . . . . استقبلنا الشاه عباس على هذا النحو لمدة ثمانية أيام ، وبعد ذلك أرسل الى السير أنطوني شيرلي ثلاث سراقات كبيرة مع كل لوازمها واثنى عشر جملا وستة عشر بغلا كلها بسروج قيمة وأربع قطع من السجاد الحريري الفاخر والمحلى بالذهب وست قطع من السجاد الصوف الخالص مع بسط جميلة أخرى وأربعة عشر حصانا كريما بالسروج والآلة للتمينة من بينها سرجين وآلتين للحصانين الخاصين بالاخوين شيرلي مطعمين بالذهب ومزينين بالفيروز والياقوت وسرجين آخرين محليين بالذهب والباقي من القطيفة الفاخرة اللبيضاء مع كمية كبيرة من النقود الفضية وطلب من السير أنطوني شيرلي أن يقبل هذا المبلغ البسيط لنفقات شهر واحد ، ٤٠٠٠ \* .

على هذا النحو اصطحب الشاه عباس السير أنطوني شيرلي ومرافقيه الى اصفهان ثم صحبه عند وصولهم الى اصفهان حتى المنزل الذي اختير لاقامته في تلك المدينة ، وفي اليوم التالي استبدل ملابسه وذهب الى منزل السير أنطوني وقدم اليه العزاء في أحد خدمه الايرانيين والذي كان قد قتل خطأ بيده أثناء معاقبة جماعة من الجنود \* .

كان الشاه عباس قد منح أنطوني شيرلي أمير « ميرزا » وكان يخاطبه بلقب ميرزا أنطونيو وقد استطاع ميرزا أنطونيو خلال السنة أشهر التي أقامها في اصفهان - كما سبق أن ذكرنا - أن يجعل الشاه يعتقد في صدقه وإخلاصه كما استطاع أن يعلم مجموعة من الجنود الايرانيين فنون الحرب الحديثة كما كانت آنذاك في الدول الأوروبية باستخدام الاسلحة النارية (١)

---

(١) كتب صامويل بيرشاس Samuel Purchas للقس الانجليزى الذى سافر للشرق فيما بين ١٦١٣ ، ١٦٢٦ م ( ١٠٢٢ - ١٠٣٧ هـ ) فى كتاب رحلته يقول : « الجولة العثمانية التى كانت باعث رعب وفزع للعالم المسيحى أصبحت الآن فى رعب وخوف على مستقبلها من رجل انجليزى ( السير أنطوني شيرلي ) فقد تعلم الايرانيون فنون الحرب من شيرلي ، وبينما لم يكن لديهم علم عن استخدام المدافع أصبح لديهم الآن خمسمائة عربة مدفوع برونزى وستون ألف بندقية ، ولهذا فان الايرانيين كانوا حتى الآن مبعث قلق العثمانيين وخوفهم وهم بالسيوف ألغوا الرعب والفزع فى قلوبهم الآن بقذائف المدافع \* . . .

وذلك بمساعدة الله وردى خان قائد جيش ايران وكان مسيحيا جديدا  
الاسلام .

وبعد هذا - وكما سبق أن ذكرنا في الفصل الخاص بعلاقة الشاه  
عباس بالبرتغال واسبانيا - فقد اقترح على الشاه عباس أن يرسل سفيرا  
الى بلاط ملوك أوروبا ليتحد معهم ضد الدولة العثمانية . وقد اختار الشاه  
عباس أحد قواده وهو حسين على بك بيات كسفير وتطوع السير أنطونى  
لمرافقته الى أوروبا وترك أخاه مع بعض المراقبين فى ايران .

وقد سافر أنطونى شيرلى مع حسين على بيات الى أوروبا عن طريق  
بحر الخزر وروسيا . ولم يعد الى ايران بعد هذا ، وقد فصلنا أخبار  
سفارته الى المانيا وأيطاليا وأسبانيا فى الفصل السابق .

## سيرة روبرت شيرلى

سبق أن أشرنا الى أن السير أنطونى شيرلى عندما كلف بالسفارة الى أوروبا من قبل الشاه عباس ترك أخاه روبرت شيرلى فى ايران ، وكان روبرت شيرلى آنذاك فى الثامنة عشرة من عمره شابا مؤدبا محبا للعلم عفيفا الى جانب الشجاعة وحسن السيرة والجمال والقامة الفارعة ، ولم يكن يطلق لحيته أبدا • كما كان قد أتم دراسته فى دار الفنون باكسفورد ، كما كان يدين بالمذهب الكاثوليكي على عكس مواطنيه ، وقد اختاره الشاه عباس تابعا خاصا له ومنحه لقب بك وجعل له ألفى أشرفى كراتب سنوى ، وفى بداية خدمته اختاره لقيادة مجموعة من الجيش الايرانى ، وحين دخل فى الحرب مع الحكومة العثمانية أرسله لميدان القتال •



وكان روبرت شيرلى يرتدى الملابس الايرانية دائما ويضع على رأسه عمامة القزلباشية ولأنه كان مسيحيا فقد كان يضع عليها صليبا صغيرا كما كان قد ثقب إحدى أذنيه وعلق فيها حلقتا به ماسة كبيرة تنلأ •



أحد القزلباشية صورة محفورة على النحاس سنة ١٥٨١ ( ٩٨٩ هـ )



وقد كذب أخوه السير أنطونى عن سبب بقاءه في ايران فقال : « قبل أن أرد على عطف الشاه وتفضله على ، فإن أخى الذى كان فكره ينتجه للاعمال العظيمة يريد الاتامة في ايران . ولم يكن أخى من الذين اذا وصلوا الى الشهره والمنصب انصرفوا عن كسب العلم واختار الكسل والهوى واللعب ، بل كان منذ طفولته يجتهد في كسب العلم والمعرفة والكمال ، ويسعى الى اظهار تفوقه في معدنه الطيب ويقوى طبيعته البشرية في مواجهة الاحداث والمصاعب . . . ولم يكن يخشى أبدا من أى خطر قد يواجهه ، » .

ولما كان للشاه عباس يريد أن يبقى أخى في ايران اثناء غيابه عنها ، فقد قال اننا نحن الاثنين تجمع بيننا الوحدة بحيث لا يوجد أى فرق في آرائنا وأفكارنا ونحن متشابهان في علاقتنا بصاحب الجلالة وميلنا لخدمته . ومع أن وعود البذل والعطاء من المخدمين لخدمته مما يبعث على السرور وتجعل اطاعة الاوامر الملكية لازمة بل واجبة ، ولكننا بسبب ايماننا واعتقادنا في آراء وعقائد الشاه فان كل ما يراه ويطلبه منا نعهده خيرا للدولة وصالحا لانفسنا ونعد طاعته واجبة علينا . . . والآن وقد أمرتم جلالتم أن يبقى أحدنا في ايران فاننى أطيع هذا الامر بكل الترحيب ، بل ان هذا الامر يمكن أن يعد باعنا على زيادة محبة الشاه لنا .

ويبدو أن السبب الاصلى لرغبة روبرت شيرلى في البقاء في ايران كان هيامه الشديد باحدى الفتيات في الحرم الملكى . وكانت بنت أحد الامراء الشركس الذى أسلم حوالى عام ١٠٠٢ هـ وتسمى باسماعيل خان وتزوج للشاه عباس من أخته . فلما دخلت هذه السيدة الى الحرم الملكى أخذت معها ابنة أخيها وكان اسمها « سامبسونيا(١) » ، واهتمت بتربيتها فلمّا بلغت سامبسونيا سن الرشد أصبحت فتاة جميلة فاتنة وتفوقت على اقربائها في ركوب الخيل والتطريز والرسم فجمعت الفن الى الجمال وأصبحت قبله العشاق ومطعم الامراء ونظرا لان روبرت شيرلى كان نديما للشاه عباس يصاحبه في حضره وسفره ، فقد وقع في حب هذه الفتاة وعاش سنوات يطعم في وصالها حتى تزوجها في النهاية باذن الشاه عباس .

Sampsonia

بناء على ماسبق فان روبرت شيرلى بقى فى ايران مع خمسة من المرافقين الانجليز بعد سفر شقيقه السير أنطونى الى أوروبا ، ولما كان شابا ذا ارادة حسن السيرة جميل الطلعة فقد ازدادت محبة الشاه عباس له ، وكانت أول مهمة كلفه بها الشاه عباس هى تعيينه قائدا لجماعة من القزلباشية وارساله لحرب العثمانيين . وقد بذل روبرت فى هذه المهمة كل الاخلاص والشجاعة وجرح ثلاث مرات فى المعارك التى خاضها الشاه عباس مع الاتراك العثمانيين فى عامى ١٠١٣ ، ١٠١٤ هـ ونقل هنا خلاصة ماجاء فى نسخة خطية من كتاب « الاخوان شيرلى » عن تفصيل اشتراكه فى الحروب الايرانية العثمانية :

« بعد سفر أنطونى شيرلى اختيار أخوه روبرت لمنصب قيادى ، ونال فى الحرب الايرانية العثمانية رتبا عاية . وقد أبدى من الشجاعة والاقدام ماجعل الايرانيين يمنحونه تاج القزلباشية تذكارا لانتصاراته . فيوم واجه الاتراك أخذ حربه فى يده وهجم على الاتراك هجوما جعلهم يدهشون من شجاعته ويلوذون بالفرار وقد اقتدى به جنوده وأخذوا فى قتل أعدائهم بسيوفهم ، وقد أبقى روبرت شيرلى وحده على حياة ثلاثين من قادة الجيش العثمانى وحملهم الى حضره الشاه ثم كتب ( رسالة ) الى المسئولين العثمانيين قائلا « أن أطلتتم سراح أخى السير توماس شيرلى فاننى سأطلق فى مقابلة سراح أسراكم الثلاثين ولكن الاتراك لم يقبلوا طلبه وردوا عليه ردا جافا . ومع أن روبرت شيرلى كان يعلم مدى تعب جنوده وأن للحرب الاخيره قد أنهكتهم الا أنه لم يخف أو يتردد وأمر جنوده فقطعوا رؤس أسراه الثلاثين الذين كانوا جميعا من قادة الجيش العثمانى وأمرهم فجعلوها على أسنة الرماح وطافوا بها فى الاسواق ، ثم أقسم أما أن يفنى عدوه أو يكون جثة فى ميدان القتال ، »

ثم أخذ فى ترتيب الجيش ، وحينما شعر أن الخوف يستولى على جنده لكثرة عدد جيش أعدائه توجه اليهم قائلا : « أيها الجنود الشجعان الايرانيين أننى أعرف أنه لا حاجة للخطب الطويلة لاثارة حميتكم وتشجيعكم فمثل هذا

مثل من يسكب الزيت على النار أو يهزم الفرس الجامحة المتحفزة فان ثباتكم وشجاعتكم في المعارك السابقة خاصة في الحرب الاخيرة قد اثبتت لى أن عدد الأعداء حتى ولو كان أضعاف عددهم الآن فان النصر سيكون لنا وحميتى تقتضى أن تقدمكم في هجوم اليوم وسأقاتل حتى آخر نفس وأجاهد طالما لم يحل الموت بينى وبين أداء الواجب فاجعلونى قدوة لكم في التضحية واتبعونى في جراءة واطمئنوا أن النصر لنا ، \*

ثم أسدل نقاب خوذته وهمز فرسه وهجم على العدو بعنفٍ وغضبٍ وأسرع الجنود الإيرانيون خلفه وكانوا في عجب من شجاعته اذ كان يهاجم في كل اتجاه وصوب كالاسد الجسور فيقتل كل من يراه من الأعداء ، فخر الأتراك خوفا من شجاعته وجراته وبعضهم ترك سلاحه وسلم ، وفي هذه الحملة أسر ستين من قادة الجيش العثماني أيضا ، فكتب رسالة أخرى لقائد الجيش التركي لانقاذ أخيه لديهم في مقابلهم \*

وكانت شجاعة روبرت شيرلى واخلاصه سببا في أن منحه الشاه عباس تاج القزلباشية - كما سبق أن ذكرنا - كما سمح له أن يرتدى الملابس الإيرانية ، ثم أذن له فيما بعد أن يتزوج من سامبسونيا - بنت أحد كبار الشركس واسمه اسماعيل خان - وفي أحد الأوامر التي صدرت باسم وختم الشاه أشير الى روبرت على أنه « قد أدى مايكتفيه فخرا حتى آخر العمر » \*

وكتب بيترو دلا فاليه السائح الايطالى - الذى جاء الى ايران سنة ١٠٢٥ هـ وبقي فيها خمس سنوات - يقول في هذا الصدد : « كان الشاه عباس أحيانا يعطى درجة القزلباشية الى الأجانب الذين كان ينظر إليهم بعين العطف والرعاية ، وكان يشرفهم باعطاء تاج القزلباشية ، ولكن هذه المكرمة كانت نادرة الوقوع ، وقد علمت من أحد الثقات الذى قضى في ايران خمسة عشر عاما أنه لم يشرف أحدا بهذا الفخر الا لواحد فقط وليس لهذا الامر مراسم أو تشريفات خاصة سوى أن يضع الشاه التاج على رأسه مع بعض كلمات المحبة والعطف » \*

ولم يحظ بتاج القزلباشية من الأوربيين الا روبرت شيرلى الانجليزى الذى ارسل منذ بضع سنوات في سفارة الى ايطاليا مبعوثا من قبل الشاه

وذهب الى بلاط البابا وهو الآن يقوم بهذه المهمة لدى باقى ملوك أوروبا ، وقد سمعت أن هذا الانجليزى هو الذى طلب تاج القزلباشة من الشاه وأصر على هذا كثيرا ويقولون أن روبرت شيرلى وضع على طرف عمامته الحمراء صليباً صغيراً • كى لا يعرض نفسه لسبب الاوربيين ولومهم •

بعد أن ظل روبرت شيرلى فى ايران مدة عشر سنوات صمم على العودة الى وطنه لان أخاه أنطونى لم يعد لايران ، ولكن هذا الامر كان غير ممكن دون موافقة الشاه عباس وأذنه ، كما أن حبه لسامبسونيا ابنة الشركسى المسلم كان يؤرق مضجعه ، ولهذا أوعز الى أحد أقاربه فى انجلترا أن يبعث له برسالة يقول له فيها أن أخاه أنطونى قد عين قائداً لاحدى الفرق الاسبانية من قبل الملك فيليب الثالث ، وعندما وصلت هذه الرسالة الى أصفهان طلب من القسس الكرمليين هناك أن يصدقوا على هذه الرسالة ، ثم عرضها على الشاه عباس ، وقال له طالما كان أخى قد وصل الى هذا المنصب الرفيع والى صداقة ملوك أوروبا فان على الشاه عباس أن يرسل سفيراً جديداً الى أوروبا حتى يثير ملوك أوروبا ضد العثمانيين بمساعدة السير أنطونى شيرلى ثم تطوع لكى يقوم بهذه المهمة بنفسه •

وقد وافق الشاه عباس على اقتراحه نظراً لما كان قد قدمه من خدمات فى الحروب الايرانية العثمانية ، كما سمح له بالزواج من حبيبته سامبسونيا (١) وأخذها معه الى أوروبا •

وقد تم زواج روبرت شيرلى وسامبسونيا يوم ١٥ شوال سنة ١٠١٦ هـ (فبراير ١٦٠٨ م) وغيرت الفتاة الشركسية الحسنة التى كانت قد عمدت على يد راهبات جماعة الكرمليين المسيحية اسمها الى تريزا تيمنا باسم القديسة تريزا إحدى مصلحات وراهبات هذه الجماعة •

وقد توجه روبرت شيرلى - كما ذكرنا فى الفصل السابق - فى يوم ٢٤ شوال ١٠١٦ هـ - أى بعد تسعة أيام من زفافه - مع بعض الايرانيين فى سفارة الى أوروبا عن طريق بحر الخزر وروسيا ، وكان هذا الانجليزى أثناء اقامته فى ايران قد استطاع أن يكتسب صداقة الشاه عباس وجماعة من

Sampsonia

(١)

أعيان وزعماء ايران • الا أنه كان يوجد كثير من الاعداء بين رجال الدين والمتعصبين الايرانيين ، ولهذا السبب هاجمت جماعة من أعدائه قافلته أثناء سفره وبعد أن استولت على أسلحة مرافقيه ربطوه الى شجرة ، وكانوا على وشك اعطائه السم ولكن في هذه الاثناء سقط سيف أحد قطاع الطريق ، واستطاعت تريزا زوجة روبرت شيرلي أن تلتقط السيف بمهارة وهاجمت اللصوص بشجاعة وقتلت أحدهم وأنقذت زوجها من القيد وواصلت للقافلة السير •

## أول سفارة لروبرت شيرلى في إنجلترا

بعد سفر طويل لروبرت شيرلى في روسيا وبولندا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا ، والقيام بمهمته في بلاط البابا وملوك الدول المذكورة ، صمم على الذهاب من إسبانيا إلى إنجلترا وتقديم مقترحاته - فيما يتعلق بتجارة إيران وإنجلترا - إلى ملكها جيمس الاول .

يتضح من الرسالة التي كتبها كانينجتون - سفير إنجلترا في إسبانيا بتاريخ ١٨ شوال ١٠١٩ هـ ( ٥ يناير ١٦١١ م ) إلى اللورد سالزبوري وزير خارجية الملك جيمس الاول ، أن روبرت شيرلى كان غير مرتاح من سلوك ملك إنجلترا تجاهه . فلن يستقبله الملك بالتشريفات والمراسم التي يستقبل بها السفراء الاجانب . ومن هنا فانه سيصبت مذنبا ومسئولا أمام شاه إيران ، كما أن روبرت شيرلى اعتقد ان بلاط إسبانيا يعارض ذهابه إلى إنجلترا ، وكان يريد أن يعرف ماذا سيفعل ملك إنجلترا للحصول له على اذن بمغادرة إسبانيا ، ولهذا فقد اطلع السفير الانجليزي على موجز للموضوعات التي كان يريد ابلاغها باسم الشاه عباس إلى ملك إنجلترا . وبناء على مقترحاته فان الشاه عباس كان مستعدا لعقد اتفاقية صداقة مع إنجلترا ، ويمنح رعاياها تسهيلات تجارية في إيران ويسمح للتجار الانجليز بتأسيس مراكز تجارية في ميناءين من موانئ جنوب إيران . ويكون لإنجلترا في هذين الميناءين مندوبون سياسيون ، ويصبح المسئولون في شركة الهند الشرقية الانجليزية احرارا في المسائل التجارية في هذين الميناءين حرية تامة . كما كان الشاه عباس يريد شراء بعض السفن من إنجلترا وكان يرغب في أن تحمل أجزاء هذه السفن على السفن الانجليزية إلى موانئ جنوب إيران على الخليج حيث يجرى تجميعها وتكميلها ويدفع ثمنا مجزيا لها .

كما أن شاه إيران كان على استعداد لان يصدر الحرير الإيراني على السفن الانجليزية فقط وبواسطة التجار الانجليز عن طريق الخليج الفارسي وجنوب أفريقيا إلى إنجلترا وباقى دول أوروبا بشروط عادلة بعد أن كان أغلبه يصدر إلى أوروبا عن طريق الاراضى العثمانية ، وأن يستورد بدلا منه بضائع انجليزية عن نفس الطريق إلى موانئ الخليج حيث تحمل بعد ذلك

الى داخل ايران وبهذا يصل الحرير وباقي البضائع الايرانية والشرقية الى أوروبا بثمن أقل • ولكي يحرم التجار وعمال الدول العثمانية من المكاسب الوفيرة التي كانوا يحصلون عليها من هذا الطريق • كما أن الشاه عباس كان أيضا على استعداد لعقد معاهدة عسكرية مع ملك إنجلترا وأن يمدّه في أى وقت يشاء بما يتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين ألف جندي • ويبدو أن هدف الشاه عباس من وراء الاقتراح الاخير هو تهيئة الجو لاتحاد إنجلترا وايران ضد البرتغاليين والاسبان في سواحل الخليج وخاصة في جزيرة هرمز •

ويتضح من هذا أن الهدف الرئيسى من وراء ذهاب شيرلى الى إنجلترا هو عقد معاهدة تجارية مع الملك جيمس الاول بناء على أوامر الشاه عباس لكي ينشئ طريقا جديدا لتصدير الحرير ومختلف البضائع الايرانية الى أوروبا حتى لا يضطر التجار الايرانيين الى تصدير بضائعهم عن طريق الاراضى العثمانية ، وبهذا يحرم السلطان العثمانى من الجمارك والرسوم التي كان يحصلها على البضائع الايرانية •

التجارة

بقى روبرت شيرلى معطلا في أسبانيا مدة طويلة بسبب المشاكل والموانع المختلفة التي واجهته - كما سبق أن أشرنا - وفي ربيع الثانى سنة ١٠٢٠ هـ ( يونيو ١٦١١ م ) توجه بالسفينة الى إنجلترا • وبعد رحلة استغرقت شهرين مع زوجته تريزا أتيج له أن يرى بيت آبائه في إنجلترا، وفي يوم ٢٣ رجب من نفس العام ( أول أكتوبر ١٦١١ م ) استقبله ملك إنجلترا في قصر « هامبتون كورت » واطلع على خطابات الاعتماد وقدم روبرت شيرلى اليه رسائل الشاه عباس ، وقد جاء في إحدى رسائل الشاه عباس المؤرخة في ١٩ رمضان ١٠١٩ هـ بعد المجاملات الملكية « أنه لما كان بعض كبار حكام أوروبا قد أرسلوا الينا بعض القسوس ورجال الدين لعقد معاهدات واقامة علاقات صداقة أخوية معنا ، لهذا رأينا أن نرسل روبرت شيرلى الانجليزى الذى أمضى سنوات في خدمتنا ، كما أنه رجل لائق وعزيز ومورد اعتماد وثقة لدينا كسفير الى الملوك المسيحيين بدلا من إرسال أحد رعايانا • وبما أنه منا ومنكم أيضا فقد أرسلناه اليكم والى جميع الملوك المسيحيين » •

وأشار بعد هذا الى أن مبعوثى ملوك أوروبا كانوا قد اقترحوا عليه أن الامبراطورية العثمانية يجب أن تهاجم من الجانبين حتى يقضى عليها تماما ، وأنه قد وافق على هذا الاقتراح وكتب اليهم أن يهاجموا الاراضى العثمانية بأسرع ما يمكن من جهة الشام وطلب أو أية ناحية أخرى يرونها مناسبة \* حتى يقوم هو بدوره بالهجوم عليها من ناحية ديار بكر والولايات الغربية الايرانية كما كان قد فعل هذا عدة مرات في ذلك الوقت \*

أما فيما يتعلق بروبرت شيرلى فقد كتب الشاه عباس الى ملك انجلترا أن روبرت قد خدمة عدة سنوات في غاية الاخلاص والصدق وأنه موضع ثقته ورضاه ، وهو يتوقع الا يتوانى الملك عن رعايته وبذل المعونة له كما طلب أيضا أن تتبادل الدولتان السفراء المقيمين حتى تقف الدولتان على رغباتها وأحوالها عن طريقهما \*

وبعد اثنى عشر يوما كلف أربعة من التجار الانجليز المتعاونين مع شركة الهند الشرقية بالنظر في مقترحات شيرلى وبحثها ، وقد كتب أحدهم في الرسالة التى بعث بها الى السير ددلى كارلتون(١) - أحد رجال البلاط الانجليزى - يعرض وجهة نظره فقال : « أن مقترحات روبرت شيرلى تبدو غير قابلة للتنفيذ نظرا لطول الطريق كما أن العلاقات التجارية الايرانية الانجليزية تافهة ، كما أن قبول مقترحاته ستؤدى الى قطع العلاقات التجارية الانجليزية مع العثمانيين \*

وقد عارض التجار الانجليز الذين كانت لهم علاقات تجارية مع العثمانيين مقترحات شيرلى وحالوا بينه وبين تحقيق مساعيه ، ومع كل هذا فان جيمس الاول أبدى استعداداه لعقد معاهدات صداقة وتجارة مع ايران يلتزم بها ويلتزم بها من يخلفه ، كما أنعم على روبرت شيرلى برتبة فارس فى البلاط ، ولهذا أصبح لقبه منذ ذلك الحين السير روبرت شيرلى \*

بعد اقامة السير روبرت شيرلى فى انجلترا لمدة عام ونصف غادرها متوجها لايران وقد أمر جيمس الاول احدى السفن الانجليزية كان اسم مالكا هنرى ثاين(٢) وقائدها الربان نيوبورت بحمله هو وزوجته ومرافقيه

---

(١) Sir Dudley Carleton (٢) Henry Thynue



عن طريق أفريقيا الى الهند وقد أبدى مالك السفينة استعداداه لنقل السير  
الاييراني ومرافقيه الذين لم يكن عددهم يتجاوز ٢٥ شخصا الى الخليج  
والبقاء في ايران ثمانية أشهر حتى يعد سيرلى في هذه المدة البضائع التي  
تكفي حمولة هذه السفينة وهي نحو مائة طن من الحرير الخام والقطن  
والمسوجات المختلفة والسجاد والنيلة ويعفيها من جميع الجمارك والرسوم .  
وبناء على الاتفاق الذى عقد بين هنرى ثاين وروبرت سيرلى ، فان ثلثي  
أرباح هذه الصفقة يكون للمالك السفينة وثلثه لروبرت سيرلى ، كما أن  
السفير الايراني كان قد تعهد بأن يحصل من الشاه عباس على منحة  
للعاملين على السفينة .

وقد منح جيمس الاول مبلغ خمسمائة جنيه الى سيرلى لنفقات بقية  
الطريق من الهند الى ايران ، وأعطاه رسالة للشاه عباس . وقد وصل  
السفير الايراني وزوجته (١) ومرافقوه الى ميناء دوفر في ذى القعدة سنة  
١٠٢١ ( يناير ١٦١٣ م ) وركب الوفد السفينة متوجهين الى ايران ،  
ووصل في أواخر سنة ١٠٢٣ هـ الى ساحل ولاية السند في الهند وذهب الى  
مدينة تهته وقد حرص البرتغاليون الذين كانوا غير راضين عن سفارته ،  
جماعة من الناس هناك فضربوا منزله بالمدافع وأزالوه من مكانه ، ولكن  
سيرلى ورفاقته صمدوا للهجوم الذى قتل فيه اثنان من مرافقيه . ولما كان  
سيرلى مكلفا من الشاه عباس بالذهاب الى بلاط نور الدين محمد جهانجير  
الملك الجوركانى لهذا فقد غادر تهته وتوجه الى أجره ، وبعد الانتهاء من  
مهمته عاد الى ايران حاملا هدايا الملك جهانجير التى كان من بينها زوج من  
الافياتل . فوصل الى اصفهان في شهر جمادى الاول سنة ١٠٢٤ هـ .

---

(١) كانت تريزا قد أنجبت ولدا أثناء اقامتها في انجلترا أسموه  
هنرى ، وقد تركاه هناك عند عودتهما الى ايران .

## رسالة ملك انجلترا الى الشاه عباس

« بعد واجب الدعاء ، فانه ربما اتضح لجلالتكم أننا تعجبنا من أن ملكا عظيما مثلكم يرسل الينا رسولا هو في الاصل تابع لنا كما أنه خادم لكم . . . ولما كان البك الاعظم ( شيرلى ) قد جاء سفيرا من قبلكم الى عرش ملوك أوروبا والينا ، فقد استبقيناها لدينا بعض الوقت . ولما كان المذكور من أبناء هذه البلاد ومن أبناء العظماء ، فقد قدمنا له كل الاحترام والاعزاز وذلك لما بيننا وبينكم من وحدة وصداقة ، بالنسبة للخدمات التي قدمها جلالتكم للبك فاننا سوف نردها أضعافا مضاعفة وهناك موضوعات لم نستطع ذكرها في هذا الرسالة سوف يعرضها عليكم شفاهنا ونحن نتوقع الاتزول محبتنا من ذاكرتكم كما نبذل الروح في سبيل صداقتكم ونحن نرجو حين يذهب أتباعنا الى بلادكم الاتحرموهم من عزتكم وحمايتكم والله يعلم أن البك ( شيرلى ) قد قام بسفارته لدى ملوك أوروبا على النحو لايتسع المجال في هذه الرسالة لذكره ، وأنا ادعو لكم ليل نهار بالنصر والفتح دائما وأن يزول عدوكم ويفنى وينهزم الروم ( الاتراك ) الشوم ونرجو أن ينفذ كل أمر قد تطلبونه منا ولانطيل عليكم ولتدم أيام المحبة . (١)»

عندما عاد السير روبرت شيرلى الى أصفهان بعد ما يقرب من ثماني سنوات قضاه بعيدا عن ايران استقبله الشاه عباس بكثير من اللطف والمحبة ، وهياً له في الليلة الاولى لوصوله مكانا فى المخدع الملكى وكان شيرلى بعد هذه الرحلة يريد البقاء فى اصفهان ولايغادر ايران ولكن الشاه بعد فترة قصيرة طلب منه العودة الى أوروبا فى سفارة جديدة ، وعلى الرغم من الامتناع عن قبول هذا الامر متذمرا بعدم استعداده وزوجته لهذا السفر الطويل مرة ثانية الا أن شاه أصر على أمره .

أشرنا فيما سبق الى أن الشاه عباس كان فى ذلك الوقت قد استولى على جزر البحرين وكيش وميناء جمبرون من البرتغاليين ، وكان يفكر فى الاستيلاء على هرمز أيضا من ناحية أخرى كان فيليب الثالث ملك أسبانيا

(١) مجموعة رسائل الشاه عباس بالمكتبة الوطنية بنابولي .

قد طلب من الشاه عباس أن يخض بصره عما كان قد استولى عليه في الخليج وسواحل ايران ، فأراد الشاه عباس أن يرسل روبرت شيرلى الى أوربا آملا في أن يقوم فيليب الثالث بمحاربة الدولة العثمانية وفي اقامة اتحاد مع البابا والملوك المسيحيين .

رضخ روبرت شيرلى في النهاية لقبول هذه السفارة ، وحينما وصل هذا الخبر للشاه عباس بلغ به الفرح والسرور أن أقسم على رأسه أن أى شىء يطلبه منه شيرلى سيلبيه له في الحال ، فرجاه روبرت شيرلى أن يرسل معه أحد القسس الكرمليين اسمه رديمثو دلا كروز كان يعيش مع القسس جان تاديه في أصفهان ، وقد وافق الشاه عباس على طلبه وأصدر أمرا خاصا في هذا الشأن ننقله عينا هنا . وقد توجه روبرت شيرلى مرة ثانية الى أوربا آملا في أن يقوم فيليب الثالث بمحاربة الدولة العثمانية وفي اقامة فيما بعد .

### أمر الشاه عباس

بخصوص إرسال القسس رديمثو دلا كروز  
مرافقا للسير روبرت شيرلى الى أوربا  
الملك لله

صدر الامر الهمايونى

لما كان الابوان الكيران عميدا الزهاد(١) المسيحية الاب جـون والأب رديمثو قد جاءا من بلاد الفرنج لخدمتنا وأقاما في هذه الديار وفي هذا الوقت الذى أرسلنا فيه صاحب العزة البك الاعظم الدون روبرت شيرلى كسفير ورسول الى بلاد الفرنج وخدمة ملوك الفرنج العظام وقررنا أن الاب العظيم جوان ( تاديه ) يرسل رفيقه الاب رديمثو بدواعى الثقة مع البك المذكور الى حضرة ملوك أوربا ويبلغنا رسائل من قبلنا وقد كان هناك قبل هذا في خدمتنا وقام المشار اليه بإرسال الاب ديمثو مع البك المذكور حسب أمرنا وأبقينا هنا الأب جوان فيجب على الاب المذكور حينما يصل الى أى مكان وأية ولاية من مملكتنا أن يقدم له الحسكام والمسئولون عن الأمن وجميع الناس كل الترحيب وكمال الاحترام ، وألا يمنعه من أى مكان وقد أعلموا حتى يتجنبوا التقصير . تحريرا في شهر رمضان المبارك ١٠٢٤ هـ

(١) يقصد الرهبان .

## بداية العلاقات السياسية والتجارية

### الايروانية مع شركة الهند الشرقية

#### بداية تأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية :

بعد أن وصل البرتغاليون الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح وأقاموا هناك مراكز تجارية لهم ، صمم التجار الانجليز على الوصول الى الهند حتى لا يجرموا من أرباح التجارة مع هذه البلاد التي تدر الذهب .

وقد حاول البحارة الانجليز في البداية الوصول الى الهند عن طريق المر الشمالي الغربي - أى طريق شمال أمريكا الشمالية - فلما لم يصلوا عن طريقه الى هدفهم حاولوا الوصول عن طريق روسيا ، وكان من بين هذه المحاولات رحلات أنطونى جينكينسين الذى تحدثنا عنه قبل هذا ، والتي كانت تهدف لنفس الغرض .

كان أول من سافر الى الهند لايجاد علاقات تجارية شاب اسمه توماس ستيفينسن (١) من طلبة كلية اكسفورد سافر سنة ٩٨٧ هـ (١٥٧٩م) الى ميناء جوا وأصبح رئيس مدرسة اليسوعيين (٢) هناك ، وأرسل هذا الشاب رسالة الى أبيه كان انتشارها بين التجار الانجليز سببا في ايجاد رغبة شديدة لاقامة تجارية مباشرة مع الهند .

وفي سنة ٩٩٥ هـ ( ١٥٨٧ م ) وقعت احدى السفن البرتغالية واسمها سان فيليب اسيرة في يد البحار الانجليزى الشهير فرانسيس دريك ، وقد استنطاق التجار الانجليز الحصول على معلومات أكثر وأدق عن التجارة الهندية وذلك من الوثائق والمستندات التي وقعت في ايديهم من السفينة فزادت هذه المعلومات رغبتهم في اقامة الروابط للتجارية المباشرة مع الهند .

Thomas

(١)

(٢) اليسوعيين أو الجزويت Les Jesuites أو جمعية عيسى Campagnie de Tesus اسمها أحد القديسين المسيحيين اسمه سان ايناس دي لويولا San Ignace de Loyola سنة ٩٤٢ هـ للتبشير للمسيحية ، ومن بين المبادئ الدينية لهذه الجماعة الطاعة التامة للبابا .

وبعد ذلك أيضا وعندما حطم الاسطول الانجليزي اسطول فيليب الثاني ملك اسبانيا ، الذي لايهزم ، سنة ١٥٨٨ م اطمأن الانجليز الى قوتهم البحرية ، وأدركوا أن مقاومة القوات البحرية الاسبانية البرتغالية أمر غير محال ، ولهذا رأى تجار لندن أن يقللوا من نفوذ البرتغاليين وقدرتهم في المحيط الهندي حتى المقدور ويحصلوا على نصيب من تجارة الهند المربحة .

وقبل المعركة البحرية بين الانجليز والاسبان بخمس سنوات - أى في سنة ٩٩١ هـ - ( ١٥٨٣ م ) كان أربعة من السياح الانجليز هم رالف فيتش وليام ديدز وجان نيوبرى وجيمس ستورى (١) قد كلفوا بدراسة الاوضاع الاقتصادية والتجارية لدول المشرق ، وقد حملوا معهم رسائل من الملكة اليزابيث الى ملوك الهند وامبراطور الصين .

وقد سافر هؤلاء السياح من طرابلس الى بغداد والبصرة والخليج ثم جزيرة هرمز ، وهناك اعتقلهم البرتغاليون بتهمة التجسس وأرسلوهم الى ميناء جوا (٢) - مركزهم التجارى في الهند - والقوم في السجن ، ولكنهم تمكنوا من الهرب سنة ٩٩٣ هـ ( ١٥٨٥ م ) .

وقد تمكن رالف فيتش وحده من العودة الى انجلترا بعد جولة في جزء كبير من الهند وبورما والملايو وسيام وأخذ في كتابة رحلته التى تضمنت موضوعات مثيرة عن ثراء وقدره الشرق الدائمة ، مما جعل التجار الانجليز يصممون على الاستفادة من هذه الثروة وأخراجها من احتكار البرتغاليين .

وفي ٢٤ جمادى الثانى ١٠٠٩ هـ ( ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ م ) أسست شركة الهند الشرقية الانجليزية تحت اسم « شركة تجار لندن السنين يتاجرون مع الهند الشرقية ، بأمر من الملكة اليزابيث وبدأت هذه الشركة مزاولة أعمالها فأرسلت بعض السفن التجارية الى الشرق . ففى المدة من ١٠٠٩ الى ١٠٢٠ هـ ( ١٦٠٠ - ١٦١٢ م ) ذهبت اثنتا عشر سفينة تجارية الى الهند وافتتحت تجارة انجلترا مع تلك البلاد .

(١) James Story, John hewbury - William Deedes - Ralph Fitch

(٢) كتب فيتش يقول « ٠٠٠ بعد وصولنا الى جزيرة هرموز القوا القبض علينا وصادر حاكم الجزيرة وكان اسمه ماتيباس دى البوكيرك كل مولنا ونقلنا يوم ١١ اكتوبر سنة ١٥٨٣ بالسفينة الى نائب الملك في مستعمرة جوا بالهند .

في سنة ١٠١٧ هـ ( ١٦٠٨ م ) وصلت أول سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية بقيادة ويليام هوكينز(١) الى ميناء سورت على الساحل الغربي للهند ، وكان هذا الربان يحمل رساله توصية من جيمس الاول ملك إنجلترا الى نور الدين محمد جهانجيز ملك الهند ، وقد وفق الى حد ما في مهمته . وبعد أربع سنوات وصلت ثلاث سفن انجليزية أخرى بقيادة توماس بست(٢) وقد وفق هذا الرجل الى عقد معاهدات تجارية مع المسئولين المحليين في ميناء سورت ، كما تمكن بعد ذلك من تأسيس مركز تجارى في ذلك الميناء

وبعد ثلاث سنوات رأت شركة الهند الشرقية أن يذهب ممثل سياسى من إنجلترا الى بلاط ملك الهند الجوركانى للمحافظة على مصالح الشركة في الهند من المضايقات العلنية التى تثيرها البرتغال في وجه مصالح الشركة وقد وافق جيمس الاول على هذا الموضوع وأرسل أحد الانجليز المحنكين اسمه سير توماس رو(٣) عرف بكثرة اسفاره والمامه بأداب وتقاليد البلاد - كسفير الى بلاط الشاه سليم .

وقد تضمن الامر الصادر من الملك جيمس الاول في ٢٩ ديسمبر سنة ١٦١٤ م التعليمات الآتية بشأن هذه السفارة :

« يكلف السير توماس رو الذى يذهب بناء على أوامرنا الى بلاط المغولى الكبير أمبراطور الهند بأن يحترم حيثيتنا ومقامنا الملكى في كل مكان وزمان لاننا أولياء نعمته ، كما أننا ندين بدين المسيح وعليه أن يعمل على تقدم شأن شركة تجارة الهند والا يحيد عن أوامرها لاننا نرسله أساسا لهذا الغرض . وإذا سألته المغولى الكبير لماذا لا يترك البرتغاليون جوا وماحولها الرعايانا ويعادونهم دائما ويُعارضونهم فعليه أن يجيب بأن البرتغاليين يريدون اغتصاب تجارة الهند واحتكارها ، ومع أن إنجلترا ليست عاجزة عن تحطيم قواتهم ، الا أن صاحب الجلالة ملك إنجلترا لا يريد للجوء الى الحرب أو وسائل القوة والعنف » .

على هذا النحو قامت شركة الهند الشرقية الانجليزية على أساس محكم قوى وأدى هذا الى تقدم عظيم في النواحي السياسية والاجتماعية

---

(١) William Hawkins  
(٢) Thomas Best  
(٣) Sirthomas Roe

في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في انجلترا كما يتضح من تاريخها . أما شرح الاجراءات التي قامت بها شركة الهند الشرقية وبيان مدارج رقيها في الهند فانه يخرج عن موضوع هذا الكتاب ، ولهذا فاننا نتجاوزها الى الجزء الذي يرتبط بالعلاقات السياسية والتجارية الايرانية ارتباطا مباشرا .

بعد أن ازدهرت شركة الهند الشرقية في الهند ، راجت فيها البضائع الانجليزية خاصة الجوخ فهذا ارسل المسؤولية عن الشركة مقادير وامره من البضائع الانجليزية الى الهند مما أدى الى زيادة العرض على الطلب فظلت في المخازن ، مما اضطر رئيس المركز التجارى الانجليزى وكان اسمه توماس الدورث(١) الى البحث عن أسواق جديدة .

في هذا الوقت وصل الى ميناء سورت شاب انجليزى اسمه ريتشارد ستيل(٢) كان قد سافر الى ايران سنة ١٠٢٣ هـ ( ١٦١٤ م ) للبحث عن أحد المدينين له . ومن هناك ذهب الى سورت وتحدث مع رئيس المركز التجارى عن استعداد ايران للتجارة مع شركة الهند الشرقية وحاجة هذه الدولة الى الجوخ الانجليزى خاصة لبرودة جوها ، وقد ألح على هذا الموضوع حتى أن مندوب الشركة صمم على اقامة علاقات تجارية مع ايران وأرسل ستيل مع شخص انجليزى آخر اسمه جون كروثر(٣) الى عاصمة ايران حتى يحصل له على المعلومات اللازمة عن التجارة الايرانية واذا تمكنا من أخذ أمر من الشاه عباسه يتيح لسفن الشركة حرية الملاحة في الخليج وموانى ايران لتقوم بالتجارة دون موانع .

وفي هذا الوقت كان السير روبرت شيرلى قد عاد من أول سفارة له في أوربا ( جمادى الاولى ١٠٢٤ هـ ) وكان ستيل وكروثر يحملان اليه خطابات توصية من الشركة ، ولكن شيرلى استقبلهما في بداية الامر ببرود ولم يهتم بطلباتهما ، ولكنهما تمكنا في سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦م) من تحقيق أهدافهما وأصدر الشاه عباسه أمرا خاصا طلب فيه من رعاياه في كل مقام ورتبه أن يعاملوا التجار والمسافرين الانجليز معاملة طيبة ومضمون هذا الامر هو :

|                |     |                 |     |
|----------------|-----|-----------------|-----|
| Richard Steele | (٢) | Thomas Aldworth | (١) |
| John Crawther  |     | ;               | (٣) |

« الى كل رعايانا من كل مقام كبيرهم وصغيرهم الى رؤساء السحولة وأعيانها أمرهم جميعا عندما تدخل أية سفينة تابعة للانجليز ميناء جاسك أو أى ميناء آخر فى مملكتنا أن يعاملوا الانجليز بكل حب واحترام ويحملوهم بما معهم من بضائع الى أى مكان يرغبون الذهاب اليه ، وعليهم أن يدافعوا عنهم وعن أموالهم فى مواجهة اعتداءات أى فرنجى آخر كما يجب . هذه ارادتنا كما نأمر كل رعايانا باتباع هذا . كتب فى العاصمة الملكية بتاريخ شهر رمضان ١٠٢٤ هـ ( سبتمبر / أكتوبر ١٦١٦ م ) .

الى جانب هذا كلفت شركة الهند الشرقية مبعوثيها ستيل وكروثر بالسفر الى موانى الخليج ليختاروا أنسبها لرسو السفن وتفريغ وحمل البضائع . وبعد رحلة الى موانى جاسك وجهدرون وريشهر ( بوشهر ) والبحرين وقع اختيارهما على ميناء جاسك الذى يقع على بعد ٩٠ ميلا شرق جزيرة هرمز وكتبوا للشركة أن ميناء جاسك يقع على مقربة من مدخل الخليج، ولهذا فهو غير معرض لتهديد السفن البرتغالية أو هجومها مثل جزر البحرين، كما أنه أنسب لرسو السفن .

بعد أن وصل أمر الشاه عباس لمسئولى شركة الهند الشرقية فى الهند بدأوا فى الاستفادة منه ، وكان السير توماس رو يعتقد أن أمر الشاه عباس لايمكن الاستفادة منه على الوجه المطلوب لخلوه من الاشارة الى اقامة قلاع واستحكامات فى مقابل الاستحكامات البرتغالية القوية فى هرمز ، كما أنه لم يخصص ميناء معين للتجارة الانجليزية . وكان يرغب فى أن ترسله الشركة مندوبا عنها لبلاط الشاه عباس لبحث الاوضاع التجارية والاقتصادية فى ايران .

فى نفس ذلك العام ارسل السير توماس رو رسالة الى شركة الهند الشرقية مضمون جزء منها ما يلى :

« تجارنا لايعرفون مايجب عمله فى التجارة مع ايران ، فميناء جاسك ليس مكانا مناسباً لبيع تجارتنا ، وما أرسل الي هناك لم يتم بيعه للآن الى جانب أن روبرت شيرلى ذهب الى أسبانيا كسفير من قبل الشاه عباس ليعقد اتفاقا مع ملك أسبانيا والبرتغال يتيح لتجار هاتين الدولتين اقامة



مراكز تجارية في ميناء جمبرون ، وكل النقط الساحلية على الخليج واحتكار شراء وتصدير البضائع الإيرانية ، ويرسلوا الى ايران كل عام عدة سفن محملة بالتوابل والكتان الهندي ليبيعهها هناك مقابل ذلك . فاذا وفق شيرلي في مهمته فان نشاط رجالنا وجهودهم ستعرض للفشل ، \*

وفي نفس الوقت كتب رسالة الى الشاه عباس وضمن شكره على الامر الذي أصدره للشركة لمح فيها الى أن عقد اتفاق جديد مع الحكومة الإسبانية والاذن بحرية التجارة لجميع التجار المسيحيين تتعارض مع نصوص ذلك الامر . واذا أعطت الحكومة الإيرانية حق احتكار التجارة لشعب آخر فان الانجليز سيضطرون للجوء لقواتهم الحربية ، ومن الممكن أن يعرض هذا أمن الخليج وهدوؤه للخطر .

ولم يوافق التجار الانجليز في ميناء سورت الهندي على أفكار السير توماس رو وكانوا يريدون اقامة مراكز للتجارة في ايران بأسرع مايمكن . وكان الاسراع في اقامة علاقات تجارية مع الايرانيين واجبا في نظرهم للأسباب التالية :

**أولا :** أن روبرت شيرلي كان بعيدا عن ايران آنذاك ، ولهذا رأوا أن جهودهم ستكون أكثر مناسبة لانه كان من الممكن بعد عودته من أوروبا أن يعمل على معارضة نشاط شركة الهند الشرقية أو يقوم بأكثر من هذا .

**ثانيا :** لما كانت العلاقات التجارية بين ايران وأوروبا قد قطعت بسبب الحرب الإيرانية العثمانية ، وقلت الأتمشة الأوروبية في ايران فيجب اغتنام الفرصة .

**ثالثا :** لابد من ايجاد أسواق جديدة لتصريف البضائع المكسدة في مخازن ميناء سورت .

**سفارة ادوارد كَنوك (١) الى ايران :**

في النهاية استطاع التجار الانجليز في سورت الحصول على موافقة شركة الهند الشرقية لبدء التجارة مع ايران خلافا لرأى السير توماس رو

Edward Conaock

(١) . . .

وفي ذى الحجة ١٠٢٥ هـ ( نوفمبر ١٦١٦ م ) ارسلوا أول سفينة تجارية انجليزية وكان اسمها جيمس من ميناء سورت قاصدة ميناء جاسك ، والى جانب حمولة السفينة من البضائع الكثيرة وصلت عليها بعثة (٢) لمقابلة الشاه عباس لتقوية العلاقات التجارية بين الدولتين ، وكان على رأس هذه البعثة ادوارد كنوك أحد التجار المحنكين والخبراء الانجليز ، وسبق له الاشتغال مرات عديدة بالتجارة مع الدولة العثمانية ، وبعد سبعة وعشرين يوما وصلت السفينة « جيمس » الى ساحل ايران رغم المصاعب والمشاكل التي أثارها البرتغاليون في طريقها . ووصل ادوارد كنوك يوم ٢٢ ربيع الأول ١٠٢٦ هـ ( مارس ١٦١٧ م ) الى اصفهان واستقبله المسئولون في الحكومة الايرانية بالترحيب والاحترام ونظرا لان الشاه عباس لم يكن في اصفهان وكان يحارب في جورجيا ، لهذا توجه ادوارد كنوك الى آذربيجان وجورجيا بعد أن بقي بعض الوقت في اصفهان .

استقبل الشاه عباس مندوب شركة الهند الشرقية بالترحيب ولقب ملك انجلترا بلقب « الأخ الكبير » وشرب نخب صحته وسلامته . وقد اقترح ادوارد كنوك - نيابة عن ملك انجلترا وشركة الهند الشرقية - أن يرسل السفن الى ايران طوال العام لتحمل حرير ايران الى جانب التجارة الاخرى من موانئ الجنوب وتنقله الى أوروبا عن طريق البحر بدلا من نقله عن طريق الاراضي العثمانية .

وقد سمح الشاه عباس للسفير الانجليزي بإنشاء مراكز تجارية في كل من اصفهان وشيراز ، ووعده بأن يترك لمندوبي الشركة ميناء جاسك أو أي ميناء آخر تراه شركة الهند الشرقية مناسبا لها . كما أصدر فرمانا وافق فيه على أن ترسل الحكومة الانجليزية مندوبا سياسيا الى بلاط ايران وتعطى الحرية التامة لموظفي الشركة في مزاولة التجارة في جميع أرجاء ايران . كما اشير في هذا الامر الى أن الرعايا الانجليز لهم الحرية التامة في القيام بشئونهم الدينية طبقا لعاداتهم وآدابهم . كما يمكنهم حمل

(٢) أعضاء هذه البعثة هم :

George Rley-Thomas Barker - William Bell William Tracye -  
Edward Peters - Mathew Pepwell.

السلح معهم دائماً لكي يستخدموه في حالة الدفاع عن النفس كما أن لندوب انجلترا الحق في ارسال مندوبين وموظفين الى أنحاء ايران المختلفة للعمل على تنشيط التجارة وتوسيع مجالها .

كان الشاه عباس يريد أن يجد أسواقاً جديدة للحريير الإيراني الذي يحتكر تجارته لنفسه ، ويجد طريقاً آخر لنقله عبر طريق الأراضي العثمانية ولم يكن راضياً عن البرتغاليين للأسباب التي سبق أن ذكرناها وكان ينتظر الفرصة المواتية لكي يكف أيديهم عن سواحل جنوب إيران التي استعمروها وأخذوا يعاملونه في الشؤون التجارية والسياسية بـجـرأة واستهتار كان يتحىن الفرصة ليخرجهم من موانئ وجزر الخليج ، ولكن لم تكن لديه القوات البحرية الكافية ولهذا رأى أن الصداقة مع شعوب مثل الانجليز والهولنديين لازمة له وضرورية لما كان لهما من قوات بحرية تقساوى مع قوات البرتغاليين في القوة .

لهذا السبب استقبل الشاه عباس مندوبى شركة الهند الشرقية الانجليزية بترحيب بالغ وأبدى اهتمامه وتلفه على منح التسهيلات التجارية لهذه الشركة ، ولم تفلح جهود المسئولين الإسبان والبرتغاليين في الإضرار بعلاقات الشاه عباس وشركة الهند الشرقية (١) .

أسس ادوارد كنوك مراكز تجارية في أصفهان وشيراز بتصريح من الشاه عباس وذلك في سنة ١٠٢٦ هـ (١٦١٧ م) وسافر بعد ذلك الى جزيرة هرمز لكي يستقبل السفن التجارية الانجليزية التي كانت قد وصلت من الهند محملة بكثير من البضائع ويشرف على نقل هذه البضائع الى داخل إيران ولكنه توفي فجاءً بالقرب من هرمز مع بعض رفاقه ووصل خبر الى البلاط الإيراني يفيد أن البرتغاليين هم الذين سموه وأصحابه .

(١) كتب بيترو دلافاليه السائح الإيطالي الذي كان آنذاك في أصفهان يقول « عندما توجه ادوار كنوك الى جورجيا لمقابلة الشاه عباس أسرع الراهب مليكور ديزانتج أحد قسس جماعة سان أغوسطين ومنسوب أسبانيا لدى الشاه الى هناك أيضاً لكي يحذره من قبول المقترحات الإنجليزية وينبئه الى الصدام الذي قد يحدث في الخليج بين الدولتين ولكن الشاه عباس لم يهتم بوجهة نظرة .

## سفارة روبرت شيرلي الثانية الى اوربا

سبق أن قلنا أن الشاه عباس كلف السير روبرت شيرلي مرة ثانية بالتوجه كسفير الى بلاط ملوك اوربا سنة ١٠٢٤ هـ . وبعد أن توقف شهرين في الهند وصل في صيف ١٠٢٦ هـ الى ميناء ليشبونه عاصمة البرتغال ومن هناك ذهب الى أسبانيا وظل هناك حتى سنة ١٠٣١ هـ . وقد فصلنا تقرير سفارة روبرت شيرلي الثانية الى بلاط أسبانيا في الفصل الخاص بالعلاقات الايرانية الاسبانية والبرتغالية ولا حاجة لتكراره .

وقد وصل شيرلي في أواخر ١٠٣١ هـ الى مدينة روما ومن هناك تزجه الى انجلترا فوصل في ربيع الاول ١٠٣٢ هـ الى لندن واستقبله الملك جيمس الاول كسفير لايران . وكتب السير جون فينيت (١) رئيس الديوان الملكي الانجليزي الذي كان مكلفا باستقباله تقريراً عن هذه الزيارة خلاصته هي:

« في يوم ١٩ يونيو ١٦٢٣ م ( ربيع الاول ١٠٣٢ هـ ) صدرت لي الأوامر أن اذهب الى نيوماركت لاستقبال السير روبرت شيرلي سفير ملك ايران وأهلي وسائل الراحة له في منزلي في ساكس هام ، وكان روبرت شيرلي بعد رحلة طويلة في البحر والبر قد اختار الإقامة في هذا المكان وكتبت الى أخته الليدي كروفيتس (٢) من هناك رسالة تطلب مني أن أعد وسائل إقامة أخيها من طرف الملك .

بعد ثمانية أيام ذهبت بالعربة ذات الخيول الملكية وخمسة من خاصة الخدم الملكيين الى سكسهام ، ولما كان البلاط قد أبلغني أن الملك سوف يستقبل السفير بعد ظهر نفس اليوم ، فقد اصطحبت للسفير في العربة الملكية الى القصر الملكي قبل الظهر بساعتين وأجلسته في غرفة الخلووة الملكية ثم اصطحبه ايرل أف اينجل سي (٣) الى المخدع الملكي للاقاة الملك ، وكان روبرت شيرلي قد جاء بملابس ايرانية من قدمه حتى رأسه وكان يلبس عمامة فلما وصل امام الملك حتى رأسه مرتين وطبقا للعادات الايرانية خلع

Lady Crofts (٢)  
Earl of Angle Sea

Sir John Finnett (١)  
(٣)

عمامته ووضعها أمام قدمي الملك ثم جلس على ركبتيه وتكلم فلما أذن له الشاه بالنهوض وقف ولبس عمامته وتقدم خطابات اعتماده التي كانت مكتوبة باللغة الفارسية ولما لم يعثر في انجلترا كلها على شخص يعرف اللغة الفارسية فقد ظل مضمون رسائله مجهولا وتحدث الملك بعض أحاديث المجاملة مع السفير ثم أذن له بالعودة ٠٠٠٠ » .

وفي ١٤ فبراير صدرت الأوامر الثانية كي يلتقي السفير بالملك في قصر سان جيمس ولهذا توجهت بالعربة الملكية وبعض الخدم إلى بيته واصطحبته إلى قصر سان جيمس . وكان الملك واقفا في قاعة الاستقبال ينتظر وصول السفير ، فلما دخل روبرت شيرلي حنى رأسه بالعمامة للتعظيم ثم وضع يده اليمنى على الأرض ورفعها إلى جبهته فلما اقترب من الملك جلس على ركبتيه ولكن الملك أوقفه وعرض السفير موجزا لمهمته وقدم موجزا مكتوبا لما ذكر تم عاد بنفس المراسم التي جاء بها ٠٠٠٠ » .

وقد استقبل جيمس الأول السير روبرت شيرلي بالترحيب وأبدى استعداداه لعقد معاهدة سياسية وصداقة مع إيران تقوم على الأسس التالية:

١ - تتعهد الحكومة الإنجليزية بأن تضع تحت تصرف الحكومة الإيرانية كل سفنها في الخليج للهجوم على رجال الحكومتين الإسبانية والبرتغالية اللتان استوليتا على جزر هرمز وقشم ويضايقون إيران وشركة الهند الشرقية الإنجليزية في المسائل التجارية بشرط أن تتحمل الحكومة الإيرانية نفقات هذه السفن .

٢ - تتعهد إيران بإمداد الحكومة الإنجليزية بخمسة وعشرين ألف جندي نظامي مسلح عندما تطلب ذلك منها .

٣ - تسمح الحكومة الإنجليزية للتجار الإيرانيين بحمل بضائعهم إلى إنجلترا على السفن الإنجليزية بعد دفع الأجر العادية الإنجليزية ولا يؤخذ من التجار الإيرانيين إلا ما يدفعه بقية التجار من مختلف الشعوب من الرسوم والجمارك إلى جانب منح التجار الإيرانيين حرية أحضار الذهب والفضة إلى إنجلترا أو تصديرها منها ولا تأخذ منهم أية حقوق جمركية عنها . وعلى هذا النحو حل مرضوع تصدير البضائع الإيرانية وخاصة الحرير

الى أوروبا طبقا لهذه المعاهدة التي بمقتضاها يستطيع التجار الايرانيون نقل بضائعهم على السفن الانجليزية الى انجلترا ومنها الى بقية الدول الاوربية لبيعها هناك . كما أن التعهد السياسي واتحاد القوات البحرية والبرية للدولتين كان يحمي المراكز التجارية الانجليزية وموانئ جنوب ايران من تهديد هجوم السفن الاسبانية والبرتغالية ولكن قبل أن توقع هذه المعاهدة توفي جيمس الاول في ٢٧ مارس ١٦٢٥ م وخلفه ابنه تشارلز الاول وتأخر التوقيع على المعاهدة كما حدث في نفس الوقت حادث آخر أضاع كل جهود روبرت شيرلي نذكره فيما يلي :

### سفارة نقد علي بك :



بينما كان روبرت شيرلي مشغولا بالمحادثات مع ممثلي الملك الجديد وأوشك على الوصول الى هدفه وصل الى انجلترا سفير ايراني جديد هو نقد علي بك وكان الشاه عباس قد أرسله بايعاز من مندوبي شركة الهند الشرقية الانجليزية الذين كانوا ينظرون الى بعثة مواطنهم روبرت شيرلي

بعين الشك والريبة • وكان نقد على بك قد وصل في أول فبراير ١٦٢٦ م  
( الثاني من جمادى الاول ١٠٣٥ هـ ) الى الساحل الانجليزى على السفينة  
« ستار » •

حينما وصل نقد على بك الى لندن أنكر سفارة روبرت شيرلى بناء  
على تحريض من رجال شركة الهند الشرقية بل أنه شتمه في أحد المجالس  
وصفحه صفة قوية على وجهه وأعلن أن خطابات اعتماده مزورة ومزقة مما  
جعل البلاط الانجليزى ينظر بريب الى سفارة شيرلى ولا يتم محادثاته معه •

وقد أشار السير جون فينيت رئيس ديوان جيمس الاول والذى كان  
مكلفا باستقبال السفيرين روبرت شيرلى ونقد على بك الى الخلافات بينهما  
في مذكراته فقال :

« في أواسط فبراير ١٦٢٦ م ( جمادى الاولى ١٠٣٥ هـ ) أخبر التجار  
الانجليز الملك أن سفينة قد وصلت الى ميناء بورتشموت وأن عليها سفيرا  
ايرانيا جاء الى انجلترا فصدرت لى الاوامر أن أرسل العربة الملكية وبعض  
المضيفين لاستقبال السفير فى كينج ستون واحضاره من الميناء الى لندن  
وكان تجار الهند الشرقية قد أفرطوا فى الترحيب بهذا السفير الجديد ولجأوا  
الى بعض الوسائل حتى أرسلت بعربة ملكية تجرها ثمانية خيول لاستقباله  
وقد وصل السفير الى لندن يوم ١٩ فبراير وتحمل المسئولون فى شركة  
الهند جميع نفقاته وأعدوا منزلا لاقامته وبعد يومين من وصول السفير طلب  
التشرف بمقابلة الملك •

ولكى يقف السير روبرت شيرلى على حقيقة الهدف من حضور السفير  
الجديد فقد طلب من أحد أقاربه وهو إيرل كليفلاند (١) أن يرافقه فى الذهاب  
الى السفير الجديد للترحيب بوصوله وكان السير روبرت يقصد أن يخبره  
السفير الجديد بالغرض من حضوره ولهذا فقد كان قد استأذن الملك واسترد  
من البلاط أوراق الاعتماد التى كان قد قدمها للملك فى أول يوم وذهب فى العربة  
الملكية مع إيرل كليفلاند وبعض رجال البلاط ، وكنت من بينهم ، الى منزل  
السفير الجديد فى نفس اليوم الذى أراد فيه مقابلة الملك •

Earl of Cleveland Cleveland

(١)

وكذت قد اقتدرحت أن نرسل تنخصا للسفير قبل زهابنا اليه ونخبه  
برغبنا في زيارته فرد عليه السفير دون أية مجاهلات بقوله « نلياتوا » \*

حين دخلنا غرفة السفير وجدناه متربعا على كرسى كمادة الايرانيين  
وحين رأنا لم يبد أى اهتمام \* ولقى سير روبرت السلام عليه وجلس على  
كرسى بالقرب منه وذكر ايرل كليفلاند للسفير سبب مجيء روبرت شيرلى  
ونحن معه عن طريق المترجم وقد ذكرت أنا المترجم السفير مقام ايرل كليفلاند  
وأهميته فلما عرف السفير هذا أنزل رجليه من على الكرسى وقال بعض  
كلمات المجاملة \*

بعد هذا أخرج روبرت شيرلى خطابات اعتماده وعلى عادة الايرانيين  
وضعها على عينيه وجبهته ثم قبلها وسلمها للسفير حتى يقبلها بدوره  
ويقرأها ولكن السفير نهض فجأة من على الكرسى وذهب ناحية روبرت  
شيرلى وجذب الخطابات من يديه ومزقها ثم صفعه قوية على وجهه \*

وقف ايرل كليفلاند بينهما ليحول دون تماسكهما ولكن ابن سفير ايران  
الذى كان واقفا في جانب الغرفة هجم على روبرت شيرلى وصفعه صفتين  
أخريين وأوقعه على الارض ولكن ايرل كليفلاند أبعد هذا الشاب أيضا ثم  
لام السفير على هذا السلوك السيء وقال له لولا رعاية احترام الشاه عباس  
ملك ايران العظيم لما خرج أحد منكم حيا من هذه الغرفة ، وعندئذ ظهرت  
آثار الندم على وجه السفير وقال اننى أسف جدا على ماحدث ولكن سببه  
أن هذا الرجل ( يقصد شيرلى ) زور خطاب ولى نعمتنا وادعى كذبا أنه سفيره  
لأن رسائل شاه ايران تختم عادة في اعلاها أما في خطاب اعتماد هذا الرجل  
فقد ختم من ظهره بالاضافة الى أنه يقول أنه تزوج بنت أخت الشاه عباس  
وهذا كذب محض \*

ابتعد السير روبرت شيرلى الذى أحس بالاهانة والخجل الى ناحية من  
الغرفة فلما سمع كلام السفير الايرانى تقدم اليه وقال اننى لم أقل أبدا أننى  
متزوج من بنت أخت الشاه عباس ولكن زوجتى من أقارب زوجة الشاه  
أما فيما يتعلق بختم خطاب الاعتماد فصحيح أن شاه ايران يختم جميع  
أوامره في طرفها الاعلى ولكن حين يكون سفيره من الاجانب فإنه عادة يختم  
ظهر الامر ويوقع عليه حتى يعرف أنه من طرف أى شخص قبل أن يفوضه \*



رد السفير الايرانى على هذا الكلام بنظرة احتقار ولم يقل شيئا •  
بعد هذا غادرنا منزله وأرسلنا السير روبرت شيرلى الى منزله وذهبنا الى  
البلاط الملكي وقدمنا تقريرا للملك عما حدث في هذا اللقاء •

حين علم تجار شركة الهند الشرقية بحادثة لقاء شيرلى ونقد على  
وصفه عدو شيرلى مذنبا وكان دليلهم أن شيرلى لو لم يكن مذنبا لرد على  
نقد على بك له ، ولما وقف ساكتا أمام صفعائه • ولكن شيرلى كتب تقريرا  
للملك وطلب مع اذن العودة لايران أن يعلقوا خطابات اعتماده في رقبته  
ويعيدوه مع رسول خاص لايران حتى تتضح له الحقيقة •

أمر الملك بدوره مندوبى شركة الهند الشرقية الانجليزية أن يحملوه  
على إحدى سفنهم الى ايران حتى يتضح صدق أقواله أو كذبها فاطاعوا أمر  
الملك ولكنهم رجوه أن يستقبل سفير ايران في أسرع وقت ممكن •

في السادس من مارس من ذلك العام ( ١٦٢٦م/١٠٣٥ هـ ) استقبل  
تشارلز الاول الذى جلس على العرش بعد ابيه جيمس الاول السفير الايرانى  
وكتب السير جون فينييت عن أول لقاء بين السفير وملك انجلترا فقال :

« دخل السفير الى قاعة للضيافة التى كان الملك واقفا بها في انتظاره  
وتقدم دون أن يحنى رأسه أو يؤدي أى احترام فلما اقترب من الملك قبل أوراق  
اعتماده واحدة واحدة ثم سلمها للملك ولم يحن رأسه أيضا أثناء تقديمها  
وبعد أن قام بهذا أعطى ظهره للملك وتأخر نحو عشرين قدما ثم استدار  
ناحية الملك وأشار بيده الى الاشخاص الذين كانوا يقفون بينه وبين الملك  
لكى يتنحوا جانبا ثم حنى رأسه ثلاث مرات حيث كان يقف ثم غادر القاعة •  
وقد اراد السفير أن يقابل الملكة أيضا ولكنها لم تكن فى القصر الملكى ، ولهذا  
جلس فى العربة وظل يتجول فى حديقة سان جيمس حتى عادت الملكة للقصر •

كان الملك قد أمر - كما ذكرنا - أن يعود السفيران الى ايران على  
السفن التى كانت ستبحر فى شهر مايو من ذلك العام الى الهند وأرسل معهما  
رجلا انجليزيا هو السير دورمر قطن(١) للقيام بمهمتين الاولى أن يتأكد من  
أن السير روبرت شيرلى كان سفيرا لشاه ايران أم لا ، والثانية أن يعقد  
معاهدة تجارية مع شاه ايران •

لم ينتح للسفرين الرحيل في شهر مايو لان سفن شركة الهند الشرقية كانت قد أقلت قبل وصولهما الى الميناء فاضطرا للبقاء في انجلترا وبعد عشرة أشهر توجهوا الى الهند وايران عن طريق رأس الرجاء الصالح .

أقدم نقد على بك على الانتحار خوفا من مؤاخذة الشاه عباس له فسم نفسه بالافنيون على الساحل الشرقي لافريقيا . ووصل روبرت سيردورم قطن في ربيع الثاني ١٠٣٧ هـ (يناير ١٦٢٨ م ) الى ميناء جمبرون بعد رحلة استغرقت أحد عشر شهرا . وكان الشاه عباس آنذاك في أشرف ( بهشهر حاليا ) في مازنداران فاضطر السير دورم للسفر عبر ايران كلها من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال ، وسنذكر أحوال السير دورم ورؤيت سيرلي في الصفحات التالية .

## سفارة توماس باركر وجيلز هابيس

قلنا أن ادوار كنوك مندوب شركة الهند الشرقية وبعض مرافقيه توفوا فجأة بالقرب من جزيرة هرمز سنة ١٠٢٧ هـ ( ١٦١٧ م ) وفي قول أن البرتغاليين سموهم ولهذا عينت الشركة معاونه توماس باركر مندوبا لها في ايران فبدأ بإجراء محادثات مع الحكومة الايرانية لعقد اتفاقية لشراء الحرير وأبدى الشاه عباس استعداداه لعقد اتفاقية مع شركة الهند الشرقية في هذا الشأن بشرط قيام مندوبي الشركة بشراء ستمائة عدل (العدل ١٣٥ كجم ) حرير من ايران كل عام ودفع ثمنه أما نقدا أو بضائع ولايحق لهم تصدير الحرير مالم يدفعوا كل ثمنه .

في نفس هذا العام أيضا جاء مبعوث آخر لشركة الهند الشرقية اسمه جيلز هابيس(١) يحمل رسالة للشاه عباس ولكنه وصل الى ايران عن طريق روسيا . ويعد أن تشاور توماس باركر(٢) مع المبعوث الجديد قبل شروط الشاه عباس بل تقرر أن تقتصر ايران بيع كل حريرها لمندوبي شركة الهند الشرقية فقط ولاتباع حريرا للتجار الاسبان البرتغاليين ولا ترسل شيئا عن طريق الاراضي العثمانية الى أوروبا ووافق الشاه عباس على هذه الشروط ووعده بالمحافظة عليها والتمسك بها طالما كان على قيد الحياة اذا ظل الانجليز على وعدهم ولكن قبل أن يأخذ هذا الاتفاق شكله الرسمي والفعلى اعترض عليه أرامنة جلفا لان جزءا من حرير ايران كان يصدر بمعاونتهم الى أوروبا عن طريق الاراضي العثمانية وكان هذا الاتفاق الجديد الذى يوقف تصدير الحرير عن طريق الاراضي العثمانية يلحق بهم أضرارا جسيمة .

بعد هذا الاعتراض على الاتفاق الجديد أمر الشاه عباس أن يجتمع مندوبون أسبانيا والشركة الانجليزية والارمن في مقر الحكومة حيث يعرض الحرير الايرانى بالمزاد ليبيع لمن يدفع أعلى ثمن ، ولم يتحدث مندوب أسبانيا في هذا الاجتماع بحجة أنه لم يتلق تعليمات من دولته لتحديد سعر الحرير . كما أن الانجليز صمتوا لانهم لم يرغبوا في التعامل في الحرير على

Gyles Habbes  
Thomas Parker

(١)  
(٢)

أساس المزايدات وعرض الارمن وحدهم الذين كانوا يرغبون في اخراج الآخرين من السوق ثمنا باهظا لم يسبق له مثيل وهو خمسين تومانا لكل ٣٦ من ملكى ولهذا باع لهم الشاه كل انتاج ايران من الحرير في ذلك العام (١) .

حينما رأى مندوبون شركة الهند الشرقية أن الاتجار في الحرير مع الأرمن بعد ما حدث لن يفيدهم توقعوا عن شرائه وتصديره في ذلك العام . ولما كان الارمن قد علموا - بطرتهم الخاصة - أن الاتجار في كل البضائع الايرانية في أوروبا يدر أرباحا وفيرة فقد اشترتوا كميات من الامشة المختلفة والبسط والبضائع الاخرى وحملوها بالسفن الى أوروبا .

توفي توماس باركر في أواخر عام ١٠٢٨ هـ ( ١٦١٩ م ) في اصفهان وتوجه ادوارد مونوكس - الذى ذكرناه في الفصول السابقة - الى اصفهان في ربيع الثاني ١٠٢٩ هـ ( مارس ١٦٢٠ م ) ليجل محله مندوبا لشركة الهند الشرقية .

في هذه الاثناء كان الشاه عباس قد تصالح مع السلطان العثمانى وصمم على أن يكف يد الاسبان والبرتغاليين عن جزيرة هرمز ولهذا أظهر عداوته لهم ، ولما كان يريد أن يقوم بهذا العمل بمساعدة السفن الانجليزية - كما سبق أن ذكرنا - فقد أخذ في التقرب الى مندوبى شركة الهند الشرقية ووافق على التعامل معهم في الحرير مثلما حدث سنة ١٠٢٩ هـ حينما سمح لمندوب الشركة بالذهاب بنفسه الى جيلان واختيار مايعجبه أو يناسبه من الحرير حتى يحمله مندوبو الشاه الى اصفهان وعلى نفقته هو لى يسلم الى المركز التجارى الانجليزى . ولما رأت الشركة الانجليزية أن الشاه يميل اليها في التعامل في الحرير أرسلت سفنها الى ايران لنقله فوصلت الى ميناء جاسك في ذلك العام خمس سفن تحمل مختلف البضائع الانجليزية والهندية وبعض الهدايا للشاه عباس . وكان لدى هذه السفن أوامر بأن تتوجه الى ميناء جمبرون بعد أن تفرغ حمولتها في ميناء جاسك لى تقوم

(١) كان للشاه عباس يحتكر تجارة حرير ايران كما سبق أن ذكرنا فكان مندوبوه يجمعون الحرير من كل أنحاء ايران بثمان رخيص ويضعونه في مخازن الشاه الذى يتولى بيعه بالثمن الذى يحدده سواء للاسبان والبرتغاليين الذين يصدرونه عن طريق الجنوب أو الارمن الذين يصدرونه عن طريق الاراضى العثمانية .

بدراسة عن ذلك الميناء من ناحية موقعه الطبيعي لرسو السفن وامكانياته للشحن والتفريغ لان الشاه عباس كان قد اذن لشركة الهند الشرقية الانجليزية باقامة مركز تجارى في جمبرون رغم معارضة البرتغاليين .

كان بعض رجال البلاط وحكام ايران الذين كانوا يحصلون على ارباح طائلة من تهريب الحرير أو الاتجار فيه من التجار الايرانيين غير راضين عن سلوك الشاه عباس الودى مع مندوبى شركة الهند الشرقية واحتكار واحتكار بيع الحرير لها .

وكتب بيترودلافاليه الذى كان آنذاك في ايران يقول :

« كان الانجليز قد أحضروا عشرين عدلا ( العدل ١٢٥ كجم ) من حرير جيلان الى اصفهان وكانوا قد دفعوا بمض، ثمنه ويأملون في دفع بقية الثمن من بيع بعض بضائعهم التى كانت في اصفهان ولكن وقع بينهم وبين قرجقاي خان الذى كان يتولى حراسة طرق ايران خلاف لانهم امتنعوا عن دفع رسوم حراسة الطريق الذى كان مبلغا ثانها والحقيقة ان الايرانيين كانوا ينظرون للانجليز بعين الحقد لانهم بشرائهم للحرير حرّموا كثيرا من التجار الايرانيين والوزراء والاعيان الذين كانوا يحصلون على ارباح كبيرة من هذه التجارة .

وقد أدت الكراهية الى سوء معاملتهم بتحريض من رؤساء وكبار رجال الدولة بل وصل الامر الى حد جذب وجرح بعض المندوبين والموظفين الانجليز وقد أوكل هذا الامر الى قطاع الطريق واللصوص كما أن الشاه في مجالسه الخاصة لم يكن يشير اليهم بالخير لأنه كان يعلم أنهم قراصنة البحار والسرقة في ايران من الاعمال المذمومة .

وكان مندوبو شركة الهند الشرقية يريدون خديعة الشاه بشرائهم لحرير جيلان ثم يشتمرون حرير كل مناطق ايران مهربا بثمن زهيد ويصدرونه ولكننى سمعت أنهم هم الذين خدعوا اذ أن الشاه عباس بحجة أنه لا يوجد غير هذا الحرير باع لهم بعض الحرير السيء الصلب كالخشب ثم طالبهم بثمن حرير ممتاز (١) .

(١) بيترودلافاليه ج ٥ ص ١٨٥ - ١٨٨ .

ومن بين الهدايا التي كانت سفن الهند الشرقية قد أحضرتها للشاه عباس عربة جميلة يجرها ستة جياد وكانت هذه العربة من الداخل وكذلك ملابس سائقيها وزينة خيولها كلها من المخمل ( القטיפنة ) كما زينت من الداخل والخارج بالذهب ولم يحضروا معها خيولا من إنجلترا ولكنهم اشتروها من شيراز وربوها ودربوها هناك وكانت هذه العربة التي لم يسبق وجود مثلها في إيران هدية من شارلز الاول ملك إنجلترا ولان الاستفادة بها لم تكن ميسرة في طرق ايران آنذاك فانها لم ترق لعيني الشاه بل أنه لم يعرضها على الناس كما جرت العادة في مثل هذه الهدايا .

## اتحاد ايران مع شركة الهند الشرقية الانجليزية ضد رعابيا البرتغال واسبانيا

كما ذكرنا في الفصل الخاضر بعلاقات الشاه عباس بالبرتغال واسبانيا ، فان مندوبي الشاه عقدوا اتفاقا مع شركة الهند الشرقية ضد البرتغاليين في هرمز وذلك في صفر ١٠٣١ هـ (يناير ١٦٢٢ م) واستطاعت ايران بمساعدة الشركة الاستيلاء على جزر قشم وهرمز وكف يد المسؤولين البرتغاليين والاسبان عن سواحل الخليج ولكن شركة الهند لم تحصل في مقابل هذا على نتيجة تذكر ومع ان الحكومة الايرانية طبقا للاتفاق كانت قد قبلت دفع نصف دخل جمرک هرمز الى الشركة فانها لم تنف بهذا الوعد الا بضع سنين لان المبادلات التجارية كانت قد انتقلت الى ميناء جمبرون فتوقفت ايران عن الدفع مدعية ان الشركة ليس لها العدد الكافي من السفن للمحافظة على امن الخليج مما شجع اللصوص والقراصنة ، ثم قبل مندوبو الشركة سنة ١٠٨٧ هـ وفي عهد الشاه سليمان الصفوي ان يأخذوا ألف تومان سنويا في مقابل نصيبهم من دخل ميناء بندر عباس (جمبرون القديم) واستمرت هذه الحال بضع سنين .

بعد ان استولى الشاه عباس على جزيرة هرمز نفذ الاتفاق الذي كان قد عقده مع ادوارد كنوك سنة ١٠٢٦ هـ وسمح لمندوبي شركة الهند الشرقية بشراء أية كمية من الحرير تلزمهم من أي منطقة في ايران وتصديره منها دون دفع أية رسوم أو أموال وهدد ذلك الحين قويت شركة التجارة الانجليزية في الخليج وتحولت تجارة الهند الشرقية وايران الى ايدي الانجليز والهولنديين . ولم يهتم الشاه عباس بجزيرة هرمز بعد ذلك بل أقام قلعة جديدة في ميناء جمبرون وجعل هذا الميناء مرفأ للسفن القادمة من الهند وأطلق عليه اسم بندر عباس وحصلت شركة الهند الشرقية على اذن باقامة عمارتين لرفع مركزها التجاري هناك ولم تحصل على اذن لبناء مساكن متعددة لموظفيها لأنه كان من الممكن أن تتحول مجموعة المساكن الى قلعة . كما منح الشاه بعض المنازل للشركات الانجليزية والهولندية في شيراز واصفهان لتكون مساكن أو مراكز تجارية لموظفيها وقد كتب الرحالة الفرنسي

ساردان الذي كان في ايران في عصر الشاه عباس الثاني والشاه سليمان الصفوي، يقول:

« يقع سوق، لله بك على الجانب الايمن لبيدان نقش جهان ( في اصفهان) ويقع المركز التجارى لشركة الهند الشرقية في نهاية هذا السوق وهو عبارة عن حديقة واسعة عظيمة بوسطها ثلاثة ابنية وهذه العمارات من املاك الشارشي باشي الذي كان الشاه عباس الكبير قد غضب عليه ومادر امواله واما كان مندوب شركة الهند الشرقية قد وصل الي ايران في ذلك الحين فان الشاه قد منحه هذه العمارات التي كانت في وسط المركز التجارى وعلى مقربة من مقر الحكومة وكانت زينة السقف المذهبة ونقوش الابواب والجدران في غاية الروعة والجمال واكن للاسف فانها ايلة للخراب لان الشركة الانجليزية ليست لىما تجارة قوية مع ايران كما قل عدد موظفيها جدا عما كانوا عليه في زمن للشاه عباس وقد تحولت هذه العمارات الى مصاييف يقضى بها الموظفون الانجليز في بندر عباس فصل الصيف .»



## سفارة السير دورمر قطن

ذكرنا في الصفحات السابقة أن السير دورمر قطن سفير تشارلز الاول ملك إنجلترا وصل مع السير روبرت شيرلي الى ميناء جمبرون عن طريق الهند في ٢٧ ربيع الثاني ١٠٣٧ هـ ( ٦ يناير ١٦٢٨ م ) .

وكان نقد على بك سفير الشاه عباس شد انتحر في الطريق فلم يصل مهتما الى ايران وقد وصف السير توماس هيربرت أحد مرافقي السير دورمر انتحار نقد على بك فقال :

« في يوم ٣٠ نوفمبر ١٦٢٧ م ( ٢٠ ربيع الاول ١٠٣٧ هـ ) التقينا مراسينا في سوولي رود(١) وتد توفى نقد على بك سفير ايران ومنافس السير روبرت شيرلي ، وقد ذكرنا لنا أنه تماطى الأنيون أربعة أيام متتالية فسمم نفسه ويبدو أنه انتحر خوفا من عقاب الشاه عباس لسلكه السيء في لندن مع السير روبرت شيرلي . وقد ضاعف السفير الإيراني كمية الأفيون التي عادة مايتناولها الإيرانيون يوميا ولم يستطع الطبيب عمل شيء على الرغم من تحذيره من هذا السهل . وكان ابنه مدفوعا بعاطفة حب الأبوة قد ألقى عنه الأفيون فلما علم نقد على بك بهذا مجم على ابنه شاهرا سيفه وكاد يفصل رأسه عن جسده لولا أن الابن استطاع بخفة ومهارة أن يلتجئ الى أحد الأركان ويختفي به .

وقد ذهب السير دورمر قطن وشيرلي ومرافقهما الى اصفهان عن طريق لار وشيراز وقد اضطر السفير الإنجليزي الى الذهاب للشمال لان الشاه عباس انذاك كان يقيم في مدينة أشرف في مازندران فوصل الى هناك في رمضان من نفس العام .

وكان السفير الإنجليزي يحمل أوامر محددة من الملك تشارلز الاول بخصوص مهمته لدى الشاه عباس الاول ملك ايران ملخصها ما يلي :

Swolly Rood

(١)

« لقد قدمت اليينا مقترحات من شاه ايران عن طريق سفيره السير روبرت شيرلى فيما يتعلق بتقوية العلاقات التجارية بين الدولتين والدول التابعة لهما ولكن وقعت أحداث مؤسفة بوصول السفير الايرانى الثانى مما جعلنا نتردد فى مقترحات شاه ايران وعقد الاتفاقيات اللازمة ولتوضيح هذا الامر فقد اخترناك واضعين فى الاعتبار سابق خدمتك وطريق سلوكك حتى تراقق السير روبرت شيرلى الى شاه ايران ، ونذكر له ماحدث هنا بين السفيرين وتحدثت معه طبقا لما يلى :

بعد ان تقدم أوراق اعتمادك الى شاه ايران تعبئه أن السير روبرت شيرلى كان قد جاء اليينا سفيرا ثم جاء مرة أخرى فى مهمة ثانية وقد تلقاه أبى الفقييد العزيز - خلد الله روحه - كسفير للشاه وقد بذلنا له من جانبنا نفس الرعاية والاحترام وقد تقدم اليينا السير روبرت بمقترحات على أساس المصالح المتبادلة للدولتين . وبعد هذا وصل الى انجلترا سفير ثان من قبل شاه ايران اسمه نقد على بك، وبعد قليل من وصوله أهان السير روبرت شيرلى أمام بعض أعيان الدولة ورجالها الذين كانوا قد ذهبوا لزيارته ومزق أوراق اعتماده وصفعه على وجهه وهذا السلوك تجاه أحد نجباء انجلترا مخالف لكل الامور والقواعد الاخلاقية لنا ولولا رعاية احترام شاه ايران - الذى يعد سفيرا له أيضا - لما ظل تصرفه هذا دون جزاء وادع فى هذه الدولة التى ترعى العدالة والحضارة بكل دقة وشدة ، ولما كان حضور سفيرين لحاكم واحد ومعارضة واحد منهما للاخر أمرا غير عادى ، لهذا فنحن نأمركم بعرض هذا على شاه ايران ليتبين أيهما كان على حق .

كذلك فقد تقدم اليينا السير روبرت شيرلى بمقترحات سيقدم لكم سكرتيرنا الخاص نسخة منها فاعرضها على شاه ايران فاذا وافق عليها وأراد أن نخفذها فعليك أن تقف على وجهة نظر شاه ايران ورغباته وتعرضها علينا .

ويمكنك أن تتحدث باسمنا وتتعهد بأن نقبل من صميم قلبنا كل اقتراح منطقي يناسب العلاقات بين الدولتين ويؤدى الى تقوية الروابط بينهما وتحكيم مصالحهما مما قد يقترحه الشاه

وفى النهاية فان رغبتنا القلبية هي ألا تقبل أى لقب أو مقام من شاه ايران والا تتدخل فى شئون التجار الانجليز الذين يتعاملون مع ايران . وأن

تسلك طبقا لهذا الامر دون ايجاد أية مشقة أو مضايقة أو نفقات لتجارنا  
ومخالفة هذا الامر سيؤدى الى اراقة دمك .

( وايت هول صدر في - ١٥ ابريل ١٦٢٦ )

وقد استقبل الشاه عباس السير دورمر قطن والسير روبرت شيرلي  
ومرافقيهما في القصر الملكي في أشرف يوم ١٩ رمضان ١٠٣٧ هـ وفي قول  
آخر يوم عيد الفطر . وقد كتب السير نوماس هيربرت أحد مرافقي السفير  
الانجليزى في مذكراته عن هذه الرحلة وماجرى في هذا اللقاء والملاحظات فقال :

« في يوم الاحد ٢٥ مايو ١٦٢٨ المقارن لواخر شهر رمضان استقبلنا  
الشاه حتى يتجنب الضيافة والاستقبالات التى يجب أن تقام في مثل هذه  
الاحوال (١) وكان سفيرنا يصطحب معه السير روبرت شيرلي ، كما كنت  
ومعى نحو سبعة أو ثمانية من الانجليز برفقته ولم يرسل البلاط الايرانى أى  
قائد أو تشرىقاتى لزيارة السفير سوى أحد اتباع محمد على بيك (٢)  
( ناظر القصر وخازن الشاه ) الذى جاء للسفير وقام ببعض المجاملات البسيطة  
وعندما وصلنا الى قصر الحكومة وُنزلنا عن جيادنا جاء أحد رجال البلاط  
واستقبلنا بالعبارة العادية التركية « مرحبا » (٣) وقادنا الى حجرة صغيرة  
تقع في وسط فناء واسع ، وكان هناك بعض الجند ولم يكن بالغرفة من  
الاثاث سوى خمس قطع من السجاد الايرانى وكان فيوسطها حوض من المرمر  
الابيض مملؤ بالماء وقد وقفنا هناك نحو ساعتين قدم لنا خلالهما الشراب  
الذى لم يكن جيدا وان كانتت الاقداح والصوانى والاباريق كلها من الذهب  
الخالص .

بعد هذا اصطحبنا بعض المسئولين عبر حديقة تشرح القلب وتسرى  
العين الى مبنى آخر مزين بنقوش بارزة مذهبة يطل من ناحية على بحر  
الجز ومن الناحية الأخرى على جبل البرز حيث المناظر الخلابة وحملنا الى

- (١) السير تمان هانوت والدكتور جوتش القسيس هما اللوحيدان من  
مرافقى السير دورمر قطن اللذان انتقدا ودما لقاء الشاه عباس للبعثة ولا يوجد  
لاقوالهما شبيهه في مذكرات أى واحد من المرافقين الآخرين .  
(٢) يقصد محمد على بك جرجيراق الاصفانى .  
(٣) بالتركية خوش كلدى .

ناعة مربعة كبيرة مزينة بنقوش ذهبية والارض مفروشة ببسط من الصوف  
وتنوب للذهب وفي وسط القاعة حوض من المرمر مملؤ بالماء الصافي حوله  
انتداح واوانى رنانبين وغيرها وكلها من الذهب الخالص وكان بعضها مملؤا  
بماء الورد أو السراب أو الورود الملونة .

وبعد أن ساعدنا كل هذه الثروة اخذونا الى غرفة أخرى أكثر ارتفاعا  
يعكس سقتها صورة للنجوم والكواكب وكانت النجوم من الذهب تتلألأ  
على أرضية من اللازورد الغامق وكانت الاوانى الذهبية في هذه القاعة  
تصل قيمتها الى نسو عشرين مليون جنيه انجليزي كما قدرناها وكان يرى  
في هذه القاعة حوض آخر للماء ( فسقية ) حافظه من الذهب وعلى جوانبه  
أكواب وكؤوس وغيرها من الاوانى من الذهب الخالص المرصع بالجواهر ولم  
يكن بينها اناء لم يكن مغطى بالماس والياقوت والؤلؤ والزمررد والفيروز  
والجواهر الأخرى وكانت القاعة قد حولت الى ما يشبه قاعة القصر الرئيسية .  
وكانت حافة الحوائط مزينة بأشمار وأقوال باللون مختلفه أو مكتوبة  
بالذهب أو الجبس وكانت زينة هذه الحجرة قد قام بها رجل المانى عاش  
في البلاط الايرانى مدة من الزمن سحر خلالها الايرانيين بفنه وذوقه ومهارته .

وكان يجلس حول هذه القاعة جماعة من الامراء والرؤساء وكبار  
البيكات على ركبهم وهم كالتماثيل يتطلبون الى ناحية معينة ولا أحد يتكلم  
منهم أو حتى يعطس أو يكح لان مثل هذه الامور لاتجوز في مجلس الملك بل  
وتعد من الذنوب الكبيرة .

كان الشاه عباس يجلس في صدر هذا المجلس متربعا فوق وسادتين أو  
ثلاث من الاطلس الابيض وكان الايرانيون يحبون هذا الملك كثيرا كما  
يحترمه الاجانب ويخشاه الاعداء ، وهذا الملك الذى جعلنا نشاهد كل هذا  
الفنى وتلك الثروة كان يرتدى ملابس قطنية حمراء بسيطة كأنه أراد ان  
يرفع لنا أن عظمته وجلاله ترجع الى صفات الحسنة وسياسته لا الى  
نسه للحربية ولأنه . . . وكان يضع على رأسه عمامة من قماش أبيض  
يربط وسط سرواله بحزام جلدى وكان غمد سيفه من الجلد الأحمر  
من الذهب وحده مقوس كالهلال وكان بقية رجال القصر  
بسيطة مثل الشاه .

قال السفير للشاه بواسطة المترجم الذي يسميه الإيرانيون الكلمجى  
« أنه قطع هذا الطريق الطويل لكي يهنئ الشاه بانتصاراته في الحرب ضد  
السو المشترك لايران وانجلترا ويتحدث معه عن تجارة الحرير وكسل  
المصنوعات الإيرانية ويحصل على معلومات عن سفارة السير روبرت شيرلى  
والتهم التي وجهها إليه نقد على بك سفير الشاه ويبلغه رسالة ودية من  
ملك الانجليز . . . »

نهض للشاه من مكانه وألقى خطبة فصيحة باللغة التركية وقال « أن  
الاتراك السثمانيين أناس منحطون ولايقارنون بالایرانيين في الذكاء أو القيام  
بالواجب ، ولقد أطلعت الاتراك وسائر الامم التي تعاديهم على شجاعة  
الایرانيين في خمس عشرة موقعة خضتها ضدهم وأمل أن يتحد المسيحيون  
في القريب العاجل لان الامبراطورية العثمانية . ستفقد هذه العظمة وتلك  
القوة حينما يزول هذا الخلاف وذلك التباعد ، ولو لم يكن المسيحيون في  
خلاف عدا كانت هذه الامبراطورية الدنيئة قد أصبحت شيئا لا يذكر .

أما فيما يتعلق بتجارة الحرير فقال أنه مستعد لكي يسلم للانجليز  
في جزيرة هرمز في يناير من كل عام عشرة الاف عدل من الحرير اذا أراد  
ملك إنجلترا ويحصل في مقابلها على جوخ انجليزى ليبيعه للعرب والقتار  
والارمن والروس والجورجيين بشرط أن يتعهد التجار الانجليز بعدم التعامل  
مع الاتراك لان السلطان العثماني يحصل على أرباح وفيرة من رسوم  
التجارة الخارجية ، والتجارة مع الاتراك مثلها مثل شوكة يصنعونها  
بأيديهم لكي توجه الى أعينهم أو كأنهم يشحنون سيوف عدوهم لكي تقطع  
بها رقابهم .

أما فيما يتعلق بروبرت شيرلى فقال أنه هو سفيره الحقيقي وأنه  
سوف يسترضيه عن الاهانة التي لحقت به من نقد على بك الذي انتحر  
حين وجد نفسه منخطا مذنبا لانه يعلم ماذا كان ينتظره من عقاب ثم أقسم  
لو أنه جاء حيا لقطعه قطعا بسدد أيام السنة ولاحرقه مع فضلات الكلاب .

وعن علاقات الصداقة بين ايران وانجلترا قال أنه يقبل مثل هذه  
الصداقة بكل رغبة وشوق ويأمل أن تبقى وتحوم .

ثم تلتطف مع السفير ورحب به ثم عاد وجلس في مكانه وفي هذه الاثناء وضع جميع رجال البلاط رؤسهم عند أقدامهم(١) ثم أشار الشاه للسفير بالجلوس ثم تناول يده وأجلسه بجواره على الارض ولما لم يستطع السفير الجلوس متربعا على الارض كالإيرانيين فقد ضحك الشاه ورفع السفير فبعته احتراماً للملك وتحية فامر الشاه أن يصبوا له خمراً ثم شرب معه نخب ملك إنجلترا وبعد ذلك خلع عمامته عن رأسه لكي يعرب للسفير عن القيام بكامل الترحيب وبعد ساعة من المحادثات مع الشاه خرج السفير من المجلس .

ولكن مع كل هذا الترحيب فلا أعلم سبب تغير سلوك الشاه فجأة تجاهنا إذ لم يحظ السفير بمقابلة الشاه ولم يطلجه لمقابلته حتى عودتنا الى قزوین. ولم ير الشاه بعد هذا الى أن توفي ، كما لم يأت أى من رجال البلاط لزيارة السفير ، وقد عرف فيما بعد أن مندوبى شركة الهند الشرقية غالباً قد استمالوا محمد على بك بالهدايا والرشاوى وجعلوه عدواً لنا ، وكان هذا الرجل وضیع الاصل ولكنه ظل يترقى حتى أصبح الشخص الوحيد الذى يعتمد عليه الشاه ويرعاه ، وكان يجعل الشاه يقابل كل من يريد هو ويرحب به ويقتل كل شخص يثاء . ولهذا كانت ترسل اليه الهدايا من كل جانب لجلب رضاه حتى أن دخله السنوى بلغ مايقرب من ١٤٠ ألف جنيه استرليني وهذا لايدعو للعجب ، إذ أن ناظر الخاصة الملكية كان دخله يبلغ أكثر من مائة ألف جنيه استرليني أيضا .

بعد هذا سافر السفير دورمر قطن من أشرف الى قزوین بناء على أمر الشاه ولم يره بعد هذا ، كما أن رجال البلاط والمقربين من الشاه نأوا عنه بل أن المراسم والآداب التى تجرى عادة للسفراء الاجانب لم تجر له . وفى قزوین وصله أمر من الشاه أن يبحث مع محمد على بك الناظر والخازندار مايتصل بهيمته أو يتعلق بها . ولكن محمد على بك لم يرد على أى من طلباته زدا صريحا ففيما يتعلق بالسفير روبرت شيرلى قال أن الشاه لم تعدله به رابطة أو علاقة وأن مهمته فى أوربا لم يكن لها أساس صحيح وبعد أن

(١) أى أنهم سجدوا للشاه الذى لاندرى كيف سمح لنفسه بهذا وهو الذى كان يدعى أنه من الأعقاب الإهام موسى الكاظم وكانت بيده السلطة الدينية الى جانب السلطة الدنيوية ( المترجم ) .

قرأ أوراق اعتماد روبرت شيرلى شكك فيها وأخذها من السفير الانجليزي ليعرضها على الشاه ولم يكذ الشاه يراها حتى عدها مزورة وألقاها في النار وهو في شدة الغضب وأمر أن يخرج روبرت شيرلى من ايران \*

وكتب السير توماس هربرت في كتاب رحلته أن محمد علي بك كان يكره روبرت شيرلى منذ مدة ولهذا سعى ضده لدى الشاه وجعل الشاه يغضب عليه بل أنه تنسب في أن يهمل السفير الانجليزي ولايستقبله بعد ذلك \*

حين علم روبرت شيرلى بسلوك الشاه نحوه ورسالته اليه تضايق جدا حتى مرض مرضا شديدا. وتوفي في مدينة قزوین في ١٣ يوليو ١٦٢٨ ( ذى القعدة ١٠٣٧ هـ ) وقد احتفظت زوجته « تريزيا » بجثمانه كأمانة حتى تنقله الى أوزبا وتدفنه هناك ويتقال أنهم دفنوه عند عقبة منزله (١).

وقد توفي السير دورمر قطن بعد تسعة أيام من وفاة شيرلى في نفس المدينة ودفن جثته حسب التقاليد المسيحية في مقابر الارمن هناك \*

(١) ان المصائب والمتاعب التي تحملتها تريزيا زوجة روبرت شيرلى الحسناء في حياتها بسبب رحلاته وأسفاره الطويلة والكثيرة لم تنتهي بموت زوجها بل ان جمالها وثروتها الضخمة التي خلفها لها زوجها جرا عليها الكثير من المصائب الأخرى . فقد أثار رجال الدين المسلمون سابقة اسلام تريزيا ثم ارتدادها عن الاسلام عند زواجها من روبرت شيرلى ، وأوغرؤا صدر الشاه عباس عليها ثم أشاعوا أن الشاه يريد احراقها حية ، بل أن بعض المؤرخين ذكروا أن هذا الامر كان سبب وفاة روبرت شيرلى اذ حين بلغه النبا اعترته حمى شديدة توفي على أثرها \*

وقد طلب الشاه عباس مقابلة تريزيا والمدعين بردتها وسألها عن سبب عداوة هذه الجماعة لها ولكنها لم تقل شيئا حتى لا تغضب الشاه عباس عليهم فكانت شجاعته وصلابتها دافعا للشاه عباس على طمانتها ومواساتها وقال لها « أنه من الأسهل على فلك ايران أن يقتل مائة رجل على أن يقتل امرأة واحدة »

مع كل هذا فان بعض رجال البلاط المسئولين استولوا على كل مجوهراتها وأثاثها القيم بحجة أنها مرتدة. مما أدى الى مرضها مرضا شديدا في قزوین التي غادرتها الى اصفهان والتجأت للقسس الكرمليين حتى تحسنت صحتها وفكرت في ترك ايران مع جثة زوجها التي كانت قد نقلتها معها من قزوین الى اصفهان والإقامة في إحدى الدول المسيحية ، وقد طلب القسوس الكرمليون من أمام قلى خان والى فارس الذى كانت تربطهم به صداقة

وعلاقات طيبة أن يمنح تريزيا جواز سفر . وقد وافق الوالى ولكن أحد رجاله طمع في الزواج من تريزيا ولهذا أخذ في تدبير المؤامرات وإثارة المشاكل لها وكان منها أن طلب من شيخ الإسلام في اصفهان أن يحتفظ على تريزيا ويحصرها للمسجد لتقرر باسلامها وقد اضطرب القسس الكرمليون من هذا الخبر ولجأوا الى امام قلى خان حتى تقرر في النهاية أن يعقد اجتماع في منزل مدير أعمال الوالى الذى كان أيضا من أصدقاء القسس الكرمليين . وقد أنكرت تريزيا في هذا الاجتماع سابقة اسلامها وأصرت على بقائها على مسيحياتها . ومع وجود اتجاه للحفاظ على تريزيا في هذا المنزل إلا أنه سمح لها في النهاية بالذهاب مع القسس الى ديرهم .

لم ييأس ذلك الرجل من الزواج من تريزيا ولجأ الى استخدام القوة فقاد جماعة من رجاله وذهب الى دير الآباء الكرمليين ولكن تريزيا كانت قد علمت بمقدهم فهربت الى دير الأرمن واختبأت هناك ، فلما أنكر الآباء الكرمليون علمهم بمكان تريزيا قامت هذه الجماعة باهانة بعضهم وايدائهم ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة ، وقد حدث هذا دون علم امام قلى خان والى فارس وبالتالي الشاه عباس الذى لم يكن موجودا في اصفهان . وقد تمكنت هذه الجماعة من الإيقاع باحدى خادمت تريزيا واجبارها على افشاء مكان اختباء تريزيا حيث عثروا عليها وحملوها مقيدة الى منزل قائد الشرطة في اصفهان وهناك طلبوا منها أن تظن اسلامها والا القوها في النار أو من على أحد أبراج المدينة . ولكن تريزيا تمكنت بموقفها ثم صاحت فيهم غاضبة « هل هذا السلوك المذموم جزءا خدمات زوجى العظيمة لشاه ايران، أن ماتفلونه بعيد عن الرجولة والشهامه . . . » .

وقد شعرت هذه الجماعة بالخجل واضطروا الى نقلها الى منزل الوالى الذى طردهم وسمح لتريزيا بالعودة الى مسكنها . وفي النهاية سمح الوالى في اوائل سبتمبر سنة ١٦٢٩ ( ١٠٣٩ هـ ) لهذه الزوجة البائسة بالخروج من ايران فسافرت في ١٨ سبتمبر بحاملة جنمان زوجها متوجهة الى أوروبا عن طريق حلب واستانبول وكان الشاه عباس قد توفي قبل هذا بثمانية أشهر أثناء وجوده بمصييف أشرف على بحر قزوين .

بقيت تريزيا ٣ سنوات في العاصمة اللمثمانية استانبول ، وفي اواخر ديسمبر سنة ١٦٢٤م ( رجب ١٠٤٤ هـ ) غادرتها متوجهة الى روما وقد استقبلها البابا أوربن الثامن بكثير من الاحترام ومنحها مركزا مرموقا في جماعة النساء الكرمليين وأسكنها على مقربة من كنيسة ماريلا دلا اسكالا على نهر التيبر وقاموا بدفن جنمان زوجها في الكنيسة وسين توفيت تريزيا سنة ١٦٦٨ م ( ١٠٧٩ هـ ) بعد عمر طويل. دفنت الى جوار زوجها .

ومن المعزوف أنه عندما كان السير روبرت شيرلى وزوجته تريزيا في روما سنة ١٦٢٣م ( ١٠٣٢ هـ ) قام فان ديك الرسام الهولندى المشهور الذى كان في ايطاليا آنذاك برسم صورتين لهما تعدان من روائع أعماله



## العلاقات الإيرانية الإنجليزية

### بعد وفاة الشاه عباس

#### العلاقات في عصر الشاه صفى :

لم تكن التجارة بين الانجليز والاييرانيين مزدهرة في اواخر عصر الشاه عباس بسبب منافسة الهولنديين . وفي سنة ١٠٣٤ هـ ( ١٦٢٥ م ) انخفضت تجارة الشركة الإنجليزية في ايران الى الحد الذى دفع توماس كريدج (١) رئيس المركز التجارى في اصفهان الى اغلاق فرع الشركة في تلك المدينة .



وبعد وفاة الشاه عباس حصلت شركة الشرقية الإنجليزية في عام ١٠٣٨ هـ على قرار جديد من خليفة الشاه صفى فيما يتعلق بتجارة الحرير ولم يكن يتضمن كل الحقوق والامتيازات السابقة للشركة . وبناء على هذا القرار الجديد أصبح من حق التجار الانجليز أن يكون لهم مندوب مقيم في اصفهان كما أصبح لهم الحق في الاتجار في مختلف أنحاء ايران ، وحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم وإقامة مراكز تجارية وفروع لهم في مختلف أنحاء ايران ، والفصل في قضاياهم عن طريق مندوبهم .

(١) Thomas Kerridge : (٢٢) Conte William Denbigh :

ونتيجة لهذا الترار أرسل تشارلز الاول ملك انجلترا ابن عمه الكونت  
ويليام دينبيج (٢) وهو من عطاء انجلترا الى بلاط الشاه صفى وذلك في  
شعبان ١٠٤٩ هـ (مارس ١٦٣٨ م) ، وكان هذا السفير يحمل رسالة يعرب  
فيها ملك انجلترا عن سعاده لاستمرار الصداقة بين الدولتين ، كما قدم  
الشكر لرعاية الشاه صفى للتجار والرعايا الانجليز في ايران . وقد استقبل  
الشاه صفى السفير الانجليزى بكثير من الترحاب وكتب ردا على رسالة  
تشارلز ننقله فيما يلى :

نظاما للسطنة والشوكة والايالة والحشمة والعظمة والعز والامتنان

### تشارلز ملك الانجليز

( بعد مقدمة المجاملات ) وصل كتابكم المرسل الينا فى أحسن وقت  
وأدى ماتضمنه من مظاهر الصداقة واتحاد القلوب الى زيادة عناصر المودة  
وارتفاع درجات الصداقة والوداد . أما التوصية على صاحب العزة زبدة  
الايان الكابتن وليم فان الشفقة الملكية تشمله دائما . وقد قررنا أن ينجز  
أى عمل أوحاه تكون له عندنا بمجرد أن يعرضه على وكلاء الديوان العالى  
والا يقع تقصير تجاه التابعين لسلطانكم وعظمتكم خصوصا الكابتن وليم  
ورفاقه ورجالهم الذين يترددون على هذه للديار . ومن دواعى الصداقة  
والالفة أن يتبع نفس هذا للسلوك الحميد وتتجدد رياض الالفة والمعرفة  
بارسال الرسل والرسائل وإذا كان لكم أى عمل أو مهمة فى ناحيتنا فاطهرؤه  
وأعلنوه من قبل الاتحاد والقوافق بلا تأخير أو مؤاربة حتى نقوم بانجازه  
بدوافع الاتفاق والصداقة الملكية .

ثانيا فانى أنهى اليكم أن الحضرة الملكية الخاصة تستوجب أن يكون  
بها جمع من أرباب الصناعة والاساتذة المهرة فى كل فن ، وفى هذا للوقت  
فان بعض الاساتذة الحاذقين أحدهم فى صناعة المينا وواحد فى الساعات  
وأخر قاطع ماس وواحد صائغ ماهر وآخر صانع بنادق وواحد نقاش حاذق  
وأخر مدفعى تحتاجهم الحضرة ويوجدون الآن لديكم ومن سبل المحبة  
والوحدة أن تأمروا منوبكم أن يرسلوا هؤلاء الاشعاص ومعهم تلاميذهم  
وأدواتهم مع ثقات من عنبكم حتى يقوموا فى حضرتنا الشريفة بصناعاتهم

وخدماتهم وحتى لا يتوقفوا عند شروعاتهم في عملهم على العمال والادوات والمهمات . وهذا مما يؤدي الى زيادة دوافع الصداقة ولما كان الغرض هو تشييد مباني المحبة والوداد وتمهيد قواعد الالفه والاتحاد فلا أظن عليكم .

جعل الله أيام دولتكم وتوفيقكم مقرونة مع رضا الجارى عز اسمه وجعل عاقبة أمركم الى خير مال بتوفيقه اللامتناهى بالخير والسعادة (١) .

يتضح من الرسالة السابقة أن الشاه صفى طلب من ملك انجلترا أن يرسل اليه في ايران بعض الصناع المهرة في الميناء والساعات والبنادق وغيرها ويجب أن نشير هنا الى أن الصناع الاجانب زاحوا في ايران زيادة كبيرة منذ عصر الشاه عباس ، وكما ذكر أحد السياح الفرنسيين (٢) في مذكراته أنهم كانوا أيضا يتقاضون أجور باهظة من الحكومة الايرانية حتى أن مرتبات بعضهم كانت ألفين وخمسمائة جنيه فرنسي غير السكن والمأكل وذكر تافرنية في كتابه شخصاً اسمه رولف كان الساعاتي الخاص للشاه صفى لكن في النهاية أهر الشاه بقتله بسبب قتله لشاب ايراني .

ومع أن العلاقات الايرانية الانجليزية كانت ودية في عصر الشاه صفى كما سنذكر في الفصل الخاص بعلاقات ايران وهولندا . ولكن الجزء الاكبر من تجارة ايران سواء الصادرات أو الواردات تحول الى أيدي التجار الهولنديين في عصر هذا الملك . وأعفى الهولنديون من أداء الرسوم الجمركية . ولما كان هذا الامر مبعث قلق لمندوبي شركة الهند الشرقية الانجليزية فقد طلبت الشركة من تشارلز الاول أن يرسل رسالة الى شاه ايران يوصى فيها برعاية مصالح الشركة . وقد كتب تشارلز الاول في الرسالة التي بعث بها الى الشاه صفى في سؤال ١٠٤٤ هـ ( ٢٧ مارس ١٦٣٥ م ) يشكو من أن التجار الانجليز لا يتسلمون الحبر في المواعيد المحددة أو بالكميات اللازمة بالرغم من الاتفاقيات ووعود شاه ايران ولهذا

(١) من كتاب علاقات ايران وأوروبا للدكتور خانبا بابيانى ويلاحظ ركافة الاسلوب .

(٢) مذكرات القس سانسون المبشر المسيحي الذي ذهب الى ايران سنة ١٦٨٣ م ( ١٠٩٤ هـ ) .

تلحقهم خسائر جسيمة . وهم يطلبون من شاه ايران أن يرعى مصالحهم وتنفيذ الأوامر التي سبق أن أصدرها فيما يتعلق بتجارة مندوبي شركة الهند الشرقية ويسلموهم مايلزمهم من حريير طبقا للاتفاقيات والمعاهدات السابقة وبالقيمة التي سبق تحديدها من قبل .

وقد ذكر الشاه صفى في رده على هذه الرسالة أن التجار الانجليز يتاجرون في ايران بحرية تامة ولا يعوق أحد عملهم ويأمل أن تحسن ماملة التجار الايرانيين في انجلترا ولايعوق أحد تجارتهم أو بيعهم وشراءهم لما يحتاجون من بضائع .

ومع هذا أخذت دائرة تجارة الهولنديين تتسع في ايران يوما بمرور يوم وتشتعل نار منافستهم مع الانجليز وتلتهب وسنة ١٠٤٩ هـ ( ١٦٣٩ م ) حصل التجار الانجليز من حاكم بغداد على اذن بتخليئة بضائعهم في ميناء البصرة وذلك حتى يوسعوا مجال تجارتهم في الخليج وينافسوا الهولنديين في العراق . ولكن هذا الامر أيضا لم يؤدي الى نتيجة مؤثرة وثبت لهم أنهم ان أرادوا النجاح في مساعيهم فعليهم اقامة مركز تجارى ثابت في البصرة وهذا ما حدث فعلا في سنة ١٠٥٣ هـ ( ١٦٤٣ م ) .

## علاقات إيران والانجليز في عصر الشاه عباس الثاني والشاه سليمان

في ذلك الوقت جمع الانجليز بعض السفن الحربية في الخليج منتهزين  
الخلاف الذي كان قد حدث بين الحكومة الايرانية والهولنديين وهاجموا على  
قلعة قشم وسواحل الخليج الايرانية وحصلوا على امتيازات جديدة من  
الشاه عباس الثاني . وعلى العكس فقد اختل الوضع التجارى لشركة  
الهند الشرقية الانجليزية في بندر عباس وعندما اضطرت الامو بسين  
الهولنديين والحكومة الايرانية وخوفا من اندلاع الحرب قام مندوبو شركة  
الهند الشرقية بنقل اموال مركزهم التجارى من بندر عباس الى البصرة .

ولكن هذه الرسالة لم تؤد الى أية نتيجة . وكما كتب شاردان في  
ايران أرسلوا بعض السفن الى البصرة وهدموا المركز التجارى الانجليزى  
هناك ، كما استولوا على مسقط من أيدي البرتغاليين . ولما كانت الحرب قد  
اندلعت بين الانجليز والهولنديين في أوروبا سنة ١٠٦٢ هـ ( ١٦٥٤ م ) بسبب  
تصويب قانون الملاحة في البرلمان الانجليزى ، فقد انقلبت المنافسة التجارية  
بينهما في الهند وايران الى نزاع وحرب وهو ما سنفصله في فصل آخر .

في هذه الاثناء اغتتمت الحكومة الايرانية الخلافات الانجليزية  
الهولندية فالغت بعض امتيازاتهم . منها أنها امتنعت عن دفع جزء من دخل  
جهاك بندر عباس كانت تدفعه للانجليز سنويا . ولهذا اشتمت شركة  
الهند الشرقية الى ملك انجلترا الذى كان آنذاك تشارلز الثاني . فكتب  
رسالة الى الشاه سليمان الصفوى في هذا الشأن مضمون جزء منها هو :

و كتبت لنا شركة الهند الشرقية في غاية الخضوع أنها منذ خمسين  
سنة وتقديرا للخدمات الهامة التى قدمت لها لصاحب الجلالة الشاه عباس  
الكبير خاصة مساعدته في الاستيلاء على قلعة قشم وجزيرة هرمز وبناء على



الشاہ عباس الثانی

عن صورة لاحد الرسامين المعاصرين له

المادة الثالثة من الاتفاقية الخاصة فقد تقرر أن يدفع للشركة نصف الرسوم الجمركية على البضائع التي ترد أو تصدر من هرمل الى جانب امتيازات أخرى وتشكو الشركة الآن من أن بعض مسئولى جلالتم قد حرموهم من بعض حقوقهم منذ بضع سنوات كما أنهم قللوا الرسوم الجمركية التي تدفع للشركة الى حد أنها لم تعد تصل الى ألف تومان .

ثم طلب من الشاه سليمان أن يأمر مسئوليه لدفع نصيب الشركة من الرسوم الجمركية وتأدية مالم يدفعوه من قبل وأن يحترموا الاتفاقية في المستقبل أيضا .

ولكن هذه الرسالة لم تؤد الى أية نتيجة . وكما كتب شاردان في مذكراته فان الشيخ على خان زنجنه الوزير الاعظم الذى كان قد تأثر من مجىء السفير الانجليزى الى اصفهان ومن محتويات رسالة تشارنر الثانى قال يوما لندوب شركة الهند الشرقية الذى يبدو وأنه كان في ذلك الوقت هو « اتين فليير » يبدو أنك الذى تحرض الانجليز كل يوم على المطالبة بمطالب لامعنى لها وترسل لنا كل يوم شخصا يضع على كتفه ذراعين من قماش أحمر كسفير جديد . أن الحكومة الايرانية قد دفعت للان أجر الخدمات التى قدمها الانجليز ألف مرة ، ولسنا أول من خالف الاتفاقيات بل أنتم ولهذا فلنا الحق في أن نعد هذا الاتفاق ملغيا .

كانت قوة الهولنديين ونفوذهم في الخليج أكثر كثيرا من الانجليز حتى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى ، ولكن حدثت في أوروبا أحداث أدت الى ضعف قوتهم في أواخر هذا القرن .

في سنة ١٠٨٣ هـ ( ١٦٧٢ م ) أعلن لويس الرابع عشر ملك فرنسا للحرب على هولندا بسبب تدخلها في النزاع بين أسبانيا وفرنسا وبعد ٤ سنوات الحق « دوكن(١) » قائد البحرية الفرنسية المشهور هزيمة منكرة بالقوات البحرية الهولندية في البحر الابيض المتوسط التى كان يقودها رويتر(٢) القائد البحرى الهولندى المعروف . وبعد هذا تصالحت للحكومة الانجليزية مع هولندا بعد أن كانت تؤيد فرنسا وذلك تحت ضغط الشعب الانجليزى الذى كان يعارض فرنسا . بل وقامت بتأييد هولندا مثل بقية

Ruyter

(٢)

Duqueone

(١)

الدول الاوربيه . ومن سنة ١١٠١ هـ ( ١٦٨٨ م ) حينما ارتقى ويليام دى أورانج (١) رئيس حكومة هولند عرش انجلترا اشتركت انجلترا فى اتحاد أكسبورج (٢) ضد فرنسا مثل هولندا أو من ذلك الوقت أصبحت السياسة الهولندية تحت تاثير سياسة انجلترا . وانتهى الخلاف بين هاتين الدولتين .

فى تلك الاوقات تدعور مقام الهولنديين ومركزهم فى آسيا بسبب الظلم والتعسف الذى ارتكبه فى الهند وبحر المشرق وعادت التجارة الانجليزية الى الازدهار فى القرن الثانى عشر . وفى سنة ١١٠١ هـ (١٦٨٨م) تركت الحكومة الانجليزية جزيرة بمباى التى كان البرتغاليون قد غادروها الى شركة الهند الشرقية فى مقابل ايجار زهيد كما سمحت للشركة بتكوين جيتس لتنفيذ أهدافها وتولى مسئولية ادارة بمباى بنفسها ولهذا انتقل مركز شركة الهند الشرقية من سورت الى بمباى .

بعد هذا أخذت الشركة رويدا رويدا فى الحصول على ممتلكات لها والاستيلاء على الاراضى وأخذت فى انتهاج سياسة استعمارية فى الهند . وأدى نجاح الشركة الى كراهية شديدة لها ومنافسة من التجار فى انجلترا حتى أن بعضهم كون شركة فى سنة ١١١٠ هـ باسم الشركة العامة لتجارة الهند الشرقية واستطاعوا الحصول على قانون من البرلمان الانجليزى والغاء امتياز احتكار تجارة المشرق الذى كان قد منح من قبل لشركة الهند الشرقية وأخذت المنافسة تزداد بين هاتين الشركتين والشركات الاخرى التى أخذت تظهر بعد ذلك ، واتضح بعد وقت قصير أن هذه المنافسة كانت ضد اصول التجارة والسياسة الانجليزية . لهذا اتحدت كل الشركات القديمة وكونت شركة كبيرة باسم « شركة التجار الانجليز لتجارة الهند الشرقية» . ومنذ ذلك الوقت أصبحت شركة الهند الشرقية مؤسسة وطنية عامة . وقام ملك انجلترا بتعيين مديرى الشركة فى مناصب رسمية كسفراء لدى ملوك الهند أو كقناصل أو ماشابه هذا وعن هذا الطريق زاد نفوذهم وسلطانهم .

---

William d,orange (١) Le Ligue d,auxbourg (٢)



## العلاقات الإيرانية الانجليزية في نهاية العصر الصفوي

بعد وفاة الشاه سليمان خلفه الشاه السلطان حسين وكان يميل الى الانجليز أكثر من ميله للهولنديين حتى أنه ذهب ذات يوم مع مجموعة من نساء حرمه في اصمهان الى المركز التجارى الانجليزى وخلع على المستر بروس (١) مدير المركز بطعة من الملابس وسيف مرصع وأمر بدفع نصيب الشركة عن عام من رسوم جمرك بندر عباس . وقد استقبله الانجليز استقبالا حافلا ووضعوا جميع مخازن الشركة تحت تصرفه حتى يعطى منها مايشاء لمرافقيه .



في سنة ١١١٧ هـ أصبح الخليج مسرحا لنشاط القراصنة ، ولما لم يستطع الانجليز القضاء عليهم قلت هيبتهم ونفوذهم في الخليج .

وفي سنة ١١٣١ هـ هجم عرب مسقط على البحرين واستولوا عليها ثم استولوا على بعض الجزر الساحلية الإيرانية ومنها جزيرة قشم بتحريض من الدولة العثمانية التي كانت تريد أن تستفيد من اضطراب

Brace

(١)

الأوضاع الداخلية في إيران ، وهجوم الأفغان عليها . وقد أراد لطف علي خان القائد الإيراني الشجاع وأخو فتح علي خان اعتماد الدولة الوزير الأعظم للشاه سلطان حسين التصدي لهم ولكن محمود الأفغانى كان قد هاجم كرمان قادمًا من قندهار وفاضطر لترك العرب وأسرع لصد الأفغان وبقيت هذه الجزر تحت سيطرة العرب .

وفي سنة ١١٣٤ هـ هجم جماعة من البلوتش على كرمان وفارس وارسلوا فرقة قوامها أربعة آلاف من الفرسان للاستيلاء على بندر عباس فتصدت لهم القوات الانجليزية والهولندية وحافظت على مراكزها التجارية هناك من السلب والنهب .

والى هنا ينتهى تاريخ العلاقات الإيرانية الانجليزية في العصر الصفوى وتتلخص علاقاتهم بعد ذلك حتى اوئل العصر القاجارى كما يلي :

أغلقت المراكز التجارية الانجليزية وغيرها في اصفهان فترة استيلاء الافاغنة على ايران وكان بندر عباس وجزر الجنوب غالبا عرضة لهجوم الافغان وشيوخ العرب . وكان نادر شاه أفسار في بداية حكمه لايحب الانجليز وكان ينظر اليهم بعين الشك والريبة لانه حين أراد مساعدة امام عمان سيف بن سلطان ثانى والقضاء على ثورة أتباعه بارسال أربعة آلاف من المشاه وألف وخمسمائة من الفرسان الى عمان امتنع الانجليز عن تقديم سفنهم له لنقل هؤلاء الجند بينما قدم له الهولنديون سفينة واحدة ، ولكنه بعد أن جلس على العرش غير سلوكه تجاههم وأصبح صديقا لهم ولكنه امتنع عن اعطاء امتيازات جديدة لشركة الهند الشرقية أثناء حكمه واكتفى بتحديد الامتيازات السابقة ودفع ألف تومان سنويا من دخل الرسوم الجمركية لبندر عباس .

بعد مقتل نادر شاه اضطربت أوضاع ايران مرة أخرى ، واستمر هذا الوضع حتى ظهور كريم خان زند وفي سنة ١١٦٥ هـ أغلق المركز التجارى الانجليزى في اصفهان ولم يفتح بعد ذلك . وفي سنة ١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م حينما كانت نار الحرب مشتعلة بين انجلترا وفرنسا في أوروبا وصلت الى بندر عباس أربع سفن فرنسية وقصفت المركز التجارى الانجليزى بالمدافع وأضرت فيه النيران ونهبوا ما كان به ، ولهذا اضطرت شركة الهند الشرقية

الى نقل مركزها التجارى مؤقنا من بندر عباس الى البصرة وذلك حتى عام ١١٧٧هـ / ١٧٦٤م وفى ذلك الوقت وافق كريم خان زند على أن تقوم الشركة بإقامة مركز لها فى ميناء بوشهر تزاوّل تجارتها منه . ولكن حوالى سنة ١١٨٣هـ - ١٧٧٠م اضطربت الأوضاع بين كريم خان والانجليز فأغلقوا مركزهم التجارى فى بوشهر وصار ميناء البصرة هو مركز تجارة شركة الهند الشرقية . وبعد أربع سنوات انتقل المركز الى بوشهر بسبب انتشار وباء الطاعون فى بغداد والبصرة واستقلت مجموعة من موظفى الشركة سفينتين الى ميناء بمباى ولكن كريم خان - الذى كان غاضبا عليهم - أرسل بعض السفن فى طريقهم استطاعت أن تأسر إحدى السفينتين وحملت اثنتين من مسؤولى الشركة الى شيراز حيث سجنهما لمدة عام .

بموت كريم خان انتهى عصر سيطرة واستيلاء ايران على الخليج وأخذت قدرة انجلترا تزداد فى البحر ولما كان هذا يخرج عن موضوع الكتاب فإننا لن نتعرض له .

## مصادر هذا الفصل

أهم المصادر التي تناولت تاريخ العلاقات الإيرانية الإنجليزية والتي وردت في هذا الفصل هي :

- ١ - كتاب دون جوان الإيراني ترجمة المستشرق الإنجليزي لسترانج لندن ١٩٢٦ .
- ٢ - شرح رحلة الاخوين شيرلي لندن سنة ١٨٢٥ وترجمتها الفارسية .
- ٣ - الشاه عباس الاول تأليف لوسيان لوى بلان باريس ١٩٣٢ .
- ٤ - رحلة كرنليوس دي بروين الفارس والرسام الهولندي في جزئين .
- ٥ - رحلة شارदान الفرنسي في عشر مجلدات طبع روين سنة ١٧٢٣ .
- ٦ - ايران والمسألة الإيرانية تأليف لورد كيرزن لندن ١٨٩٢ في جزئين .
- ٧ - رحلة بيتردلا فاليه الايطالي ٨ أجزاء طبع روين ١٧٣٥ .
- ٨ - الخليج الفارسي تأليف سيرارنولدويلسون اكسفورد سنة ١٩٢٨ .
- ٩ - رحلة بابتيسمت تافرنيه الفرنسي جزئين باريس سنة ١٦٩٢ وترجمته الفارسية .
- ١٠ - أول رحلة الى روسيا وايران لانتونى جينكس تأليف دلمار هورجان وكوت لندن ١٨٨٥ .
- ١١ - تتويج الشاه سليمان تأليف شارदान - الترجمة الفارسية .
- ١٢ - رحلة دون جارسيا سيلفا فيجورا باريس ١٦٦٩ .
- ١٣ - رحلة سير توماس هيدبرت لندن ١٦٧٧ .
- ١٤ - عالم آراى عباسى تأليف اسكندر بك منشى تركمان .
- ١٥ - تاريخ سير جون مالكون السفير الإنجليزي لدى بلاط فتح على شاه قاجار .
- ١٦ - رحلة مانلسلو الترجمة الفرنسية بواسطة آدم دى ديكفور باريس ١٦٧٩ .
- ١٧ - رحلة أولياروس سفير فردريك دون هلتشفاين والذي جاء الى ايران سنة ١٠٤٦هـ ( ١٦٣٧ م ) .

- ١٨ - مذكرات باري عن رحلة أنطوني شيرلي لندن سنة ١٦٠١ م .
- ١٩ - تاريخ الرحلات البحرية والبرية تأليف بورشاس جلاسجو  
١٩٠٥ م مجلدات .
- ٢٠ - حالة ايران في سنة ١٦٦٠ م تأليف « الاب » رافائيل دومانس  
طبعة شيفر سنة ١٨٩٠ ومقدمته .
- ٢١ - قصة السير انطوني شيرلي تأليف السير دينيس روس Sir D. Ross  
لندن ١٩٣٣ م .
- ٢٢ - أحسن التواريخ تأليف حسن بك ردملو .
- ٢٣ - تاريخ ايران تأليف سايكس Sir P.M. Sykes لندن ١٩١٧م .
- ٢٤ - دائرة المصارف الفرنسية .
- ٢٥ - منتظم ناصري ج٢ تأليف محمد حسن خان صفيح الدولة .
- ٢٦ - « مناظر ايران وما يلفت النظر فيها » تأليف اندريه دوليه -  
دلاند باريس سنة ١٩٧٣ م .
- ٢٧ - أقدام العلاقات بين ايران وروسيا تأليف سيد محمد علي جمال  
زاده ملحق مجله كاوة المجموعة الثانية .



## الفصل الثالث

علاقات ايران وهولندا





## علاقات ايران وهولندا

### بداية تجارة الهولنديين مع دول المشرق :

قبل أن نتحدث عن تاريخ العلاقات الايرانية الهولندية يحسن أن نذكر نبذة عن تاريخ تجارة الهولنديين مع دول المشرق والهند .

كان الهولنديون يتاجرون مع الهند ودول المشرق عن طريق ليشيؤونه عاصمة البرتغال وذلك من منتصف القرن السادس عشر الميلادى لان هولندا في ذلك الوقت كانت من بين مستعمرات الامبراطورية الاسبانية . ولما كان فيليب الثانى يريد أن يحتكر تجارة المشرق لاسبانيا والبرتغال لهذا كان يحتجز السفن الهولندية في الغالب ويمنعها من الاتجار مع المستعمرات البرتغالية في المشرق ولكن الهولنديين الذين يحبون التجارة كثيرا ويريدون مشاركة البرتغاليين في ارباح التجارة مع المشرق لم يتراجعوا واستطاعوا الاتجار مع الدول الاسيوية عن غير طريق اسبانيا .

وفي سنة ٩٩١ هـ ( ١٥٨٣ م ) قام أحد أهالى مدينة هارلم الهولندية اسمه جان هويجن فان لينشوتين(١) بالسفر برفقة أسقف جوا الى الهند وظل بها حتى سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩٢م) وحصل على معلومات هامة عن المنتجات التجارية وطرق السفن الى الهند ووسائل المنافسة مع التجار البرتغاليين وغير ذلك ، وحينما عاد الى هولندا نشر معلوماته هذه كما كتب كتابا لارشاد البحارة الهولنديين الذين يذهبون للمشرق بين فيه الطريق البحرى بين أوروبا والمشرق مع الجزر والموانى التى تقع على الطريق وهبوب الرياح الموسمية والتيارات البحرية في المحيطين الاطلسى والهندي وغير هذا من المعلومات المفيدة كما أضاف للكاتب بعض الخرائط والجداول .

وبعد عودة لينشوتين بقليل قام تجار أمستردام بارسل كورنليس هوتمان(٢) - الذى كان قد سافر قبل ذلك عدة مرات على السفن البرتغالية الى الهند - الى ليشيؤونه ليجمع لهم معلومات كافية وكاملة عن تجارة الهند

Jan Huyghem Van Linschoten

(١)

Cornelis Houtman

(٢)

الشرقية وعاد هوتمان سنة ١٠٠٣ هـ ( ١٥٩٤ م ) من البرتغال الى هولندا وأبدى استعداده لقيادة مجموعة من السفن الهولندية يحمل عليها مجموعة من التجار الهولنديين الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح وقد وافقه تجار أمستردام على هذا وأرسلوا أربع سفن تحت قيادته الى « الناحية الاخرى من رأس الرجاء الصالح » سنة ١٠٠٧ ( ١٥٩٨ - ١٥٩٩ م ) وعاد هوتمان في العام التالي الى هولندا وكان ثلثا مرافقيه قد هلكوا أثناء الرحلة واحترقت إحدى سفنه ولم يتم بعمل كبير في التجارة سوى عقده لاتفاقية مع ملك بونتام Bontam في جزيرة جاوة حصل بمقتضاها على حرية للسفن الهولندية في التجارة مع مجموعة جزر الهند الشرقية .

بعد هذا أرسل التجار الهولنديون سفنا متتابعة الى الهند وجزر جنوب شرق آسيا من بينها خمس عشرة سفينة عبرت رأس الرجاء الصالح فيما بين ١٠٠٧ ، ١٠١٠ هـ .

في تلك الاثناء تكونت عدة شركات تجارية هولندية واتحدت هذه الشركات سنة ١٥٩٧ م ( ١٠٠٥ هـ ) في شركة كبيرة واحدة باسم « شركة التجارة مع الدول النائية » وفي سنة ١٦٠٢ ( ١٠١٠ هـ ) وحدت الحكومة الهولندية الشركات المختلفة التي كانت تتاجر مع الهند الشرقية - وكانت تتنافس فيما بينها غالبا - في شركة كبيرة باسم « شركة للهند الشرقية الهولندية » واعطتها مطلق الحرية في التجارة لمدة ٢٠ عاما .

وقد أخذ الهولنديون منذ عام ١٥٩٩ م ( ١٠٠٨ هـ ) في منافسة للتجاره الانجليز في المطارة والتوابل وتسببوا لهم في خسائر فادحة وكان هذا الامر - كما ذكرنا في الفصول السابقة - سببا في تاسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية .

في سنة ٢٠١١ هـ حطم الهولنديون مجموعة من السفن البرتغالية بالقرب من بونتام وشقوا طريقهم الى جزر ملوك او جزر التوابل وفي العام التالي هددوا ميناء جوا مركز تجارة البرتغاليين في الهند وفي سنة ١٠٢٨ هـ ( ١٦١٩ م ) استولوا على جزيرة جاوة أيضا وجعلوا مدينة باتافيسا Batavia ( جاكرتا حاليا ) عاصمة ومركزا تجاريا لهم . ومنذ سنة ١٠٤٧ هـ ( ١٦٣٧ م ) أخذوا في اخراج البرتغاليين من جزيرة سرنديب

( سيلان ) وبعد ثلاث سنوات أى فى سنة ١٦٤١ م استولوا منهم على شبه جزيرة ملاكا Malaca . وفى سنة (١٠٦٣هـ) (١٦٥٣) سقطت راس الرجاء الصالح التى كانت أهم محطة فى الطريق بين أوربا والهند فى أيديهم . كما سقطت فى نفس هذا العام تقريبا كل المستعمرات البرتغالية فى المشرق فى قبضة الهولنديين .

### بداية تجارة الهولنديين مع ايران :

بعد أن استولت ايران على جزيرة هرمز من أيدي البرتغاليين وجعلت بندر عباس مركزا لتجارة الخليج وجد الهولنديون طريقهم الى بندر تاز وأسسوا هناك مركزا لتجارتهم فى سنة ١٠٣٢ هـ ( ١٦٢٣ م ) وكانت ذريعتهم للتقدم للخليج والاشتراك فى تجارة ايران أنهم أثناء القتال بين السفن الانجليزية والبرتغالية عاونوا الانجليز .

ولما كان الشاه عباس آنذاك مشغولا فى حرب العثمانيين للاستيلاء على جزء من بلاد بين النهرين والعراق ( بغداد ) وكان يقاتل حافظ أحمد باشا القائد التركى حول هذه المدينة فانه لم يعترض على الهولنديين .

بعد هذا بقليل قامت شركة الهند الشرقية الهولندية بإرسال شخص اسمه هويرت فيسنيك (١) كسفير الى بلاط أصفهان وطلبت من الشاه عباس الذى كان قد عاد منتصرا من حرب بغداد أن يشترك فى تجارة الهولنديون فى تجارة الحرير . وقد استقبل الشاه عباس هذا السفير بالترحاب وعقد بين الطرفين اتفاق فى ٢١ نوفمبر ١٦٢٣ م ، ( ٢٦ محرم ١٠٣٣ هـ ) فيما يلى بعض أهم مواد :

١ - يسمح الشاه الايرانى لكل رعايا هولندا بالسفر فى كل أنحاء ايران بحرية تامة ولهم حرية شراء أو بيع أى بضاعة .

٢ - يعنى التجار الهولنديون من دفع أية رسوم نقدا فيما عدا رسوم الطرق ولكن ليس لهم الحق فى استيراد أو تصدير بضاعة تزيد عن الحد .

٣ - أموال الهولنديين سواء البضائع أو النقد تخضع لحريتهم فى

الدخول والخروج الا البضائع الممنوعة ويستطيعون السفر مع بضائعهم في  
ايران .

٤ - يسمح للهولنديين باستخدام الاوراق والاوزان المستعملة في  
بلادهم في معاملاتهم التجارية .

٥ - اذا توفي أحد الرعايا الهولنديين في أى مكان بايران فان الحكومة  
الايرائية تتعهد بتسليم أمواله الى أحد مواطنيه في ذلك المكان أو الى مندوب  
شركة الهند الشرقية الهولندية .

٦ - على المسئولين الايرانيين مساعدة التجار الهولنديين في تهيئة  
المسكن والماكل ووسائل الحمل والنقل وما شابه ذلك ، وتوصيلهم من مدينة  
الى أخرى اذا اقتضت الضرورة .

٧ - يعد مركز تجارة شركة الهند الشرقية الهولندية آمنا من الهجوم  
أو التعرض له ولا يحق لاي مسئول قضائى الدخول فيه دون اذن للهولنديين  
الحق في الدفاع ومقاومة أى هجوم .

٨ - يسمح للهولنديين باقامة كنيسة لهم في ايران .

٩ - اذا دخل أحد الرعايا الهولنديين في الاسلام فان مندوب الشركة  
يستطيع أن يلقى القبض عليه في أول فرصة ويستولى على أمواله .

١٠ - يستطيع التجار الهولنديون تصدير أى سلعة من ايران سوى  
الخيول والبضائع التى تمنح الدولة تصديرها .

بعد عقد هذا الاتفاق أرسلت الحكومة الهولندية خطاب شكر الى الشاه  
عباس ، وقام الشاه عباس - الذى كان ينظر بعين الحب والرضا الى  
الهولنديين - بارسال أحد رجال بلاطه واسمه موسى بك كسفير الى هولندا  
للعمل على اقامة علاقات الود والصداقة معها ضد حكومتى أسبانيا والبرتغال  
وحملة برسالة نقلها فيما يلى :-

## رب العالمين عزز شأنه

نظام السلطنة والشوكة والنصفة والابهة والاقبال ملك النديس .

الى المجلس العالي والمخفل المتعالى حضرة رفيع المرتبة على المنزلة عز السلطنة والشوكة . عظيم الجلالة والانتساب حمى المملكة موطن العدل الرفيع الجاه والمحبة ، من له المودة شعارا ، حسن الاطوار ، سليل السلاطين العظام ، خلاصة الملوك رفيعى الجاه ، أعظم الولاة شوكة فى الديانة المسيحية أعدل الملوك المتمكنين فى بلاد الفرنجة الملك ذو الجاه عظيم الاداة صاحب الامر فى الممالك فسيحة المسالك . . . .

بعد هذا فانه نتيجة لدواعى المحبة وما يقتضيه ما بيننا وبين حضرات السلاطين العظام المسيحيين والملوك رفعى الجاه الفرنجية من روابط الصداقة والوداد وضوابط المصادقة والاتحاد المرعية وبعد أن فتحت أبواب الحىء، والذهاب والرسول والرسائل فقد كنا ننتظر أن تراعى هذه الظاهرة من ناحيتكم وتظهر آثار الوحدة والاتحاد ولكن لم يحدث هذا خلال هذه المدة حسب التقدير الالهى لم يجرى أحد من قبلكم الى ديارنا وفى هذه الاثناء وصل حامل الرسالة المتضمنة أسلوب المحبة واطلعنا على حقيقة حالكم مما أدى الى سرورنا وانبساطنا وغبطتنا ، وقد اطلع مبعوثكم على أطوار بلادنا واطمأننا ثم عاد ، ومن واجبات المحبة والصداقة أن ترعى هذا المسلك المرضى على عكس ماضى وأن تفتح أبواب الالفة والمعونة وأن نقوى قواعد الصداقة والمحبة عن طريق الرسائل المستمرة المشتملة على المودة والالفة وألا نسمح بالتنافر والتغير وأن نسمح لرافقيننا ورجال مملكتنا بالقدوم الى هذه المملكة فى غاية الاطمئنان والامان . ومزاولة الشراء والبيع حسبما يريدون وأن يتصرفوا وفقا لما يشاءون فلن يستطيع أحد فى دولتنا من منعهم ويمكنهم شراء أو بيع متاع أو بضاعة فى هذه البلاد أو شرائها والعودة الى بلادهم موقنين .

ونأمل أن تأمروا لى تزداد قواعد المحبة والصداقة ، ولما كان الغرض هو اظهار المحبة والصداقة فاننا لم نطلب ، جعل الله مواقب الامور مقرونة حسب رضاه بالخير وجعل التوفيق والسداد - بتقديره الالهى - ممهدا لكم وسديدا .

وقد وصل موسى بك الى مدينة لاهاي في جمادى الاولى ١٠٣٥ هـ  
( فبراير ١٦٢٦ م ) وقدم رسالة الشاه عباس وهداياه الى ملك هولندا  
وقدم السفير الايراني مقترحاته الى الحكومة الهولندية بناء على توجيهات  
الشاه عباس وأهمها :

١ - تستدعى الحكومة الهولندية كل سفرائها ومندوبيها من الاراضى  
العثمانية وتفتح أبواب تجارتها مع ايران لان التجار الهولنديين لا يتمتعون  
في الاراضى العثمانية بالامتيازات والحرية التى يتمتعون بها في الاراضى  
الايرانية .

٢ - يعطى شاه ايران الحرية الكاملة للتجار الهولنديين في شراء أو  
بيع أية بضائع في ايران ويوصى مأمورية أن يحسنوا معاملة الهولنديين  
وأن يحصلوا منهم على أية رسوم أو أموال .

٣ - يتعهد السفير الايراني بأن ايران حين تسترد جزر هرمز وقشم  
وميناء جمبرون من ملك اسبانيا فانها سوف تغلق الطريق التجارى البحرى  
في الخليج في وجه السفن الاسبانية والبرتغالية لصالح الهولنديين أصدقاء  
ايران وحتى يستطيع التجار الهولنديون مزاوله التجارة في الخليج بحرية  
تامة .

٤ - لما كانت بعض قلاع مسقط ولارك ماتزال في أيدي البرتغاليين  
فان شاه ايران على استعداد لارسال قواته البرية والبحرية للاستيلاء  
على هذه القلاع بمساعدة القوات البحرية الهولندية بشرط أن تقبل الحكومة  
الهولندية نفس الشروط والقواعد التى قبلتها شركة الهند الشرقية الانجليزية  
في مساعدتها للحكومة الايرانية لاسترداد جزيرة هرمز .

ولكن الحكومة الهولندية كانت قد حصلت قبل هذا من الشاه عباس  
على ماتريد من امتيازات طبقا للاتفاقية التى أشرنا اليها وكانت ترى أن  
حربها مع الحكومة الاسبانية في الخليج « الفارسى » لن تستفيد منها ، ولهذا  
لم تعط للسفير الايراني ردا صريحا أو ايجابيا وعاد الى آسيا في جمادى  
الثانى سنة ١٠٣٦ هـ ( ١٦٢٧ م ) برفقة جان فييبرز كوين (١) حاكم مدينة  
باتافيا حاملا رسالة مجاملة للشاه عباس .

وقد وصل موسى بك في رمضان ١٠٣٨ هـ الى أصفهان برفقة سفير اسمه جان شميث(١) أرسله معه حاكم باتافيا وذلك بعد أربعة أشهر من وفاة الشاه عباس وقدم الرسائل والهدايا التي أرسلها معه حاكم هولندا الى خليفته الشاه صفى .

بعد وفاة الشاه عباس انتهز الهولنديون الفرصة وأخذوا في مقاومة مندوبي شركة الهند الانجليزية عن طريق استمالة المسئولين في الحكومة الإيرانية ورفع أسعار البضائع الإيرانية وكان هدفهم هو اخراج الانجليز بأية وسيلة من المراكز التجارية والموانئ في الخليج . ولكن الشاه صفى خليفة للشاه عباس جدد الامتياز الذي كان لشركة الهند الشرقية الانجليزية لتجارة الحرير في ايران بشروط جديدة تحفظ مصالح ايران بشكل أحسن .

تحول جزء هام من تجارة ايران الى أيدي الهولنديين في زمن الشاه صفى وأعفتهم الحكومة الإيرانية من دفع الرسوم والجمارك على الواردات وكانت أهم الحاصلات من الهند وجزر جاوه وسومطرا مثل الفلفل والزعفران ومختلف أنواع العطارة ترد عن طريقهم الى ايران وكانت السفن الهولندية تبحر باستمرار بين ايران والهند بل انهم في سنة ١٠٥١ هـ ( ١٦٤١ م ) كانوا يبيعون البضائع الاوربية في ايران بأقل من قيمتها الاصلية وذلك لكي يحتكروا تجارة البضائع الاجنبية في ايران .

### هجوم الهولنديين على قلعة قشم :

في اواخر سنة ١٠٤٦ هـ ( أبريل ١٦٣٧ م ) وصل الى ايران مندوبون من قبل فردريك دوق هلشتاين(٢) لبدء التجارة مع ايران والحصول على امتياز تصدير الحرير منها وقابلوا الشاه صفى في اصفهان واستقبلهم ملك ايران بكثير من الترحاب .

وقام الهولنديون بمساع لمنع هؤلاء المندوبين من تحقيق هدفهم حتى لزيارة الوفد في نفس يوم وصوله وقال لهم صراحة أن مهمتهم ضد مصالح أن نيكولاس جاكوبس أوفرشل (٣) مندوب الشركة الهولندية تذهب

١- Jan Smidt

(١)

٢- Frederic duc de Hole Stien

(٢)

Nicolas Jacobs Over Schle

(٣)

ومنافع شركة التجارة الهولندية وأنه سوف يمارضهم بناء على أوامر الشركة .  
ثم قام برفع قيمة كل حمل من الحرير من ٤٢ تومانا الى ٥٠ تومانا على الفور  
وبهذا منعوا الشاه من عقد اتفاق مع مندوبى دوق هلمشتاين لتجارة الحرير  
ولكن بعد أن غادر هؤلاء المندوبين ايران خفضوا قيمة الحرير الى ٤٤ تومانا .  
وقد غضب شاه ايران من هذا التصرف وأصدر أمرا في سنة ١٠٥١ هـ بتحصيل  
الرسوم الجمركية على البضائع الهولندية التي كانت معفاة منها حتى ذلك  
الوقت . وعارض الهولنديون بدورهم وجمعوا قواتهم البحرية في الخليج .

وفي خريف سنة ١٠٥٥ هـ ( ١٦٤٥ م ) أى في السنة الرابعة لجلوس  
الشاه عباس الثانى على العرش ، هاجموا قلعة قشم . وفى نفس الوقت  
أرسلوا بعض السفن الى جزيرة هرمز وسواحل الجنوب ليمنعوا التجار  
الهنود وشركة الهند الشرقية الانجليزية من الاتجار مع ايران ولكن الحرارة  
الشديدة قضت على بعض ملاحهم ولم يصلوا الى نتيجة من هذه العملية  
فاضطروا لمصالحة الشاه وقدموا اليه والى المسؤولين الايرانيين بعض التحف  
والهدايا فاعفيت بضائعهم مرة أخرى من الجمارك على اذن بشراء الحرير  
بسعر ٤٦ تومانا لكل حمل(١) .

فى الوقت الذى حدث فيه خلاف بين الهولنديين والحكومة الايرانية  
على سعر الحرير كما ذكرنا ، جاء أحد الامراء العرب - وكان قد استرد مسقط  
من ايدى البرتغاليين - الى هرمز واقترح على كارل جونستانت(٢) مندوب

(١) يذكر السير ارنولد ويلسون فى كتابه « الخليج الفارسى » هذه  
الاهداث بصورة أخرى نقلا عن مذكرات «ج. بروس فيقول فى ١٦٤٥ - ١٦٤٦ ،  
لجأ التجار الهولنديون الى القوة لكي يرعبوا الايرانيين ويحصلوا على حق  
احتكار تجارة ايران وهو ماسبق أن اقتراحه مندوبو شركة الهند الشرقية  
على رؤسائهم مرارا ولم يقبل . فجمعوا سفنا عديدة فى الخليج وهاجموا  
قلعة قشم فى خريف سنة ١٦٤٥ فارتعد شاه ايران من هذا الهجوم  
وطلب الصلح من الكمودور بلوك Commodore Blook قائد السفن  
الهولندية على أن يمنح الهولنديين امتيازات تجارية خاصة وتوجه بلوك  
لاصفهان وقابل الشاه وعقد اتفاقية بمقتضاها يشتري الهولنديون ايسة  
كمية من الحرير من أى مكان فى ايران ويصدرونها دون دفع رسوم جمركية ،  
وقد تسبب هذا فى خسارة كبيرة لتجارة الانجليزية وضعف الروابط التجارية  
التي كانوا قد اقاموها بين ايران والسواحل العربية .

Karel Gonstant

(٢)



الشركة الهولندية أن يستعمل سواحل الجزيرة العربية للتجارة مع القطيف والبصرة بدلا من الموانئ الإيرانية ووعده بتهيئة الجمال اللازمة لحمل البضائع الى مسقط ومن هناك سوف يتعهد لهم أمير مسقط باعداد وسائل النقل . ولكن الهولنديين لم يقبلوا هذا العرض خوفا من أن يغضب شاه إيران منهم . وتصادف أن الشاه أرسل الى الهولنديين في نفس ذلك الوقت رسالة ذكر فيها أن رعاياه يمكنهم بسهولة الاستغناء عن التوابل الهندية التي كانت أهم سلعة للهولنديين لان في إيران بعض الاعشاب أفضل من الفلفل والقرنفل الهندي وأشد منها . وقد أدت هذه الرسالة الى قلق الهولنديين واضطرابهم نظرا لانهم كانوا يبيعون في إيران أكثر من ثمانمائة طن من التوابل كل عام . وكانوا يستخدمون ثمنها في شراء الحرير ، ولهذا لم يقبلوا عرض الأمير العربي الذي ربما كان سيتسبب في غضب شاه إيران عليهم .

#### منافسة التجار الهولنديين والانجليز :

بعد أن تصالح الهولنديون مع الشاه عباس الثاني وأعفيت بضائعهم مرة أخرى من الرسوم الجمركية صمموا على ابعاد سيطرة الانجليز عن سواحل الخليج ، لهذا سارعوا بإرسال ثمان سفن حربية الى البصرة وهدموا المركز التجاري الانجليزي في هذه المدينة . بعد ذلك ايضا قام العرب بتحريض من شركة الهند الشرقية الهولندية ومساعدتها بطرد البرتغاليين من مسقط سنة ١٠٦٠ هـ ( ١٦٥٠ م ) فأتسعت دائرة نفوذ الهولنديين في الهند والخليج . وفي نفس العام وصلت الى بندر عباس إحدى عشرة سفينة هولندية حاملة كثيرا من البضائع . وبعد عامين أحضر الهولنديون بضائع الى إيران تصل قيمتها الى حوالي ٢٢٠ ألف جنيه استرليني فالحقوا بخسارة كبيرة بالتجارة الانجليزية وضع كل هذا ولائهم كانوا قد طلبوا من الشاه عباس الثاني أن يمنحهم امتيازات الانجليز ولم يقبل فان للتجارة الانجليزية نفسها مع إيران قد انخفضت الى حد كبير ولكنها لم تتوقف .

وفي سنة ١٠٦٢ هـ ( ١٦٥٢ م ) اشتعلت الحرب في أوروبا بين انجلترا وهولندا وكان سببها القانون الذي أصدره كرومويل (١) والمعروف باسم

Cromwell

(١)

تاتون الملاحة (١) في ٩ أكتوبر ١٦٥١ م (١٠٦١) وبموجبه لايجوز للسفن الأوربية أن تحمل إلى إنجلترا سوى البضائع التي تنتجها الدول التابعة لها تلك السفن وأعطى حمل ونقل البضائع الأمريكية والاسيوية إلى السفن الإنجليزية .

وقد رأى الهولنديون أن هذا القانون يضر بمصالحهم التجارية فدخلوا في حرب مع إنجلترا اعتمادا على قوتهم البحرية وبتشجيع من قائديهم البحريين المشهورين ترومب (٢) ورويتز (٣) واستمرت هذه الحرب عامين . بعد اعلان هذه الحرب بقليل وصلت بعض السفن الهولندية إلى ميناء سورت الهندي ومنه إلى الخليج وعرضوا على البرتغاليين أن يتعاونوا معهم ضد شركة الهند الشرقية الإنجليزية . ليكفوا يد الإنجليز عن بحار آسيا . ولكن لم يقبلوا هذا العرض . واستولى الهولنديون وحدهم على ثلاث سفن إنجليزية على مقربة من ميناء جاسك . وفي العام التالي أغرقت خمس سفن هولندية سفينتين إنجليزيتين كبيرتين قرب بندر عباس وأسروا ثلاثين إنجيزيا .

وفي سنة ١٥٦٤ هـ (١٦٥٤م) الحق بليك (٤) القائد الإنجليزي هزيمة بالقوات البحرية الهولندية في أوروبا مما اضطر هولندا لطلب الصلح . وطبقا للمعاهدة التي عقدت بين الدولتين تحسنت أحوال الإنجليز المضطربة في بحار آسيا إلى حد ما ودفعت الحكومة الهولندية ٨٥٠٠٠ جنيه إنجليزي غرامة لشركة الهند الشرقية الإنجليزية .

وفي عصر الملك تشارلز الثاني اشتعلت الحرب مرة ثانية بين الدولتين سنة ١٠٧٥ هـ (١٦٦٤ م) واستمرت حتى بداية سنة ١٠٧٨ هـ (يونيو ١٦٦٧ م) وانتهت بهزيمة إنجلترا ولكن هذه الحرب لم تؤثر بشكل كبير على الأوضاع في الخليج .

في ذلك الوقت - أي سنة ١٠٧٥ هـ (١٦٦٤ م) - أسست شركة فرنسية باسم شركة الهند الشرقية أيضا ، فظهر منافس جديد للهولنديين والإنجليز في تجارة الشرق .

Acte de ma Navigation

Rugter (٤)

Blake (٣)

Tromp

(١)

(٢)

وكان نفوذ هولندا وقدرتها في الخليج أكبر كثيرا من انجلترا حتى  
أواخر القرن الحادى عشر الهجرى ، ولكن هذا النفوذ والقدره أخذتا في الضعف  
منذ أواخر ذلك القرن بالتدريج للأسباب التى سنذكرها .

بعد أن بدأ لويس الرابع عشر حكمه الاستبدادى في فرنسا ، أعلن  
الحرب على أسبانيا وهولندا لكى يعيد حدود فرنسا الى طبيعتها كما كان  
يقول . وفى سنة ١٠٨٧ هـ ( ١٦٧٦ م ) الحقت القوات البحرية الفرنسية  
هزيمة بالقوات الاسبانية والهولندية في البحر المتوسط وقتل رويتر القائد  
البحرى الهولندى المشهور . وقد ساعدت انجلترا فرنسا في بداية هذه  
الحرب وكانت تحارب الهولنديين ، ولكن بعد أن اعتلى ويليام دى أورانج (١)  
عرش انجلترا اتحدت انجلترا وهولندا وأصبحت حكومة هولندا تابعمة  
لحكومة انجلترا . ولما كان الهولنديون قد فقدوا حيثيتهم واعتبارهم في  
ايران فى ذلك الوقت بسبب ظلمهم وتعسفهم فقد أخذ نفوذهم يقل رويدا  
رويدا في الخليج وسواحل ايران وازدهرت تجارة شركة الهند الشرقية  
الانجليزية .

### سبب نجاح الهولنديين فى تجارة الشرق :

يرجع السبب فى نجاح تجارة شركة الهند الشرقية الهولندية فى الهند  
وايران الى أن للحكومة الهولندية كانت تتدخل فى شئون تلك الشركة ولم  
تكن تتوانى عن أية مساعدة أو عون ، كما أن الهولنديين عندما دخلوا ميدان  
تجارة الشرق أخذوا فى جمع المعلومات الدقيقة عن تجارة الدول الشرقية  
ودفع الوطنيون الهولنديون فى جميع أنحاء البلاد مبالغ كبيرة لانجاح اهداف  
الشركة . واعتزمت شركة الهند الشرقية الهولندية الاستيلاء على الجزر  
المنتجة للتوابل وابعاد أى اناس آخرين عنها ، بينما لم يكن للتجار  
الانجليز أو البرتغاليين للذين يعملون فى تجارة الشرق أمل كبير فى حماية  
دولهم لهم وكانت مؤسساتهم التجارية فى الشرق دون حمام أو حافظ ،  
كما أن الانجليز خصصوا مبالغ قليلة لتجارة الشرق ، وكانوا يستخدمونها  
فى مختلف الاغراض ، كما أن الدولة لم تكن تساعدهم وكانت شركة الهند  
الشرقية الانجليزية شركة خاصة أو شخصية بعكس الشركة الهولندية

التي كنت شركة وطنية ، ولهذا كان النصر حليف الشركة الهولندية في المنازعات أو المنافسة التي كانت تحدث بين الشركتين في آسيا ، ولكن عندما غيرت الشركة الانجليزية سياستها في الشرق - كما سبق أن ذكرنا في مصل العلاقات الايرانية الانجليزية - وقامت الحكومة الانجليزية بحمايتها وتقومها فان دائرة نفوذ الشركة في الشرق أخذت في الاتساع وأخذت تفضى على منافسيها بالتدريج .

ازدهرت التجارة الهولندية كثيرا في عهد الشاه عباس الثاني ، وكان حجم تعاملهم التجارى أضعاف حجم التعامل الانجليزي أو الاسباني والبرتغالي . وكانت البضائع التي يجلبها الهولنديون الى ايران أغلبها من المصنوعات الاوربية المختلفة وأكثرها من الحاصلات الهندية وكانت أهم المصنوعات الاوربية هي الجوخ الهولندي بألوانه المختلفة والحاصلات الهندية مثل للتوابل المختلفة والسكر والنيلة والاشباب الثمينة والطور والفضة والرصاص والنحاس والمنسوجات الصوفية وماشابه هذا . ولم تكن الشركة الهولندية تدفع أية رسوم جمركية على واردتها في ايران ، ولكنها كانت مضطرة لشراء ستمائة حمل حرير على الاقل كل عام بالثمن الذي تحدده الحكومة الايرانية ولهذا لم يكن الهولنديون يربحون كثيرا من الصادرات الايرانية وكانت أكثر أرباحهم من وارداتهم الى ايران ، وبالإضافة الى الحرير كانوا يشترون ( القطيفة ) المخمل والاقمشة الصوفية والسجاد وخاصة الفاكحة والخمور أيضا ، وأحيانا كانوا يصدرون الى أوروبا الخزف الايراني الذي يصنع في مشهد وكرمان وكان في حسنه يشبه الخزف الياباني والصيني ، وكانوا يستعوضون به عن الخزف الصيني والياباني ، وكان تعاملهم يتم بالريال الايراني غالبا بالقرش الاسباني .

وقد استمر الهولنديون مدة يحملون المرمز والاحجار الممتازة الاخرى من هرمز وبندر عباس الى الهند وجاوه ويستخدمونها في بناء مراكزهم التجارية هناك وذلك بدلا من عودة سفنهم خالية . ولكن حين اعترضت الحكومة الايرانية على هذا لجأوا الى تجارة الملح وحملوه على سفنهم حتى الصين واليابان .

وكان الهولنديون في تجارتهم يلجأون للحيلة والمكر كثيرا ولم يتورعوا عن الكذب والخداع للقضاء على منافسيهم أو تحقيق مصالحهم وكان التجار

الایرانیون یشفکون من حیلم التجاریة ومن کان منهم یتعامل مع الهولندیین غالباً ما کان أمره ینتهی الی الافلاس وکان معروفاً بین التجار الایرانیین أنه یمکن التعامل مع کل الفرنج الا الهولندیین الذین یخدعون کل الناس ومن الحال خداعهم .

وقد استمر احتکار الهولندیین لواردات ایران من أوروبا والهند مدة طويلة وکانوا یضیقون علی منافسینهم ببيعهم لبضائعهم بأسعار رخيصة . ولم یکن للتجار الایرانیین قدرة علی مخالفتهم لانهم اذا لم یقبلوا شراء البضائع الهولندیة فی بندر عباس بالتمن الذی یطلبونه فان مندوب الشركة کان یحمل هذه البضائع الی داخل ایران ومدنها الرئیسیة ویبیعها بأسعار أقل من السوق كثيراً . ولما کان التجار یحتفظون فی مخازنهم بكمیات كبيرة من هذه البضائع فانهم کانوا یصابون بخسائر فادحة . ولهذا کانوا یضطرون للخضوع لمندوبی الشركة الهولندیة .

ولما کان الهولندیون یبذلون جهدهم لاسترضاء الشاه للحفاظ علی مصالحهم التجاریة والسیاسیة ، وکانوا یتقربون الیه باستمرار عن طریق تقديم الهدایا والتحف (١) والقیام بالمهام المختلفة وحتى خدیعة رجسالات البلاط والمقربين من الشاه من هذا أنه کان یجب الرسم كثيراً فاختر مندوب الشركة الهولندیة فی اصفهان اثنين من الرسامين الهولندیین أحدهما اسمه انجیل والآخر لوكار لکی یعلما الرسم وعلی أیدیها مهرد فی الرسم حتی أنه توجد الیوم بعض لوحات جمیلة لهذا الشاه .

كذلك کانوا یظهرون من العواطف والتعلق بالشاه ما یجعله یرضی علیهم ویمیل الیهم مثال هذا أنه حیثما کان یصل الی العاصمة کانوا یمسقبون الآخرین لکی یكونوا فی استقباله ویزینوا مركزهم التجاری بالانوار، ویستمرون بضع لیلالی یطلقون الالعب الناریة(٢) .

(١) جرت العادة منذ أيام الشاه عباس علی أن یقدم التجار الانجلیز والهولندیون كل سنة بعد انتهاءهم من تجارتهم فی هرمسز وعودتهم الی اصفهان هدایا الی الشاه . وکانت غالباً من الاشیاء النفیسة كالساعات الثمینیة والمنسوجات الموشاة وبعض تحف الهند والنقود الذهبیة وما شابه ذلك .

(٢) جلس الشاه عباس الثانی بن صفی علی العرش فی قزوین فی أواخر سنة ١٦٤٢ م ( ١٠٥٢ هـ ) وذهب الی اصفهان فی العام التالی . وفی یوم

## مراكز شركة الهند الهولندية في ايران :

كان لشركة الهند الشرقية الهولندية مندوبون خاصون في بندر عباس ولار واصفهان وكان مركز مندوبهم في اصفهان يقع قرب ميدان الشاه وفي عمارة كبيرة جميلة له حديقة واسعة بها اشجار فاكهة وقنوات واحواض جميلة . وكان باب هذه العمارة كبيرا جدا وعاليا ، ويشاهد فوقه اللوحة الخاصة بشركة الهند الشرقية الهولندية . وكانت هذه العمارة ملكا لاحد اعيان اصفهان في عهد للشاه عباس الاول كان اسمه على ميرزا بك ولكن الشاه غضب عليه لسبب ما فقتله بيده واستولى على كل ممتلكاته واعطى عمارته هذه لوكالة شركة الهند للشرقية الهولندية التي كانت قد ارسلت آنذاك شخصا اسمه فيسينيك كأول مندوب لها للحصول على اذن من الشاه لبدء التجارة مع ايران . وكان المندوب الهولندي يريد شراء هذا المنزل له شخصيا ولكن الشاه عباس لم يقبل لانه كان يعد المندوبين الاجانب ضيوفه الاعزاء ويجب عليهم ان يقيموا في منازل حكومية . وبعد موت الشاه عباس اغرى ويسنيك المندوب الهولندي احد اغوات قصر الشاه صفى واسمه يوسف لكي يطلب اذن بيع هذه العمارة من الشاه . وقام انا يوسف بالمهمة ووفق في الحصول على اذن بيع المنزل لمندوب شركة الهند الشرقية الهولندية الذي اشتراه لنفسه وظل مدة طويلة يحصل على ايجاره من الشركة .

بعد مدة ارسلت الشركة شخصا في مهمة سرية لكي يفتش على ويسنيك نظرا لتبذيره واسرافه واضاعته لكثير من اموال الشركة ويقبض عليه ويرسله للهند . ولكن ويسنيك علم بامر هذا الشخص وقبل ان يصل الى اصفهان

---

وصوله ابلغ اعتماد الدولة الصدر الاعظم الايراني كل المسؤولين الاجانب وخاصة التجار الانجليز والاجانب لكي يشتركوا في الاستقبال فلما ابتعدوا عن المدينة نحو ٣ فراسخ (١٨ كم) كان الشاه مشغولا بصيد البط البحري وحين راهم جاني خان قائد فرسان الشاه اشار اليهم كي يتبعوه ليقتبضهم للشاه . وكان الشاه على حافة بركة يصطاد البط فاقترب منه جاني خان وقال له ان الفرنجة الهولنديين جاءوا للتهنئة بسلامة الوصول فنزلنا عن خيلنا على الفور وتقدم نيكولاس اوبرخيت N.O brecht رئيس الشركة الهولندية وقيل قدم الشاه التي كان قد اخرجها من ركاب فرسه مخصوصا لهذا الغرض . وفي اليوم التالي لوصوله زين رئيس الشركة الهولندية احد خانات المدينة بالسجاد اللين واقام حفلا في العصر واطلق بعض طلقات المدافع احتفاء بالشاه وانفق في هذا السبيل ما يقرب من ثمانمائة أو تسعمائة تومان ، وقد شرف الشاه حفلة بحضوره شخصيا .

غادرها ويسنيك وهرب للاراضى العثمانية وعثروا بين أزرانه على سند ملكية هذه العمارة التى انتقلت ملكيتها الى شركة الهند الشرقية الهولندية .

وبعد هذا قام خلفاء ويسنيك ببيع نحو نصف هذه العمارة الى شيخ الاسلام شقيق محمد مهدى الوزير الاعظم للشاه عباس الثانى ، ولكنهم ندموا بعد هذا على البيع .

وقد اضطر الهولنديون الى انشاء مركز تجارى لهم فى لار ايضا لانه أثناء حمل الحرير من اصفهان الى بندر عباس وهرمز كان لابد من تغيير الجمال الحاملة للحرير ، وبناء على قوانين ايران آنذاك فان الجمال المتوجهة من اصفهان الى الجنوب كان لايجب ان تتعدى مدينة لار بالاضافة الى هذا فان جمال ودواب اصفهان والمناطق الوسطى من ايران التى اعتادت على الجو المعتدل لاتتحمل هواء الجنوب الحار وتموت . وكان المركز التجارى الهولندى فى لار يقع على اطراف المدينة وعلى طريق هرمز .

وكان المركز التجارى الهولندى فى جمبرون أو بندر عباس يقع غربى الميناء وجوار المركز التجارى لشركة الهند الشرقية الانجليزية وعلى مقربة من المركز التجارى الفرنسى . وفى سنة ١٦٩٨ م ( ١١٠٩ - ١١١٠ هـ ) قام احد مندوبى الشركة واسمه هوجكامر (١) ببناء عمارة جديدة ومخازن كبير للشركة تقع على شاطئ البحر عند نهاية شرق الميناء .

### ختم الشاه سليمان الصفوى

وضع هذا الختم على ظهر رسالة منه الى يوبولد امبراطور النمسا في  
وسطة عبد الولاية الشاه سليمان وحولها اللهم صلى على محمد المصطفى  
وعلى فاطمة الزهراء وعلى المرتضى وعلى الحسن والحسين وعلى زين العباد  
وعلى محمد الباقر وعلى جعفر الصادق وعلى موسى الكاظم وعلى علي الرضا  
وعلى محمد النقي وعلى حسن العسكري وعلى الحجة المهدي صاحب الزمان .





## علاقات ايران وشركة الهند الشرقية الهولندية

### في زمن الشاه سليمان الصفوي

في اواخر عصر الشاه عباس الثاني قامت شركة الهند الشرقية الهولندية بارسال سفير ومندوب فوق العادة اسمه هوبر دي لورس الى الشاه عباس مع بعض الهدايا لتقوية العلاقات التجارية وحصل على الامتيازات التي كان يريدونها منه .

وماكاد الشاه عباس الثاني يتوفى في خسرو آباد من توابع دامغان ويصل خبر وفاته الى اصفهان التي كان بها هذا السفير والذين كان قد عين لرئاسة المركز التجاري الهولندي في بندر عباس حتى اراد أن يصل بأسرع مايمكن الى هذا الميناء .

ولكن وفاة الشاه عباس وتغيير الأوضاع في ايران حالت دون سفره لأن العادة في ايران كانت اذا مات الشاه تلغى جميع الامتيازات والاتفاقيات مؤقتا حتى يعاد توقيعها من الشاه الجديد ولهذا خشى السفير الهولندي ألا يصدق الشاه الجديد على الاحكام والامتيازات التي تعب في الحصول عليها من سلفه ، ولكن لانه كان ذكيا وذا تجربة استطاع أن يسترعى احد رجال البلاط المقربين من الشاه الجديد عن طريق تقديم هدية له حتى يأخذ له اذنا بالتشرف بمقابلته . ولهذا استطاع بسهولة أن يرى الشاه الجديد الذي كان يلقب آنذاك بالشاه صفى الثاني وأن يحصل على توقيعه على احكام وامتيازات الشاه المتوفى واستأذنه في السفر الى بندر عباس .

وفي عصر الشاه سليمان أخذت تجارة الهولنديين في ايران تقل بالتدريج حتى أنهم كانوا يشترون ثلثمائة بالة من الحرير في العام فقط . أي نصف ماكانوا يشترونه في أيام الشاه عباس الثاني . ولما كان ميزان وارداتهم قد انخفض أيضا بسبب الحروب التي كانوا يخوضونها في أوربا ، كما أن رونق تجارة منافسيهم الانجليز والفرنسيين كانت قد ازد هرت ، لهذا فان الارباح التي كانوا يجنونها من تجارتهم مع ايران أصبحت لاتذكر .

وكان التجار الهولنديون يستكون دائما من أن أتباع الشاه يعطونهم

ما في مخازنه من الحرير السئ الذي لا يباع ولكن المسئولين الإيرانيين لم يهتموا بهذه الشكوى ولهذا حاولوا سنة ١٠٩٧ هـ (١٦٨٦ م) اللجوء الى القوة مرة أخرى وتخويف الحكومة الإيرانية فأرسلوا بعض السفن الى الخليج و ضربوا ميناء بندر عباس بالمدفعية واستولوا على جزيرة تششم ، ولما كانت ايران لا تستطيع مجاراتهم في قوتهم البحرية لذا لجأت الى السياسة فاعطتهم وعودا طيبة . ولكي تظهر حسن نيتها اقترحت ارسال مندوب خاص الى اصفهان و خدع الهولنديون وسارعوا بارسال شخص اسمه فان هيفل (١) مع كثير من المرافقين الى اصفهان وقد بقي هذا الشخص ثلاث سنوات في اصفهان لم يسأله خلالها أحد لماذا جئت فاضطر في النهاية الى اعادة جزيرة تششم الى ايران لان الحفاظ عليها كان يكلف الشركة نفقات كبيرة كما أنفق مبلغا كبيرا حتى حصل على اذن بالعودة ويوم منحه الشاه اذن العودة قال « لم يكن من اللائق لقوم من التجار أن يطلبوا من ملك تحت هددير المدافع» .

وبعد عام أيضا أي سنة ١١٠٢ هـ ( ١٦٩١ م ) أرسل الهولنديون مندوبا فوق العادة اسمه لينين(٢) مع كثير من التحف والهدايا الى بسلط الشاه سليمان جدد شكواهم ومطالبهم كما طلبوا من الشاه أن يمنحهم تخفيضا في ثمن التحرير . وعندما استقبل الشاه السفير الهولندي وعده بتخفيض قدره ٣٠ أكو في كل بالة حرير ، ولكنه لم يعطه أي سند في يده ، ولهذا فعندما عاد السفير الى مدينة لارههدهد بأنه سوف يقلب بسفنه مؤانى الجنوب رأسا على عقب ، ولكنهم في البلاط الإيراني كانوا يعرفون أن هذا التهديد لن يكون له معنى مع وجود السفن الانجليزية والفرنسية في الخليج .

ويبدو أن حركة تصدير الحرير الإيراني في عهد الشاه سليمان لم تكن مزدهرة كما كانت من قبل لانه بالاضافة الى أن الهولنديين قللوا من تصديره فان الحكومة الجوركانية في الهند أيضا منعت وروده الى الهند كما أنه لم يكن رائجا في البلاد العثمانية . وفي ذلك الوقت كان محصول الحرير الإيراني بنسج أغلبه في مصانع اصفهان وكاشان وتبريز ومشهد ويستهلك داخليا (٣) .

Van Leenen

(٢)

Van Heuvel

(١)

(٣) كان أغلب حرير ايران ينتج آنذاك في أقاليم جريستان ( جورجيا ) وخراسان وكرمان وخاصة في جيلان ومازندران وجرجان

## علاقات إيران مع شركة الهند الشرقية الهولندية

### في عصر الشاه السلطان حسين

كما ذكرنا أخذت قدرة ونفوذ الهولنديين تزول تدريجيا في الخليج وتقل تجارتهم مع إيران . وبعد موت الشاه سليمان أظهر خليفته الشاه السلطان حسين ميله للانجليز . وذات يوم من سنتي ١١١٠ أو ١١١١ هـ ذهب مع جماعة من نساء حرمه الى المركز التجارى الانجليزى في اصفهان فانفق المسئولون عن الشركة نحو ١٢ ألف جنيه لاستقباله ولهذا منح الشاه لرئيس المركز خلعة من الملابس وحصانا وسيفا مرصعا كما أمر بدفع الرسوم الجبركية المستحقة لهم عن عام من ايراد بندر عباس والتي كان قد تأخر دفعها ، كما منح مندوبى الشركة امتيازات مهمة أخرى ، ولكنه رفض الذهاب الى المركز التجارى الهولندى عندما دعاه رئيسه لزيارته أيضا . منذ ذلك الوقت أخذت حيثية الهولنديين واعتبارهم في إيران في الزوال ، حتى أنهم عندما طلبوا بعد هذا بقليل بناء قلعة لهم في بندر عباس للحفاظ على مصالحهم فان الحكومة الايرانية لم تسمح لهم ومنعتهم .

وفي سنة ١١٣٤ هـ عندما كانت إيران تتعرض لهجوم الافغان هجم جماعة من البلوتش على كرمان واقليم فارس واستولوا على مدينة لار

---

وكان محصول هذه الولايات سنويا نحو ٢٢ ألف بالة وكانت البالة تزن ٢٧٦ ليفر فرنسي ( الليفر ٤٩٠ جم تقريبا ) وعلى هذا كان انتاج ايران من الحرير نحو ثلاثة الاف طن . وكان هذا الحرير ينقسم الى أربعة أنواع ، الأول الحرير الشيروانى الذى كان يأتى من شيروان ويسمى باسمها وهو أردا أنواع الحرير الايرانى وكانوا يسمونه في أوروبا « أرداش » والنوع الثانى الحرير للخروارى وهو أفضل قليلا من الاول وكان أكثره ينتج من جيلان ولاهيجان ولهذا كانوا يسمونه في أوروبا حرير ليجيا Legia والثالث اسمه كدخدا بسند وهذا الاصطلاح يطلق على الاشياء المتوسطة والرابع وهو الشاه بسند وهو أحسنها . وكانت جيلان تنتج عشرة الاف بالة من بين الاثنتين والعشرين الفا السابق ذكرها وتنتج مازندران وجرجان الفين وتنتج من أذربيجان والناطق الغربية ستة آلاف وقرباغ وجورجيا أربعة آلاف بالة .

وأرسلوا أربعة آلاف من فرسانهم للاستيلاء على بندر عباس ، ولهذا اضطروا الهولنديون والانجليز لتقوية دفاعات مراكزهم التجارية ونصبوا المدافع على اطراف عماراتهم ، وعندما هجم البلوتش في ٢٥ صفر على الميناء ابعدهم عن مراكزهم التجارية باطلاق المدافع عليهم ، ولكن أحد مخازن المركز التجارى الهولندى نهب وسقط مايقرب ثمنه من ٢٠ ألف جنيه من البضائع في ايدى المهاجمين . كما قتل اثني عشر هولنديا وجرح نحو ١٠ أشخاص .

الى هنا تنتهى العلاقات الهولندية مع ايران فى العصر الصفوى ، أما علاقاتهم فى العصور التالية فيمكن ايجازها فيما يلى :

فى زمن استيلاء الافغان على ايران ( ١١٣٥ هـ - ١١٤٢ هـ ) اغلقت المراكز التجارية الانجليزية والهولندية والفرنسية وغيرها فى اصفهان واضطربت احوال ميناء بندر عباس وما حوله . فمن ناحية استولى شيخ رأس الخيمة على ميناء باسعيدو فى جزيرة قشم وتسبب فى كساد تجارة بندر عباس الى أن قامت السفن الانجليزية بحربه سنة ١١٤٠ هـ وانتصرت عليه . ومن ناحية أخرى هجم الافغان سنة ١١٤١ هـ على إقليم فارس مرة أخرى واستولوا على عاصمته شيراز وأرسل قائدهم المدعو ربردست خان جيشا الى بندر عباس ولكن الاوربيين قاوموهم فاكتفى الانغان بأخذ بعض المون والعودة ، وفى هذا الوقت استولى الهولنديون على جزيرة هرمز ولكنهم تخلوا عنها بعد ذلك بسبب معارضة الانجليز .

أسس الهولنديون مركزا تجاريا فى ميناء بوشهر فى عهد نادر شاه أفشار ولكنهم أغلقوه بعد بضع سنين ثم أعادوا فتحه سنة ١١٦٠ هـ . وكانوا قبل هذا قد أنشأوا فرعا لهم فى البصرة وكانوا يجلبون التجارة عن طريق البر والبحر وخاصة المنسوجات الصوفية التى كانوا يجلبونها عن طريق حلب ووجدت شهرة كبيرة .

وفى سنة ١١٦٥ هـ أغلق الهولنديون مركزهم التجارى فى بوشهر مرة أخرى ، وكانوا قد أغلقوا مركزهم التجارى فى بندر عباس قبل هذا بتقليل لاضطراب الامن هناك وفى سنة ١١٦٦ هـ ( ١٧٥٣ م ) استولى البارون

نيبهاوزن(١) رئيس المركز التجارى الهولندى فى البصرة على جزيرة خرج الواقعة فى الشمال الغربى لبوشهر وصمم على تقوية استحكامات هذه الجزيرة لتهديد البصرة ومدخل شط العرب .

وكان الهولنديون المقيمون فى البصرة قد اشتكوا الى رؤساء الشركة فى هولندا من سوء سلوك البارون نيبهاوزن وسياسته مؤصل أمر فصله ولكن البارون فى ذلك الوقت كان قد أخذ من الامير ناصر حاكم بندر بوشهر سندا بانتقال ملكية جزيرة خرج الى الشركة الهولندية ، وقام برحلة الى باتافيا عاصمة الهند الشرقية الهولندية حيث أثبت هناك عدم خطئه أو تقصيره وعاد من هناك مع سفيفتين وخمسين من الجنود الى الخليج الفارسى واستولى بسهولة على جزيرة خرج وجلب اليها كثيرا من العمال من ايران والجزيرة العربية لتعميرها وأخذ فى تعمير القلعة وصيد اللؤلؤ فارتفع عدد سكان الجزيرة الذى لم يكن يتجاوز مائتين أو ثلثمائة فرد الى أكثر من اثنى عشر ألفا فى فترة وجيزة .

فى هذه الاوقات قام الامير مهنا حاكم ميناء ويجى الذى كان آباؤه يتوارثون حكم مناطق هذا الميناء بثورة ضد كريم خان زند وكان هو الذى نصبه هناك ، كما أنه كان قد اختلف مع الهولنديين على دفع ايجار جزيرة خرج واستمر هذا الخلاف بضع سنين .

وفى سنة ١١٦٦ هـ أغلق المركز التجارى الهولندى فى البصرة ، وبعد سنوات أخرى خرج الهولنديون من بوشهر وبندر عباس وبقيت جزيرة خرج فقط فى أيديهم حتى سنة ١١٧٩ هـ ( ١٧٦٥ م ) .

وقد تولى شخص اسمه فان دير هولست الامر بعد البارون نيبهاوزن واستطاع بالسياسة وحسن التدبير أن يمنع الامير مهنا عن معارضة الهولنديين ، ولكن فى سنة ١١٧٩ هـ اختلف الامير مهنا معهم مرة أخرى . وفى العام التالى حاصر القلعة الهولندية فى الجزيرة وبعد أن استولى عليها نهب كل ما بها من الاموال ووضع الهولنديين فى بعض السفن وأرسلهم الى باتافيا (جاكرتا) . وبفقد الهولنديين لجزيرة خرج انتهى عهد سيطرة الهولنديين ونفوذهم فى الخليج .

Baron Kniphausen

(١)

## مراجع هذا الفصل

- ١ - رحلة بيترو دلا فاليه الايطالى ، في ٨ أجزاء .
- ٢ - الخليج الفارسي تأليف السير آرنولد وبلسون طبع اكسفورد سنة ١٩٤٨ وترجمته الفارسية لمحمد سعیدی .
- ٣ - رحلة شاردان في ١٠ أجزاء طبع سنة ١٧٢٣ م .
- ٤ - رحلة جان بابتيست تافارنيه في جزئين ط باريس سنة ١٦٩٢ م
- ٥ - وضع ايران تأليف سانسون المبتصر المسيحي الذي زار ايران سنة ١٦٨٢ .
- ٦ - تنويج الشاه سليمان تأليف شاردان .
- ٧ - رحلة كورنليوس دي بروين الرسام الهولندي الذي سافر في بين سنتي ١٠٧٣ - ١٠٧٧ هـ الى ايران وآسيا . مجلدين ط امستردام سنة ١٧١٨ م .
- ٨ - مقدمة شارل شيفر على كتاب « وضع ايران في ١٦٦٠ م تأليف رفايل دومان .
- ٩ - رحلة أولياريوس Aulearius سفير فردريك دوق هلسنكاي الذي زار ايران سنة ١٠٤٦ هـ ( ١٦٣٧ م ) . ترجمة ابراهام دي ويكفو الفرنسي A. de Wicque Fort امستردام سنة ١٧٢٧ م .
- ١٠ - الشاه عباس الاول تأليف لوسيان بلان ، باريس ١٩٣٢ م .
- ١١ - رحلة دون جارسيا دي سيلفا فيجورا ، باريس ١٦٦٩ م .
- ١٢ - عالم آراى عباسى .
- ١٣ - عائلات ايران واوروبا الغربية في العصر الصفوي ، تأليف الدكتور خان بابا بياني بالفرنسية - باريس ١٩٣٧ م .

## الفصل الرابع

علاقات ايران و المانيا





## العلاقات الألمانية الايرانية

### علاقات ايران ومانيا في عصر الشاه اسماعيل الاول :

بعد أن جلس اسماعيل الاول على العرش وأسس دولة قوية في شرق الاراضي العثمانية ، دخل في حرب مع السلطان سليم خان الاول من سنة ٩١٨ - ٩٢٦ هـ ولهذا أخذ ملوك أوروبا - الذين كانوا في ذعر واضطراب من قوة الاتراك العثمانيين وزحفهم على أوروبا - في مصانقة للشاه اسماعيل والاتحاد معه . وسعى الشاه اسماعيل أيضا - بعد هزيمته في موقعة تشالدران ( أول رجب ٩٢٠ هـ / ٢٣ أغسطس ١٥١٤ م ) للاتحاد مع دول أوروبا وخاصة مع المجر ومانيا وجمهورية البندقية الذين كانوا يجاورون تركيا من ناحية الغرب ويتعرضون لحملاتها وهجومها حتى يستطیع بهذا أن يهجم من الناحيتين على العدو المشترك ويقضى عليه .

ومن بين الرسائل التي أرسلها الشاه اسماعيل الصفوى الى ملوك أوروبا رسالة كتبها في شوال ٩٢٩ هـ باللغة اللاتينية الى كارل (١) الخامس ( المعروف بشارل كنت ) (٢) وأرسلها مع الاخ بطرس الجبل لبناني الذي (٣) كان قد جاء من قبل ملك المجر الى بلاط ايران ونص هذه الرسالة مطبوع في مجموعة عنوانها : « رسائل كارل الخامس » وترجمتها الفارسية:

« الى كارل بن بطرس

إذا وصلت هذه الرسالة بمشيئة الله اليك فستعلم أن الاخ بطرس الذى جاء الينا برسالة من ملك المجر قرأناها بالسرور نحمله الآن بهذه الرسالة ونأمل أن يسعدك وصولها ونحن ننتظر منكم باصرار كامل أن تدققوا في رجائنا . اذ يجب علينا في شهر أبريل ( يقصد أوائل الربيع ) أن نهجم من الجانبين على عدونا المشترك وهو السلطان العثمانى وعلينا أن نحارب من شهر أبريل حتى يتم لنا النصر . وعندما جاءنا سفير من

Charles Quint

(١)

(٢) هذا الملك جلس على عرش اسبانيا سنة ٩٢٢ هـ ( ١٥١٦ م ) وفي سنة ٩٢٥ هـ ، ( ١٥١٩ م ) صار أمبراطور المانيا .

Frater Petrus de moute Lebano

(٣)

الملك لودفيج الثاني (١) عن طريق تبريز أرسلنا معه رسالة الى ذلك الملك ولم يصل منه رد الآن . وكما سمعت من الرعايا العثمانيين فان الملوك المسيحيين في حرب فيما بينهم وهذا ما يدعو للحيرة لأن خلافهم مع بعضهم يزيد من جراه عدوهم وشجاعته ، ولهذا كتبت لملك المجر لكي يتخلص من العداء مع ملوك أوروبا لاننى أعلم عن اعداده جيشا لمحاربتكم وأرسل الرسل والرسائل يدعوني للاتحاد معه في هذا الامر ولكننى رفضت طلبه مرارا للاننى - كما تقولون - اريد أن اتساطركم في السراء والضراء وكل من يترك حليفه وحيدا ويخونه يستحق جزاء الله القادر القهار ، ولهذا فمن الواجب أن تسارع باعداد الجيش وأمل الا احتاج لرسالة أخرى لتحريرك وتشجيعك لان المسألة بعيدة وارسل الرسائل معب خاصة وأن السلطان العثماني يسيطر على البحار وارسل رسل آخرين غير هذا السفير ليس مناحا لنا ولاشك أنكم لن تثقوا في السلطان العثماني فهو شخص لا يرتبط باتحاد ولاينى بقسم ولايتوانى عن أنفائكم وهذا العدو القديم الناقض للعهد لن يستطيع طبعاً ان يخدع ملكاً عظيماً يحكم دولة المانيا » .

تحريراً في سؤال ٩٢٩ هـ

الحمد لله رب العالمين أمين أمين

صديقك الشاه اسماعيل الصفوى بن الشيخ حيدر

كما ذكرنا فان هذه الرسالة مكتوبة باللاتينية ويبدو أن كاتبها هو نفسه الاخ بطرس اللبناي سفير ملك المجر . وقد وصلت الرسالة بعد سنتين الامبراطور المانيا ورد عليها كارل الخامس برسالة باللغة اللاتينية وأرسلها للشاه اسماعيل بواسطة القس المذكور وكان الشاه اسماعيل قد توفي قبل ذلك بعام وترجمة رسالة امبراطور المانيا كما يلي :

الى الامير صاحب السمو القوي الشاه اسماعيل الصفوى شاهنشاه ايران أخى وأعز أصدقائى .

(١) يبدو أنه لودفيج الثاني ابن فلاديسلاس السادس الذى ارتقى العرش سنة ٩٢٢ هـ ( ١٥١٦ م ) وهزم سنة ٩٣٣ هـ ( ١٥٢٦ م ) فى حربته مع السلطان سليمان القانونى وهلك فى أحد المستنقعات أثناء هربه .

كارل الأمير صاحب السمو المؤيد بالعناية الإلهية إمبراطور السروم  
والعالم المسيحي والمانيا وملك ممالك أسبانيا وأراضى سيسيل ونافار  
وغرناطة وجزر البلبار والجزر السعيدة (١) والهندوبلاد الذهب الجديدة (٢)  
وأمر البلاد النائية في أفريقيا والامارات التابعة في المانيا وفرنسا يرسل  
التمنيات بالسعادة والتوفيق الى الملك الزاهد السعيد الشاه اسماعيل الصفوي  
ملك ايران أخينا وصديقنا العزيز .

أيها الملك العظيم ويا أخي المحبوب حمل الينا في العام الماضي شخص  
أسمه بطرس وهو من قسس جبل لبنان المارونيين رسالة دعينا فيها منكم  
للاشتراك في الحرب ضد العدو المشترك السلطان العثماني، ويجب أن ندخل  
هذه الحرب معا في شهر أبريل ولكن من سوء الحظ ان الرسالة لم تكن قد  
وصلتنا في الموعد الذي حددته جلالتم حتى يمكن أن يتخذ اجراء سليم .  
وقد تعجبنا كثيرا من أن رسالتكم لم تكن تحمل حتما ولا توقعا كما جرت  
العادة بين الملوك . ولهذا ترددنا فترة في اعتماد تلك الرسالة وقبول الرسول  
ولكن نظرا للصدقة والود اللذين بيننا قبلنا الرسالة والرسول بشوق بالغ  
واذا كان قد حدث تأخير فذلك لاننا كنا ننتظر باستمرار وصول أخبار  
جديدة منكم وتحديد مصير الامر الخطير المطروح بيننا ولكن لم تصل أية  
أخبار في هذه المدة بل سمعنا أنه أصابكم مرض وتوفيتم ونأمل أن تكون  
هذه الاخبار عارية عن الحقيقة والخلاصة أننا في غم شديد لان جمع جيش  
لقتال السلطان العثماني لا يخلو من مصاعب بالاضافة الى هذا فقد مرضت  
بضعة أشهر مرضا شديدا كما أن ملك فرنسا (٣) أثارنا لحربه وقد لحقته  
الهزيمة في الحرب الشديدة التي خاضها ضدنا ووقع هو أسيرا في أيدي  
تودنا والآن وقد من الله علينا بهذا النصر ولما كنا نأمل في السلام والأمن في  
الاراضي المسيحية لهذا فنحن على ثقة أنه لم يبق أمامنا من عمل سوى  
أن نشرع في الحرب ضد الاتراك العثمانيين بناء على الرغبة المشتركة لنا .  
ولهذا فأننا نعيد نفس الرسول الى جلالتم حتى يعرض على جلالتم

Les ilesfourtunees

(١)

(٢) يقصد أمريكا الجنوبية التي كانت آنذاك تخضع لاسبانيا .

(٣) يقصد فرانسوا الاول ملك فرنسا من ١٥١٥ - ١٥٤٧ م

(٩٢١ - ٩٥٤ هـ) .

الخطوات الخاصة برغبتنا في الحرب وانتم بدوركم عليكم ابلاغنا بأهدافكم عن طريق أشخاص تثقون فيهم والاسراع في هذا سيكون أكثر نفعا لاننا على استعداد تام للدخول في حرب هذا العدو الغاشم بقواتنا وقوات جلالتم ونأمل أن يهبكم الله تعالى الصحة والسلامة ويستجيب لكل ماتطلبون .

كتب في ٢٥ أغسطس ١٥٢٥ من ميلاد منقذنا المسيح في مدينة توليدو . وليس بين يدينا شيء عن مصير الاخ بطرس في رحلته الثانية الى ايران فقبل أن يتحرك هو من المانيا متوجها الى ايران مرة أخرى كان التناهد اسماعيل الصفوى قد توفي وجلس مكانه الشاه طهماسب الأول ، ولما كان هذا الملك شديد التعصب ، وكان يعد ملوك أوربا ككرة نجساء فيمكن توقع انه لم يجب على رسالة كارل الخامس .

بعد أربع سنوات ( أى في جماد الآخر ٩٣٥ هـ - فبراير ١٥٢٩ م ) أرسل كارل الخامس سفيرا ثانيا اسمه يوحنا بالبي (١) الى ايران ولكن الرسالة التي كان يحملها هذا السفير أيضا كانت معنونه باسم الشاه اسماعيل مما يدل على أن خبر وفاته لم يكن قد وصل الى أوربا وكان مضمون رسالة امبراطور المانيا كما يلي :

صاحب السمو الأمير القوى أخى وصدقى العزيز ، أن خبر أعمال جلالتم واخضاعكم لكل امراء المشرق بقوة شجاعتم وحسن تدبيركم وحكمتم قد وصلت الى اسماعنا ونعلم أن جلالتم تستخدم جيشك وقواتك دائما ضد العدو الخارجى وهو دائما ضد مخالفيه الظلمة والمستبدين ولما كنا نوافق جلالتم تماما فقد أرسلنا يوحنا بالبي من القربين لنا ومن قادة جيشنا وأعيان بلاطنا الامبراطورى والمعروفين بالصدائة والوفاء لنا حتى يعرض عليكم أهدافنا ومقاصدنا الشخصية ويذكر لكم مطالبنا . فنرجو أن تطهئوا اليه وتعتمدوا عليه اعتمادا كاملا وتعهدوا مايعرضه هو الواقع وكما يتضح لكم فان هدفنا الحقيقى هو تأمين السعادة والحرية لعالم الانسانية . ومن أجل تحقيق هذا الهدف المبارك الذى هو غاية الملوك فانكم ستنهضون مع قواتكم لمساعدتنا ومن البديهي أننا اذا استطعنا أن نقوم بعمل يليق بمقامكم العظيم فاننا لن نتوانى عن القيام به وانجازة ونأمل أن يطيل الله في عمر جلالتم .

كتب في مدينة توليدو في ١٥ فبراير ١٥٢٩ م (١) المطابق للسنة  
العاشرة للملكة على بلاد الروم وفي العام الرابع عشر لجلوسنا على العرش .  
الى الملك المعظم القوى أقدر سلاطين المشرق الملك السعيد الزاهد  
الشاه اسماعيل الصفوي شاهنشاه ايران صديقنا وأخينا العزيز .

وكان بالبلى مكلفا بصفة خاصة بشرح فتوحات كارل وحروبه مع  
فرانسوا الاول واسره الى ملك ايران ويذكر له أن امبراطور المانيا  
أطلق سراح ملك فرنسا بشرط أن يأتي ملك فرنسا بنفسه لمعاونته عند  
قيام الحرب مع السلطان العثماني، ورغم وجود ابنه رهيبتين في بسلاط  
الامبراطور فانه عقد اتفاقيات مع جمهورية البندقية ( فينيسيا ) والسلطان  
العثماني وهجم السلطان على المجر بتحريض من ملك فرنسا فقتل ملكها  
في هذه الحرب وهو زوج أخت الامبراطور وقد أصبح شقيق (٢) الامبراطور  
ملكاً على المجر وقد صمم الشقيقان على الهجوم على السلطان العثماني  
أحدهما من ناحية إيطاليا والآخر من ناحية المجر وهما يأملان العون والمساعدة  
من ملك ايران ويفتظران أن يرسل الملك الصفوي قوات الحدود الشرقية  
لملكة السلطان العثماني حتى يتوجه جزء من الجيش العثماني الى هناك هذا  
إذا لم يكن الملك الصفوي مستعداً لخوض الحرب ضد السلطان العثماني على  
الأتمل .

وقد توجه يوحنا بالبلى الى ايران عن طريق البحر الأبيض والشام  
وحينما وصل الى حلب أرسل منها رسالة الى الامبراطور يخبره فيها  
بوصوله الى تلك المدينة وأنه ينتظر الفرصة المناسبة للسفر منها الى ايران  
وذكر في هذه الرسالة خاصة أن شاه ايران قد شرع في الحرب مع السلطان  
العثماني (٣) وهو الوقت الذي يجب أن يخوض فيه الامبراطور الحرب مع  
الأتراك أيضا . ولكنه لم يشر في خطابه الى وفاة الشاه اسماعيل واعتلاء  
الشاه طهماسب العرش . وكتب هذا السفير رسائل أخرى الى الامبراطور

(١) يطابق ٦ جمادى الثاني ٩٣٥ هـ

(٢) يقصد فردناند الاول الذي أصبح ملك المجر في سنة ١٥٢٦  
(٩٣٣ هـ) وأصبح امبراطور لمانيا بعد أخيه سنة ١٥٦٦ (٩٦٣ هـ) .  
(٣) بيدو أنه يشير الى حملة للشاه طهماسب على بغداد سنة ٩٣٥ هـ/  
١٥٢٩ م ، واستيلائه عليها من يد ذي الفقار الذي كان قد أعلن الاستقلال .

إنشاء الطريق لم تتضمن أى منها أشياء هامة • ولانعلم نتيجة رحلته  
مصطلات العلاقات الإيرانية - الألمانية منذ ذلك الوقت حتى عصر الشاه  
عباس الكبير •

## علاقات ايران والامان في عصر الأشاه عباس الأول

كما ذكرنا في فصل العلاقات بين ايران وأسبانيا والبرتغال ، فإن  
الشاه عباس كان قد أرسل السير أنتوني شيرلي الانجليزى وحسين علي بك  
بيات سنة ١٠٠٧ هـ ( ١٥٨٩ م ) للعمل على الاتحاد مع حكام أوروبا ضد  
السلطان العثماني وعقد اتفاقيات لبيع الحرير لايرانى • وقد توجه السفيران  
- كما قلنا - عن طريق روسيا ، وبعد اقامة سنة أشهر في موسكو  
غادراها يوم عيد الفصح سنة ١٦٠٠ م ( شوال ١٠٠٨ هـ ) متوجهين الى  
المانيا •

وقد سلكت البعثة طريق ميناء أرخانجسك وشمال أوروبا وسواحل  
النرويج الى ميناء شتود(١) في مصب الالب(٢) ، ومن هناك ذهبوا الى ميناء  
ايمدن(٣) حيث استقبلهم دوق أولدنبورغ (٤) بكثير من الترحيب والحنو ،  
ثم توجهوا الى مدينة براغ عاصمة بوهيميا التي كانت آنذاك مقسما  
لامبراطور ألمانيا • وحينما علم رودلف الثاني امبراطور المانيا بوصول  
سفيري الشاه أرسل ثلاث عشرة عربة مع مجموعة من القواد وكبار رجال  
القصر وخمسة آلاف جندي لاستقبالهم ، وقد تلقاهم الامبراطور بكثير من  
الترحيب والتعظيم واختار لكل منهما منزلا جميلا بالقرب من البلاط الملكي •

بقى حسين علي بك بيات وأنتوني شيرلي ما يقرب من ستة أشهر في  
براغ كانا فيها ضيفين على الامبراطور ، وقد قبل رودلف الثاني اقتراحاتهما  
بشأن الاتحاد مع الشاه، عباس ضد الاتراك العثمانيين بشيء من الاحتياط ،  
كما حاول ثنى السفيرين عن عزيمتهما بزيادة بقية ملوك أوروبا واقناعهما بارسال  
رسائل الشاه عباس الى هؤلاء الملوك عن طريق مبعوثين مخصوصين ،

---

|            |          |           |
|------------|----------|-----------|
| Emden (٣)  | Elbe (٢) | Stode (١) |
| Olde Nburg |          | (٤)       |

ولكن السفيرين لم يقبلا عدا وحصولا على اذن منه وسامرا في ربيع ١٦٠١ م  
( ١٠١٠ هـ ) الى ايطاليا لزيارة بابا روما .

وعندما ودع امبراطور المانيا بعثة السفراء الايرانية اعطى السفير  
انتونى شيرلى خمسين اناء مختلفا من الفضة والفضة (١) دوقة المانية لنفقات  
سفروه ، كما اعطى لحسين على بك بعض الهدايا ، واعطى لكل واحد من  
المرافقين كأسا من الفضة المحلاة بالذهب ومائتى دوقة .

وقد توجهت البعثة من براغ الى نورمبرغ احدى مدن دوقية بايرن ،  
وقد استقبلوا هناك استقبالا حافلا ، وبميت البعثة اربعة ايام في ضيافة  
حاكم المدينة وعند مغادرتها اعطى لكل من انتونى شيرلى وحسين على بك  
كأسا ذهبية . وقد ذهبت البعثة عن طريق أوجسبورغ (٢) الى ميونيخ  
عاصمة بايرن وقد استقبلهم ويليهيم الثانى المعروف بالراهب (٣) دوق بايرن  
الذى كان قد تخلى في تلك الايام عن منصبه استقبالا عظيما - ثم غادرت  
السفارة ميونيخ - كما سبق ان ذكرنا في فصل العلاقات الايرانية الالمانية -  
الى ايطاليا وروما .

### سفارة اتين كاكاش الى ايران :

بعد سفر البعثة الايرانية من براغ ارسل رودلف الثانى امبراطور  
المانيا سفارة الى ايران لكى تتفق على حقيقة أهداف الشاه عباس وتحقق  
اتحاد الدولتين ضد السلطانى العثمانى . وكانت رئاسة هذه البعثة لاحد  
اعيان ترانسلفانيا وهو اتين كاكاش دى زالونكنى (٤) : وكانت لدى عدا  
السفير تعليمات بأن يعقد معاهدة مع الشاه عباس الاول ضد السلطان  
العثمانى ، ويأخذ منه تعهدا بالآ يتصالح مع العثمانيين مالم يسترد مدينه  
تبريز ، كما كان مكلفا بأن يتباحث مع قيصر روسيا بشأن اتحاد ايران  
والمانيا ضد السلطان العثمانى ويدعو القيصر للاشتراك في هذا الاتحاد .  
غادر اتين كاكاش ومراقوه مدينة براغ في الثامن من ربيع الاول

(١) قيمة الدوقة كانت بين ربع وثلث دولار حاليا .

(٢) Augsburg

(٣) Wilhelm II Le Pieux

(٤) Etienne Kakash-de Zalonkemny

١٠١١ هـ ( ٢٧ أغسطس ١٦٠٢ م ) ووصل الى موسكو يوم ٢٣ جماد الاوّل من نفس العام وبعد أن أنجز مهمته لدى قيصر روسيا توجه الى ايران وأبحر في سفينة من ميناء هستر خان وبعد واحد وثلاثين يوماً وصل في السابع والعشرين من صفر ١٠١٢ هـ الى ميناء لنجروود (١) في جيلان ومن هناك أرسل مبعوثاً الى الشاه عباس في اصفهان ليخبره بوصوله كسفير . فكلف الشاه عباس روبرت شيرلي لاستقبال السفير ومرافقيه . وذهب روبرت من اصفهان الى لنجروود حتى يصحبه مع مرافقيه الى الشاه عباس الذي كان آنذاك يعتزم الهجوم على أذربيجان واستعادتها من الاتراك العثمانيين . ولكن كاكاش وثمانية من أعضاء السفارة مرضوا مرضاً شديداً بسبب سوء الغذاء والجو ، وعندما وصلوا الى مدينة لاهيجان(٢) توفي للسفير وثلاثة من مرافقيه، ولكن كاكاش قبل وفاته كان قد فوض رئاسة البعثة الى سكرتيرة الخاص جورج تكتاندر فون ديريابل(٣) .

توجه تكتاندر ومرافقوه بصحبة روبرت شيرلي من لاهيجان الى قزوین وعندما وصلها لم يكن قد بقي من مرافقيه معه غير واحد إذ تخلف الاربعة الآخرون في الطريق بسبب الضعف أو المرض . وفي قزوین سلمه روبرت شيرلي الى أحد كبار رجال ايران كي يحمله الى الشاه عباس الذي كان آنذاك في تبريز التي كان قد هاجمها بجيش عظيم ودخلها وأقام بها . ووصل تكتاندر الى تبريز في ١١ رجب ١٠١٢ هـ ( ١٥ ديسمبر ١٦٠٣ م ) وطلبه الشاه على الفور لمقابلته . وكتب تكتاندر عن هذا اللقاء يقول :

« وصلت يوم ١٥ ديسمبر الى تبريز وكان الشاه عباس قد هجم على هذه المدينة بمائة وعشرين الفا من الجند وكان قد مضت عليه سبعة أيام منذ استولى عليها(٤) ودخلت المدينة في الثالثة بعد الظهر وكنت شديد الاعياء

(١) ميناء لنجروود على ساحل بحر قزوین في شمال ايران .

(٢) مدينة لاهيجان في إقليم جيلان جنوب بحر قزوین تشتهر حالياً بزراعة الشاسای الايراني .

Y. Tectander Von der Jabel (٣)

(٤) يبدو أن السفير الالماني أخطأ في تاريخ استيلائه على تبريز إذ أنه غادر اصفهان في السابع من ربيع الثاني ١٠١٢ هـ متوجهاً الى تبريز



من حمى الحصبة ومن تعب الطريق حتى أنني لم أكن أستطيع ركوب الحصان دون مساعدة الغير . وكنا مضطرين أثناء الطريق للركوب لبلا ونهارا حتى نصل تبريز قبل أن يغادرها الشاه حيث أنه تركها بعد وصولي ببلانه أيام .

ولم أكد أترجل عن فرسي بعد وصولي للمدينة حتى طلبني الشاه لمقابلته ولم أكن قد وجدت الوقت لتناول الغداء وابدال ملابسى أو حتى ارسال الحصان الى الاصطبل وكنت قد بعثت مرافقى للسوق لاعداد الطعام فاضطرت لترك كل شىء وتوجهت لمقابلة الشاه فى القصر الملكى ، وكان الشاه جالسا على الارض بين رجال قصره ومشاوريه ولما كانت ملائمة أقدم من ملابس الآخرين كما أنني لم أكن أصطحب مترجما فاننى لم أستطع التعرف عليه ووقفت حائرا وعند ذلك تقدم أحد الايرانيين المسنين وأخذ يدي وقدمنى للشاه فركعت أمامه ثم قبلت يده كما كانوا أمرؤنى قبل هذا فأشار الى أن انهض ثم أخذ شخص ايطالى كان قد أسلم يتحدث معى بالايطالية فسألته أن كان يعرف اللاتينية فلما أجاب بالايجاب قلت له أن أميراطور الروم ( أى امبراطور المانيا واطاليا وغيرها ) كان قد أرسل رئيسى كسفير الى صاحب الجلالة الايرانية ووصل الى مدينة لنجروود فى جيلان ولكنه توفى هناك مع مرافقيه بسبب قلة الغذاء الجيد وعدم وجود المشروب فلم يكن هناك سوى ماء غفن ولحم ضأن فاسد وتخلف أربعة فى الطريق حين أشرفوا على الموت . وقد أمرنى رئيسى حينما أدركته الوفاة أن أوصل رسائل الامبراطور الى جلالة الشاه الايرانى .

وحين وصل الحديث الى هذا طلب الشاه الرسائل منى ولكنها كانت قد بقيت فى صندوقى وحينما أردت أن أذهب لاحضارها لم يأذنوا لى فاضطرت لاعطاء المفتاح الى أحد مستشارى الملك فذهب وأعضر الرسائل من سكنى وسلمها لى وكانت إحدى الرسائل الموجهة للشاه باللغة اللاتينية والاخرى بالايطالية كما كانت رسائل دوق موسكو الاكبر ( القيصر ) بهاتين

---

وفطع هذه المسافة الطويلة ( نحو ١٢٠٠ كيلو متر ) بجيشه فى ١٣ يوما ودخل المدينة صباح اليوم الرابع عشر ، كما أن المبعوث الالمانى بالغ فى عدد جيش الشاه عباس .

للغتين أيضا فقدمتها الى الشاه مراعيًا التشریفات الرسمية اى الركوع وتقبيل  
يد الشاه فأخذ الرسائل بنفسه باحترام ووضع يده على رأسى  
وأجلسنى بالقرب منه ثم فاض الرسائل بنفسه ولكن قبل أن يقرأها أدخلوا  
أحد الاسرى الاتراك متيذا بالسلاسل فركع امام الشاه ثم وضعوا سيفين  
امام الشاه فعابنهما واحدا بعد الآخر وكان لاحدهما غمد مرصع أهدها لى  
الشاه بعد ذلك ببضعة أيام واستل السيف الآخر من غمده ثم أنهض من  
مكانه ودون ان يیدو عليه اى تأثر قطع رقبة ذلك الاسير الذى كان يستغيث أمامه ،  
وقد ارتعدت كثيرا من هذا المنظر وخفت من أن يقطع الشاه رقبتى بالسيف الاخر  
وتلت فى نفسى من الممكن أن يكون الامبراطور قد تصالح مع الاتراك العثمانيين  
أو أنه كذب شيئا فى رسائله عن الصلح معهم وتضيق رقبتي بهذا \* ولسكن  
الشاه جلس مبتسما والتقت الى وقال « هكذا يجب أن يفعل المسيحيون  
بالاتراك وهو مالن أكف عن فعله » \*

بعد هذا سلمنى الشاه لاحد رجال قصره لى أسكن فى بيته وأرسل  
المترجم الايطالى والرسائل الى منزله فترجمها المترجم أمامى الى اللغة  
الفارسية \* وفى صباح اليوم التالى أرسل الشاه حصانا عربيا كهديفة ، ثم  
غادر الشاه تبريز بعد هذا بثلاثة أيام « (١) » \*

وكان الشاه عباس يعترزم فتح أرمينا والفقاز ، وكما كتب جورج  
تكتاندر فانہ رافق جيئسه وذكر فى كتابه معلومات مفيدة عن الاستيلاء على  
مدن آذربيجان وأرمينيا أو استسلامها تخرج عن موضوعنا \* وبعد الاستيلاء  
على قلعة ابروان أذن الشاه عباس لخليفة السفير الالماني بالعودة الى وطنه  
كما أمر أحد رجال بلاطه وهو مهدى قلى بك بأن يرافقه حاملا ردودا على  
رسائل قيصر موسكو وأمبراطور المانيا ، وكتب تكتاندر عن هذا فقال :

« أحضرنى الشاه وقال لقد آن وقت عودتى الى جلاله أمبراطور المانيا  
حاملا ردود للخطابات وأنداك عين مهدى قلى بك لمرافقتى واحضار رد  
الامبراطور ، ثم خلع على بخلعة من ملابسه مع حصان عربى وأعطانى  
تسعمائة أكو (١) على أكثرها صور جلاله أمبراطور المانيا وملك أسبانيا  
كما أهدانى سيفا مرصعا » \*

(١) رحلة جورج تكتاندر فمون ديريا بل ترجمة سارل شيفر ص ٤٧-٥٠

تحرك خليفة السفير الالماني مع مهدي قلى بك ومرافقيهما من مدينة ايراوان متوجهين الى روسيا . فوصلوا موسكو بعد ثمانية أشهر تحمّلوا خلالها كثيرا من المشقة والتعب . وكان مهدي قلى بك مكلفا من الشاه عباس لشرح توغله وانتصاراته في الاراضي العثمانية لروبيس جود ونف قيصر روسيا ، ويشكر القيصر الروسي على المعونة التي قدمها له في هذا الد .

وقد التقى جورج تكتاندر والسفير الايراني في مدينة غازان بسفير ايراني آخر اثناء عودته مع مرافقيه كان الشاه عباس قد أرسله من قبل الى القيصر الروسي ، وكتب تكتاندر أن هذا السفير ذكر لهم أن القيصر الروسي أرسل عدة الاف من حملة البنادق وبعض عربات المدفعية لمساعدة الشاه عباس ولكي تحاصر قلعة دربند (باب الابواب) وقد طلب من الشاه بصفة خاصة ألا يكف يده عن حرب السلطان العثماني .

وقد استقبل بوريس جودونف السفيرين الايراني والالماني بترحاب وافر وأرسل رسالة الى رودلف الثاني امبراطور المانيا مع تكتاندر شرح فيها علاقات الصداقة بينه وبين الشاه عباس ضد السلطان العثماني .

غادر مهدي قلى بك ومرافقوه موسكو في ربيع الاول ١١٠٣ هـ ( أغسطس ١٦٠٤ م ) وتوجهوا الى المانيا عن طريق بحر البلطيق .

وليس في يدي شيء عن رحلة مهدي قلى بك الى المانيا أوتنتيجة مهمته . هناك ولكن من المعروف أنه بقى فترة في براغ وأن أحد الرسامين المشهورين من الالمان اسمه اجيديوس سادلرس (٢) رسم له ولاحد مرافقيه من قواد ايران اسمه زينل خان شاملو صورة حوالى سنتي ١٠١٣ و١٠١٤ هـ (١٦٠٤ - ١٦٠٥ م) .

بعد هذا بسنوات أي في سنة ١٠١٦ هـ ( ١٦٠٨ م ) أرسل الشاه عباس روبرت شيرلي كأخ له برسائل وهدايا كثيرة الى ملوك أوروبا ومنهم رودلف الثاني امبراطور المانيا - كما سبق أن ذكرنا في شرح علاقات الشاه عباس مع أسبانيا والبرتغال - وقد التقى روبرت شيرلي مع الامبراطور

(١) الاكو كان يعادل نحو ثلث دولار .

Agidius Sadlers

(٢)

في ربيع الاول سنة ١٠١٨ هـ ( يونيو ١٦٠٩ م ) بمدينة براغ وبقي مدة في بلاطه وحصل على لقب فارس ( شفالييه ) ولقب كونت بالاتن بسبب الخدمات التي أداها للعالم المسيحي عن طريق الحرب ضد السلطان العثماني .  
ثم ذهب من المانيا الى ايطاليا .

ومنذ ذلك الوقت ظل الشاه عباس ينتظر باستمرار اتحاد امبراطور المانيا مع بقية حكام اوربا والدخول في حرب ضد السلطان العثماني ، كما ذكرنا من قبل ، ولان امبراطور المانيا كان قد كتب اليه ووعده انه لن يتصالح مع السلطان العثماني ابد فان الشاه عباس كان يحترمه جدا وكان يضع صورة له في مدخل غرفته الخاصة وكلما دخل الغرفة حتى رأسه احتراماً له ، ولكن عندما علم عن طريق جواسيسه الخصوصيين ان الامبراطور قد تصالح مع السلطان أحمد خان العثماني تأثر جدا وكان يكرر سخطه وعدم رضاه أمام رسل البابا وسفراء أسبانيا ٣ .

وليس بأيدينا معلومات مفصلة عن علاقات للشاه عباس والمانيسا بعد هذا وكل مانعلمه أن سفيرا من قبل امبراطور المانيا جاء في سنة ١٠١٨ هـ الى بلاط ايسران واقترح الاتحاد ثانية ضد السلطان العثماني . وكتب جلال الدين محمد اليزدي المنجم الخاص للشاه عباس ضمن وقائع ذلك العام يقول :

« ٠٠٠ في الثامن من رجب ١٠١٨ هـ تشرف كتلكون (١) المبعوث الالمانى بتقبيل الاقدام الملكية وقد رسالة البابا وملك المانيا ومضمونها « استعد لنرفع شر الروم ( الاتراك ) عن رعي أهل العالم » .

---

(١) كذا في النص الفارسي .

## علاقات إيران والمانيا بعد الشاه عباس الكبير

لم تصل الينا معلومات كافية عن علاقة إيران والمانيا بعد الشاه عباس الكبير ولكن يتبين من كتب الرحلات والتاريخ فى تلك الفترة أن علاقات الصداقة كانت قائمة بينهما وكان أباطرة المانيا يسعون لاثارة الصفويين ضد العثمانيين . ولكن بعد وفاة الشاه عباس الاول - اى من عصر الشاه صفى الى عصر الشاه سلطان حسين - كان السلام والصداقة قائمين بين الدولتين العثمانية والىرانية . وكان ملوك الصفويين يتجنبون اثارة الخلافات والحروب مع العثمانيين ، وكتب احد السياح الفرنسيين - الذى كان فى إيران فى عصر الشاه سليمان - عن السياسة اللىرانية العثمانية يقول :

وصل سفراء المانيا وبولندا وموسكو الى إيران وطلبوا من الشاه سليمان أن يتعاون مع دولهم ضد العثمانيين ، واحضر المطران دى ابارنل (١) رسالة من امبراطوره الى شاه إيران فى هذا الصدد فرد عليه اعتماد الدولة الصدر الاعظم أن الشاه لارغبة له فى الاتفاق مع امبراطور المانيا لأنه عندما جلس على العرش اقترح على ملوك أوربا أن يتحدوا معه ضد العثمانيين لكن الامبراطور وخلفاءه لم يردوا عليه والآن فقد تصالح الشاه مع السلطان العثمانى ووعد بعدم اثارة خلافات معه . فقال المطران أن الاتراك لم يتمسكوا بوعودهم أبدا وغالبا ماينقضونها فقالوا له لايليق بشاه إيران أن يجارى سوء عهد السلطان العثمانى ويفعل مثله .

فقال سفير بولندا أن الفرصة مواتية لاسترداد البصرة وبغداد وأرضروم فقالوا له أن هذه المدن ليست أكثر أهمية من مدينة كامينيتك (٢) التى كان العثمانيون قد استولوا عليها من البولنديين .

'd' abarnel

(١)

Kaminietk

(٢)

وقال سفير موسكو أن السلطان العثماني قد انشغل في أوروبا مع أعدائه المسيحيين ويمكن بسهولة القضاء على دولته فقالوا له أن إيران ترغب في هزيمة السلطان العثماني وإضعافه ولكنها لا ترغب في القضاء عليه كلية لأن الدولة العثمانية تقوم كسد بين الدول الأوروبية وإيران ، وهي على أية حال تشترك مع إيران في الدين .

وفي اليوم الأخير للقاء السفراء بالشاه كبروا نفس مطالبهم ، فذكر لهم اعتماد الدولة صراحة « أننا لن نضع عصا في خلية النحل ، لأننا لو قمنا بمحاربة السلطان العثماني فإن التتار والأوزيك والمغول(\*)» أيضا سوف يهاجمونا بسبب الوحدة المذهبية بينهم وبين الأتراك العثمانيين (١) ، .

وقد وصلت إلى أيدينا رسالة من الشاه سليمان تؤيد اتجاهه للمسلم وحذر حكومة إيران من الاتحاد مع ملوك أوروبا ضد العثمانيين ومما جاء بها « أما ما أشرتكم إليه من الحرب مع سلطان السروم (العثمانيين) فقد ذكرنا مرارا لملوك الفرنج والروس أن أسرتنا ذات التقاليد العادلة قد تصالحت مع ملوك تلك الدولة ولم يحدث منهم أي سوء خلال تلك المدة الطويلة ، ولهذا فإن الأقدام على حربهم في هذا الوقت يعد معصية لرضا الله الواحد ومخالفة لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، .

---

(\*) يقصد بالتتار والأوزيك سكان شرق خراسان والتركستان وما وراء النهر أما المغول فهم ملوك الهند آنذاك وكانوا جميعا من أهل السنة الأماندر من الشيعة .

(١) رحلة سانسون المبشر المسيحي الذي جاء إلى إيران سنة

١٦٨٣ م .

## الفهرست

- ١ - مقدمة المترجم وهي موجز لتاريخ الدولة الصفوية مع  
 ابراز جوانب العنف في هذه الدولة
- ٢ - الفصل الأول : علاقة ايران مع البرتغال واسبانيا  
 اول رحلة للبيوكيرك الى الهند والخليج
- ٣ - وصف مرمز وأهميتها وامرائها العرب
- ٤ - حملة الفونسو دى البيوكيرك على جزيرة مرمز
- ٥ - احوال جزيرة مرمز حتى عصر الشاه عباس الصفوي
- ٦ - بداية الحرب بين العثمانيين والبرتغاليين في الخليج
- ٧ - العلاقات الايرانية الاسبانية في عهد الشاه عباس الكبير
- ٨ - سفارة اسير انتونى شيرلى الى ملوك اوربا
- ٩ - مضجون رسائل الشاه عباس للوك اوربا
- ١٠ - السفارة في روسيا
- ١١ - السفارة في المانيا
- ١٢ - السفارة في ايطاليا
- ١٣ - السفارة عند البابا
- ١٤ - السفارة في اسبانيا
- ١٥ - نهاية السفارة باحداث مؤسفة وقيدها
- ١٦ - الاستيلاء على البحرين
- ١٧ - اول بعثة لانتونيو دى جوفيا الى ايران
- ١٨ - اول سفارة لروبرت شيرلى الى اوربا
- ١٩ - مقابلة ملك بولندا وامبراطور المانيا
- ٢٠ - مقابلة البابا في روما
- ٢١ - روبرت شيرلى في اسبانيا والمشاكل التي واجهته
- ٢٢ - روبرت شيرلى في انجلترا

- ٥٠ . . . . . بديه قصه اسير انتونى شيرلى
- ٥١ . . . . . رسالة انتونى شيرلى ورد الشاه عباس عليها  
انتونى شيرلى يتولى قيادة قوه بحريه اسبانية لحرب
- ٥٣ . . . . . العثمانيين فى البحر المتوسط
- ٥٤ . . . . . السفارة الثانية لانتونيو دى جوفيا
- ٥٦ . . . . . الشاه عباس يحنى رأسه لصورة امبراطور المانيا
- ٥٨ . . . . . رسالة الشاه عباس لملك اسبانيا  
انتونيو دى جوفيا يفسد مساعى الصلح بين الصفيين
- ٦١ . . . . . العثمانيين
- ٦٢ . . . . . السفارة الثالثة لانتونيو دى جوفيا الى ايران
- ٦٤ . . . . . قتل دنجيز بك بسبب اهماله فى سفارته
- ٦٥ . . . . . هرب القس السفير لانتونيو دى جوفيا الى هرمز
- ٦٧ . . . . . السفارة الثانية لروبرت شيرلى
- ٧٠ . . . . . فشل روبرت شيرلى فى اسبانيا
- ٧٦ . . . . . سفارة دون جارسيا دى سيلفا فيجورا لايران
- ٧٣ . . . . . وصف استقبال الشاه عباس للسفير الاسبانى
- ٧٥ . . . . . محاولات السفير الاسبانى الفاشله للقاء الشاه عباس
- ٨٤ . . . . . الاستيلاء على ميناء جمبرون
- ٨٦ . . . . . تبادل الرسائل بين ملك اسبانيا والشاه عباس
- ٨٨ . . . . . استقبال سفراء الهند وتركيا وروسيا
- ٩٣ . . . . . الشاه عباس يفشى بعض اسراره للسفراء
- ٩٤ . . . . . مباحثات الشاه عباس وسفير اسبانيا وهما جلوس على الارض
- ٩٧ . . . . . مقدمات الاستيلاء على جزيرة هرمز
- ٩٧ . . . . . قطع علاقات الصداقة مع اسبانيا
- ٩٨ . . . . . بداية الصراع بين الانجليز والبرتغاليين فى الخليج
- ١٠١ . . . . . ملك اسبانيا يعرض مخازية العثمانيين واغلاق البحر الاحمر



- ١٠٢ . . . غضب الشاه عباس من رسائل ملك أسبانيا
- ١٠٥ . . . . . مقدمات الحرب الأيرانية ضد البرتغاليين
- ١٠٨ . . . . . معركة بين سقن الانجليز والبرتغاليين في جاسك
- ١٠٩ . . . . . هجوم البرتغاليين على جزيرة قشم
- ١١٠ . . . . . اتحاد ايران وانجلترا ضد الأسبان في هرمز
- ١١٣ . . . . . الاستيلاء على القلعة البرتغالية في قشم
- ١١٥ . . . . . وصف جزيرة هرمز
- ١١٧ . . . . . احتلال ايران وانجلترا لجزيرة هرمز
- ١٢٤ . . . . . العلاقات الأيرانية البرتغالية بعد الاستيلاء على هرمز
- ١٢٨ . . . . . مراجع هذا الفصل

### الفصل الثاني

- ١٣٢ . . . . . العلاقات الأيرانية الانجليزية في العصر الصفوي
- ١٣٨ . . . . . العلاقات الأيرانية الانجليزية في عصر الشاه عباس
- ١٣٨ . . . . . وصول الأخوين شيرلي الى ايران
- ١٤١ . . . . . استقبال الشاه عباس لهما
- ١٤٧ . . . . . سيرة روبرت شيرلي
- ١٥٤ . . . . . أول سفارة لروبرت شيرلي في إنجلترا
- ١٥٨ . . . . . رسالة ملك إنجلترا للشاه عباس
- ١٦٠ . . . . . شركة الهند الشرقية وبداية علاقاتها مع ايران والخليج
- ١٦٥ . . . . . سفارة ادوارد كنوك الى ايران
- ١٦٨ . . . . . سفارة روبرت شيرلي الثانية الى اوربا
- ١٧٠ . . . . . سفارة نقد على بك الى إنجلترا
- ١٧٢ . . . . . المشاجرة بين نقد على بك وروبرت شيرلي
- ١٧٥ . . . . . سفارة توماس باركر الى ايران
- ١٧٩ . . . . . اتحاد ايران وشركة الهند ضد البرتغال والأسبان
- ١٨١ . . . . . سفارة اليردورمر قطن

- ١٨٩ . . العلاقات الايرانية الانجليزية في عصر الشاه صفى
- ١٩٢ العلاقات الايرانية الانجليزية في عصر عباس الثانى وسليمان
- ١٩٧ . العلاقات الايرانية الانجليزية في نهاية العصر الصفوى
- ١٩٨ . العلاقات الايرانية الانجليزية حتى اوائل العصر اتاجاوى
- ٢٠٠ مصادر هذا الفصل
- ٢٠٥ الفصل الثالث - علاقات ايران وهولندا
- ٢٠٥ . . . . . بداية تجارة الهولنديين مع دول المشرق
- ٢٠٧ . . . . . بداية تجارة الهولنديين مع ايران
- ٢١١ . . العلاقات بعد وفاة الشاه عباس والهجوم على قشم
- ٢١٣ . . . . . منافسة التجار الهولنديين والانجليز
- ٢١٥ . . . . . سبب نجاح الهولنديين في تجارة المشرق
- ٢١٨ . . . . . مراكز شركة الهند الهولندية في ايران
- علاقات ايران وشركة الهند الشرقية الهولندية في زمن الشاه
- ٢٢١ . . . . . سليمان الصفوى
- علاقات ايران وشركة الهند الشرقية الهولندية في زمن
- ٢٢٣ . . . . . السلطان حسين
- ٢٢٦ مراجع هذا الفصل
- ٢٢٩ الفصل الرابع - علاقات ايران والمانيا
- ٢٢٩ . . . . . العلاقات في عصر الشاه اسماعيل الاول
- ٢٣٤ . . . . . العلاقات في عصر الشاه عباس الاول
- ٢٣٥ . . . . . سفارة اتين كاكاش الى ايران وماساة بعثته
- ٢٤١ . . العلاقات ايران والمانيا بعد الشاه عباس الكبير

رقم الأيداع بدار الكتب المصرية  
١٥٩٢ / ١٩٨٩ م



دار الثقافة للطباعة والنشر  
٢١ شارع كامل صليو بالمعجالة  
ت ٩١٦.٧٦ - القاهرة